

الاقباط في القرن العشرين

الجزء الثاني

كتاب يبحث في اصل الاقباط وحضارتهم
ووطنيتهم ودستورهم وتاريخ عميدهم
المرحوم المغفور له
بطرس باشا غالى

تأليف

رمزى تادرسى
محرر بجريدة مصر

طبع في مطبعة جريدة مصر سنة ١٩١١

المقدمة

اخواني الاعزاء

ان تلك العاطفة الغريزية عاطفة العمل والجهاد التي طبعت عليكم عليها وعرفتم بها دفعتي الى انجاز الجزء الثاني من مؤلفي باسرع ما يمكن لاضع امامكم صفحة من صفحات تاريخكم الحديث المجيد لا تعرفوا منها فضل رجالكم على تدين البلاد بل لتداوموا على الاجتهاد والرصانة اللذين اظهرتموهما في كل عصر وكل جيل

واذا لم يجز لنا القول انكم كنتم دائماً ومن كل الوجوه هداة الامة وركن نهضتها فلا ينكر انكم الالات السعيدة التي استعملتها الحكومة ورعاياها لاسعاف اعمال التمدن وتحسين حاله المملكة المصرية وترقي سعادة ابنائها وتنوير افكار العامة واقناعها بفساد خطة تلك الفئة الصياحة التي تريد سرعة التقدم بوسائل مضرّة ومخاطرة غايتها اعطاؤها كل شيء بالقول او تهدم كل شيء لتعود الى القديم الرث

وقد لا يجب ان يبرح من اذهانكم انكم ما دمتم مشغولين بامر تحسين الحضارة في بلادكم ان تلك الصفحة المجيدة هي شرط من شروط وصولكم الى نهاية الطريق الذي تشغلون فيه لانها تملأ النفوس حياة والصدور شهما والعقول ذكاء والعواطف اخلاصاً وتثبت أقدار

رجالكم الذين زرعوا الافكار الحرة فقصوا على القديم الرث وانمو اغراس
الوطنية الصحيحة الفعالة بعد ان توارت بل تثبت ان رجالكم رجال
عمل وجهاد وأفكار واسعة وعقول رشيدة جعلتهم في مصاف اعظم نوابغ
العربيين الذين خدموا الانسانية باعمالهم ورفعوا شأن الامم بجهادهم
وثاقب افكارهم

ولا شك ان انتشار هذه الصفحة التاريخية الحديثة بين ابنائكم
مما يعين على زيادة تقدمهم ورفاهيتهم حيث يختبرون منها مقدرة نوابغهم
وأعمالهم ونشأة اعظم رجالهم المرحوم المغفور له بطرس باشا غالي
فيذكر كون كيف صرف قواه في خدمة بلاده وكيف عمل على تمدينها
واستقلالها بالطرق المشروعة وكيف وصل الى اوج المجد بالعلم والفضل
وقوة الذكاء وصفاء الذهن فيتابعون في سيرهم الغاية الوحيدة التي اتبعها
وتنتهي اليها عوالم الارض الا وهي الحضارة مرمى انظار كل أمة حية
ومطمح أمال كل شعب كبير

واذا كانت هذه الغاية التي انهضت البلاد من سباتها وكبوتها وقال
عنها المتمدنون انها روح حية في قلب وادي النيل فيجب ان تحافظوا
عليها لتثبتوا لهم ان تلك الروح ستبقى فيكم الى الابد وانكم عاملون
على خطوات نوابغكم لتصلوا ببلادكم الى الموقف الطبيعي الذي خلقت
له من أول عهد الخليفة وعنده تقول عنكم الذرية سلام على ابائي
واجلال لارواحهم الحية

أصل الاقباط ومضارهم

مرت على مصر القرون وتعاقبت عليها الأعصار وهي ممتدة من بحر الروم الى أطراف الصعيد الى ضفاف بحر العرب الى صحراء الليبيين تربي أبنائها وترويههم بمائها وتظلمهم بسمائها وتحييهم بأرضها وتحافظ على نونهم الطبيعي بطبيعتها النقية حتى ان صور وهياكل ثمانين قرناً مضت لم تنزل ممثلة الى اليوم في صور الاقباط وهياكلهم البشرية كأنهم أبناء عائلة واحدة بل كأنهم صدروا من مادة واحدة ومن جسد واحد هو ذلك الجسد الذي ملأ وادي النيل الوفا وملايين من الناس عاشوا من عهد الالهة الى عصر مينا أول ملوك مصر الى البطالسة فالرومان الى العرب فالأتراك الى المماليك فالخديويين دون أن يمتزجوا بدماء غيرهم أو يختلطوا بامة أجنبيه من غير جنسيتهم ووطنهم بل هؤلاء هم الذين تقلبت عليهم أدوار الرق والعبودية والحرية والعدالة ورأوا كل شعب وكل عرش يحمل الظالم والعاذل. القوي والضعيف دون أن تنفصم عروتهم الأخوية أو تنحل رابطتهم الوطنية والجنسية

واذا كان هذا الهيكل العظيم المؤلف من ملايين النفوس يعد من الأصل المصري القديم فلا شك ان العنصر الأكثر محافظة على الصفات المصرية الأصلية والممثل لها تمثيلاً نقياً خالياً من شوائب

الاختلاط اتما هو الشعب القبطي المسيحي لان بقاءه معتقاً المسيحية الى هذا العصر منعه كل اختلاط بالاجناس الاخرى التي اختلط بها اخوانه الذين اعتنقوا الديانة الاسلامية

قال الاستاذ ماسبرو مدير مصلحة الآثار (١) ان جميع الشعوب التي كان لها ماض مجيد تهتم اهتماما كليا بأمر أصلها فهي تناجي نفسها قائلة هل نحن السلالة الحقيقية لذلك الشعب العظيم الذي اشتهرت به سابقاً البلاد التي نعيش فيها اليوم ونحيا أم جد بيننا وبينه عنصر آخر نشأ عن الامتزاج البطيء الغير المحسوس أو عن الغزو والفتح بشكل أشد؟؟ ولم يغفل شعب من تلك الشعوب عن الاهتمام بهذا الامر ففي فرنسا وفي ايطاليا وفي اليونان تعرض هذه المسألة على بساط البحث بأن يتساءل فرنساويو وايطاليو ويونانيو هذه الأيام هل هم سلالة قدماء الغاليين والرومان واليونان؟؟

أما الجواب على هذا السؤال فهو على الدوام - نعم نحن سلاتهم - وهو جواب تقضي به العظمة الوطنية كما أنه مطابق للصواب بوجه الاجمال. وقد عرضت المسألة نفسها في معرض البحث في مصر واني أعتقد وجوب الاجابة عليها بنفس الجواب فان الشبه بين سكان القطر المصري وأسلافهم بقي متسلسلا الى أيامنا هذه لان الشعب نفسه كان على مثل الاوصاف المادية والادبية التي نراها فيه اليوم ففيا يختص

بالاوصاف المادية اذهبوا الى متحفكم بقصر النيل تجدوا في التماثيل والنقوش نفس الاشكال التي أنتم عليها اليوم فانكم ترون أشخاصا طوال القامة نحيفي الاجسام عليهم سمات الشرف والنبيل ولقد وقعت مصر من أول عهدا تحت غارات كثيرة ففتحت المرة بعد المرة وأقدم غارة عرفنا خبرها هي التي شنها الهكسوس أو الملوك الرعاة فانتشر منهم في مصر عنصر جديد متبربر يختلف عن العنصر المصري القديم ولكن لم يمض قرن على زوال حكمه حتي فني بامتزاجه ببقية السكان دون أن يلحق بهم تغيراً بوجه من الوجوه كما يظهر لنا ذلك من تماثيل طيبة .

على أن مصر كان يهدد عنصرها خطر أشد من ذلك بكثير فان عظماء الفاتحين من ملوك العائلة الثامنة عشرة جلبوا اليها في مدة أربعة قرون الوفا من الاسرى رجالا ونساء وأسكنوا بعضهم في المدن حيث اتخذهم أهلها اماء وعبيداً وأقام بعضهم في المزارع لتفليح الاراضي غير أن فريقا منهم بقي على حالة الاسباط والعشائر كالعبرانيين مثلاً وانه بالرغم عما امتزجت به العناصر الاهلية من العنصر الاجنبي الذي كان يؤم مصر بلا انقطاع سواء من الحبشة أو من أسيا فلسنا نرى تغيراً محسوسا في صفات السكان العامة فلو فحصم اللغة وجدتم انها اقتبست من اولئك الاسرى بضعة الفاظ سامية وليية أو بربرية ولكن تلك الالفاظ ليست بذات اهمية تقضي بتغير اجرومية او قاموس

اللغة . اذهبوا الى المتحف تروا أشكال الناس في تماثيل ذلك العصر وفي تماثيل العصر السابق له واحدة على الاغلب

ثم عقب ذلك مجيء الليبيين الى مصر وهم قبائل تتكلم بلغات بربرية وتقطن الواحات والبلاد الواقعة في الصحراء الغربية فاسكنهم فراغنة الاسرتين الواحدة والعشرين والثانية والعشرين في عواصم القطر وتبع الليبيين الاشوريون والفرس واليونان والرومان مع ذلك فقد اجتازت هذه العناصر الاجنبية البلاد وامتزجت بعناصرها ولكنها لم تغير شكل سكانها» اهـ .

ورى أميلينو المؤرخ الاثري الشهير انه بينما كان عائدا ذات يوم في قطار سكة الحديد من النقطة التي ينبش فيها عن الآثار بوادي الملوك وكان غائصا في بحار التأملات عما شاهده هناك واذا بمفتش التذاكر القبطي قد دخل عليه فجأة وطلب منه التذكرة فرأى في ملامحه صورة حية لأولئك الملوك والعظماء الذين زار مقبرتهم.

وروى ماريت باشا عميد الاثريين واستاذهم ان ما يرى اليوم في هياكل ومقابر طيبة والاقصر وهبوا وايدوس وممفيس لدليل حي على حسب الاقباط ونسبهم لقدماء المصريين .

وقال السير واكنسن الاثري الشهير أن الاشكال التي نشاهدها الآن في العنصر القبطي في مصر وعلى الخصوص العنصر القبطي المسيحي تشابه بوجه عام شكل الفراغنة القدماء .

أما وقد ثبت من هذا البحث ان الاقباط هم السلالة الاصلية النقية
المصريين فيحسن بنا ان نبحث في اصل حضارتهم الاولى ومن اين
تكونت بعد ان نسبها احمد بك كمال الى العرب (١) مندفعاً وراء
استنتاجات فكرية لم يكن لها في التاريخ ذكر ذاهباً الى ان مينا اول
ملوك مصر يعزى اليهم على حين ان جل المؤرخين والاثريين الذين
يشار اليهم بالبنان اتفقوا اتفاقاً كلياً على انه مصري صميم

وانا اذا دققنا الفحص عن حالة مصر عند تأسيس المملكة الفرعونية
وبحثنا عن العناصر التي خلفها العالم السابق الى العالم اللاحق سواء كان في
النظامات أو المعتقدات في الافكار أو الاحساسات في السجنة أو اللون لوجدنا
نفس الصفات مغروسة وجارية في آن واحد بين السلسلتين البشريتين الاولى
والثانية بل اذا تركنا الحوادث الظاهرة والتاريخية وبحثنا عن الدولة المصرية
الاولى المعروفة بدولة الالهة لوجدنا ان القوات المختلفة التي تنمو في الهيئة
الاجتماعية كانت غالباً تتنازع الاستيلاء على السلطة فكان سكان كل بلدة
على عدا متواصل مع سكان البلدة الاخرى ويمكننا ان نثبت ذلك
من الدين المصري القديم فان اوسيرس الابن الاكبر لنوت (اي السماء)
وسيب (اي الارض) قد تزوج قبل ان ولد اخته اسيس فولد لهما هورس
واخوه سيت تزوج اخته نفثيس وعاش اوسيرس واسيس سعيدين

(١) راجع كتاب الحضارة المصرية القديمة الذي القيت مواضعه في
الجامعة المصرية .

جداً لكن اخاها سيتا خان اخاد ووضعها في احدى الولايم في صندوق وأغلقه في الحال وحمله الى النيل والقاء فيه فحزنت عليه أسيس أشد الحزن وأخذت تفتش عليه في كل مكان حتى وجدت فخبائه وذهبت تبحث عن ولدها هورس ليساعدها على الانتقام لابييه (راجع كتاب مصر للدكتور برش وكتاب سكان وادي النيل للعالم ولس بدج)

وقد دامت هذه المنازعات طول مدة الجاهلية التي يعتقد أجدادنا ان ملوكها كانوا من الالهة وانهم تولوا ملك مصر ١٢٣٠٠ سنة على ما روى مانيتو كاهن هيكل هليوبوليس الذي عاش قبل المسيح بنحو ٢٠٠ عام

والذي يزيدنا ايضاحاً لمعرفة حالة مصر في ذلك الزمن الجاهلي هو تعدد الالهة واعتقاد سكان كل بلدة بالخاص حتى انه كثيراً ما كان يرى في قوائم الالهة كما قال الاثري رينوف ان هذا الاله هو ذاك ولكنه عدة آلهة مختلفة الأسماء بحسب سكان البلدة التي تعبد. ومعنى ذلك ان مصر كانت في مبدأ أمرها بلاداً متفرقة يحكم كل منها حاكم من أهلها أو بالحري جمعية بلدية تعبد الهاً خاصاً يسكن تلك البلدة ويحميها من غائلة الهاجين .

ولقد بقيت كذلك زماناً طويلاً لا تعرف لها هيئة ولا نظاماً عاماً ولا مطلق لفظة شعب على احداها حتى ظهر مينا أو منيس من مدينة اتيني

بقرب أييدوس وهي مدينة مصرية لا يونانية كما قال هيرودوتس وتغلب
على قوات المدن الاخرى وأخضعها لسلطانه وبذلك تولى ملك مصر
وأسس مدينة ممفيس وجعل معبودها بتاح أي رب الحق الذي خلق
الشمس والقمر والبشر

ومن هذا يتبين لنا ان التمدن المصري لم ينشأ في الحقيقة الا من
نفس مصر ومن أنبائها الاصليين ثم أوجب بطبيعة الحال بعد تكوين
هيتهم وتأليف وحدتهم سرعة النمو التي نشاهددها في عصور الحضارة
الفرعونية وهي التي وحدها حضرت العالم وهذبت الفلاسفة والحكماء
وثقفت كل أمة ظهرت في الوجود كائنة من كانت عربية أو أجنبية
الارباب والمسلمون

٢

ان تلك الامة العظيمة التي تحمل اثني عشر مليوناً من النفوس
وداست العبودية بقدميها بعد ان كر عليها الدهر أثر الدهر وهي تحت سلطة
وقوانين واحدة لا يمكن أن تشعر يوماً ما باستحالة وحدتها الى أجزاء
مترامية الميول والمباديء بل تعتبر من الخطر الحقيقي عليها وجود
فريق متمصر من جنسية غير جنسيتها ووطن غير وطنها يخلط بين
الوطنية والدين ويتخذ من كل عمل يرمي الى احياء البلاد وتمدينها قاعدة
لنزع روح الالفة والوئام من صدور الوطنيين ليتذرع بها الى التحريض
على التفريق والتقاطع

وقد يخطئ من لا يعتقد ان تلك البذور المسمة التي تبثها تلك الفئات المتمصرة تضر وتؤثر بمجموع الامة أكثر من سواها لانها تقضي غالباً الى ايجاد الخلاف منشأ كل عدا واصل كل خصام بين الافراد وبين الامم على السواء خصوصاً اذا كانت تلك البذور تغرس جذوة الشقاق بين العنصرين المصريين باعتبارهما امتين مختلفتين اختلافًا كلياً يدعو الى وجود التمايز أو التفاضل بينهما . ولقد ينشرون تلك التعاليم ويكرزون بها وسط الامة بالرغم عما يعلمون من وحدة التاريخ ومن العادات والميول والأطوار المتشابهة والدالة على وجود أمة واحدة من دم واحد وجنسية واحدة ان اختلفت في عقائدها الدينية فانما هو اختلاف بسيط لا يمكن أن يؤول الا الى اعتقاد كل عنصر بكتاب ديني لا يتباين عن الآخر في شيء طالما كان الكتابان يأمران بالمعروف وينهيان عن المنكر ويرجمان بالامة كلها الى اله واحد هو خالق الخلق ورب العالمين

فاختلاف العنصرين والحالة هذه في الدين لا يعتبر أساساً لوجود أمتين كما تعتبره الفئات المتمصرة انما يعد بمثابة اختلاف شقيقين بحسب الظروف الطبيعية في تقديس مهنة ما وهذا الاختلاف لا يؤدي الى فصم رابطة أخائهما ومحبتهما وانتقال تلك العروة الوثقى الى من تجمعه به جامعة المهنة بل يفضي الى عطف الواحد على الآخر ومناصرته له في عمله بدافع العواطف الطبيعية لانه مها تكن الجامعة التي تربط أصحاب

المهنة الواحدة أو الدين الواحد فهي لا تجعله يؤثر محبة أفرادها على محبة أخيه وهو جزء من دمه وقطعة من وطنه ولا تستفز عواطفه اذا انفرط عقدها بقدر ما تستفزه اذا انفرط عقد محبته مع أخيه اللهم الا ان كان جامدا او فاقدا لحاسة الشعور الحقيقي الذي يدفع الاخ الى محبة اخيه ومناصرته

وكثيرا ما يذهبون الى اضعاف عاطفة الاخاء بين العنصرين باعادة الحوادث التي وقعت في عصور الجاهلية وأزمة الاضطهاد . وهو مذهب غريب في بابه لانا لو تتبعنا الحوادث التاريخية وفحصناها بدقة لرأينا أحد العنصرين مع السلطة التي كانت تعطى له من الهيئة الحاكمة في أزمته مختلفة للاشارة العنصر الاخر كان لا يتبع أعماله الى النهاية بل ينتقض على مشيره كأن هناك أفكاراً وتأثيرات كانت تقعده عن الوصول وتدفعه الى الانتفاض . واذا سألنا أنفسنا ما هي تلك الافكار والتأثيرات التي كانت توقف تياره الشديد وتحويل دون وصوله مع تأييده من السلطة الحاكمة لوجدناها جميعاً تنبثق من ينبوع واحد هو ينبوع العاطفة الاخوية المنبثقة في شعوره ودمائه . ومع ما أصاب تلك العاطفة من الاضطراب والتنوع فقد بقيت راسخة في الصدور تزداد نمواً مع الايام حتى أوردت في عصر الحرية التواد والوثام وأثمرت الاخاء والسلام وكل هذا البحث يوضح لنا أن المرافق المتشابهة والعقيدة الواحدة ليست في الحقيقة نظرية تتخذ أساساً لاثبات قاعدة المحبة وقوام الاخاء

انما الدم الواحد انما الجنسية الواحدة انما الوطن الواحد هو وحده المثلث
لذلك الاخاء والمظهر لتلك المحبة . واذا كان الامر كذلك وهو الحقيقة
والواقع فكل من يتخذ من الدين ووطنية انما هو من دم غير مصري
وجنسية غير الجنسية المصرية وليس من دليل أثبت به هذه النظرية
أقوى من الدليل العام بان المتبعين لهذه المبادئ العقيمة ليسوا الا أفراداً
من سكان المدن امتزجوا بدماء الشعوب المختلفة فصاروا دخلاء في
الجنسية المصرية وقد دفعهم هذا الامتزاج الى تحريض فئة من الامة
المصرية التي ينتسبون اليها كذبا على اعتبارهم بمثابة اخوان لها أشدولاء
وأخاء ورابطة من اخواتها في الدم والوطنية وفي الحياة والعمل . ولا لوم على
هؤلاء المتصرين المحرضين ولا عتاب فمن يشابه أبه فظالم . أما القرويون
وبقية أبناء هذا القطر الذين يملأون نواحيه وبلاده ومدنه فهم سلالة
الفراعنة الحقيقيين . هم الذين يتشابهون في الملامح والطباع وفي السحنة
واللون . هم الذين لا يفقهون للتعصب معنى . هم الذين لا يتخذون الدين
وسيلة للمروق والافساد بل هم الذين لا يعرفون غير مصر ووطناً لهم ومصر
لا تعرف سواهم أبناء لها .

نعم هم كذلك . جل في بلدة من البلاد أو قرية من القرى ترالوطنية
الصحيحة والاخاء التام بين المسلم والقبطي . ترالعصبية القومية على أجل
مظاهرها بل ترالقرويين مع السذاجة والبساطة يعيشون مرتبطين
متحايين متآخين متآلفين يتضاغنون فيصطلحون ويتشاحنون

فيتصافحون ويفترقون غضابي فيتلاقون أحباباً وان اشتد بينهم خلاف على أمر شكا الفريق الواحد الفريق الآخر الى عمدة البلدة أو عميدها فيحكم بينهما بالعدل بغض النظر ان كان هذا قبطياً مسلماً أو قبطياً مسيحياً لانهم لا يعرفون الدين الا في المسجد والكنيسة وما بقي من الحياة فهو العمل والجهاد في المزرعة والحقل والراحة والتسامح في المنزل وفي المجتمع . واذا لم يكن في هذا كله ما يثبت وجود الاخاء بين العنصرين فهو كاف لان يعبر عن وجود الوحدة المصرية وعن وجود أمة تختلف في طباعها وعاداتها وخطراتها وخطواتها عن كل العصابة المتمصرة وصحافتها الشائنة التي معها اشتد امتعاضها ووجدت لها أنصاراً من بعض سذج المصريين الذين يشبهون لوح التصوير الحساس في سرعة تأثره لكل ما يقع عليه حسنا كان أو قبيحا نافعا أو ضاراً فهو لا يمكن ان يتخذوا دليلاً على كل الامة ولا على انحياز الامة لتلك الفئات في آرائها وافكارها وفي مبادئها الشريرة وميولها العقيمة .

فاذا ثبت من هذا البحث ان الاخاء طبيعة في الامة والوحدة فطرة فيها فقد ثبت ايضاً انها من دم واحد وجنسية واحدة وصورة واحدة يصعب معها على الاجنبي والمتمصر ان يميز بين القبطي المسلم والقبطي المسيحي .

قال الاستاذ ماسبرو مدير مصلحة الآثار أن القطر المصري

ينقسم اليوم دينيا الى قسمين عظيمين يتألف أحدهما من الاقباط والآخرون من المسلمين فاما الاقباط فهم سكان البلاد الاقدمون واما المسلمون فهم مسيحيون اعتنقوا الاسلام فهم اذاً مصريون ايضاً

والخلاصة انه لا يوجد مصران واحدة مسلمة والاخرى قبطية بل توجد مصر واحدة لان مسألة مسلم وقبطي هي مسألة دينية وفي فرنسا وطيون من اديان مختلفة وكلهم ما بين بروتستان وكاثوليك ويهود ولكنهم جميعا فرنساويون

الحزب الوطني

٣

فئة تختفي وتظهر وتوت وتحبي كلما قلدت حكومة مصر بعض الوظائف لغير المستوطنين . وقد أسس هذا الحزب أحمد عرابي زعيم الثورة العرابية لنزع الوظائف العالية من الاتراك والشراكسة وتقليدها للمصريين فالتف حوله عبد الله نديم الكاتب الثوري المشهور يؤيد دعوته. وينشر مبادئه في جريدة الطائف حتى ذاع صيته واشتهر أمره وكثر عاضدوه من الأهالي الذين عادوا فانفضوا من حوله عقب الثورة التي أثارها على عرش مصر ونتج عنها الاحتلال الانكليزي الذي وطد الامن في مصر وأحيى فيها العدالة وصيرها أمة متعلمة متحضرة غنية بعد ان كانت تهيم في دياجى الفقر والجهل والفوضى وسوء النظام

على ان تلك الحضارة التي بسطت انكترارواقها في وادي النيل بقوة رجالها وجهادهم المتواصل لم تبدد ميول الحزب الوطنى القديم من الصدور ولم تخفت صوته فاعاد نفر من المتمصرين (١) الحركة العرابية الاولى بصوت أشد وقام ينازع الانكليز في الوظائف التي يشغلونها ليتربع فيها ويستعمل سلطته للتنكيل بالامة واعادة المظالم الماضية والاضطهادات الغابرة وقد خال البعض في نعمة الصحافة المتمصرة ان هذا الامل سيحقق بالمساعدة الادبية التي بدت من بعض المستعمرين الفرنسيين ولكن جاءت اتفاقية سنة ١٩٠٤ بين فرنسا وانجلترا ضربة قاضية على كل أمل من هذا القبيل .

فهم ادعاء الوطنية مرمي السياسة الاوروبية ورأوا فيها تنشيطاً لانكترا على اتمام اصلاحاتها في الديار المصرية حتي لا تعود الى الهياج والعصيان مرة أخرى ولكنهم لم يقتنعوا بما رأوه وشعروا به بل اخذوا يضربون على نعمة الجلاء ظاهرا وعلى نعمة المطامع باطنا فانحاز اليهم بعض الموظفين الذين لم تؤهلهم كفاءتهم لنيل الوظائف العالية وفريق من الرعاع والتلاميذ الذين لا يفقهون معنى الوطنية والوطن ثم تبادوا في خطتهم الى درجة انحطوا فيها بالملت والاهانة على كل من يقول ان

(١) أعني بالتمصرين الفئات التي تتخذ الدين آلة للكسب والشهرة في الاقطار الاسلامية كما قال المرحوم الشيخ محمد عبده في رده على هانوته صحيفة ٤٠ فراجع هناك

الوطنية الحقيقية تأمرنا نحن المصريين باكرام النزلاء والاعتراف بفضل الانكليز واقتباس العلوم الحديثة منهم والاقتداء بهم في حضارتهم واعمالهم . وقد لا ينبغي لنا العجب من تهورهم الى هذا الحد البعيد ليس لانهم اهل وهم وخيال بل لانهم لا يعرفون من الوطنية سوى التعصب والتفريق والاثراء من البسطاء ولا من واجباتهم المقدسة سوى كره الانكليز وبغض الاجانب حتى لتجدن أشدهم ذكاء واكثرهم علما ومعرفة باحوال الامم وطرق ارتقائها يفضل ان يري مصر - وهي ليست وطنه الاصلى - قاحلة فقراء وابناءها فقراء جهلاء من ان يري انكليزيا او اجنبيا يعمل على عمرانها وزيادة مواردها ورفاهيتها

وقد اشتدت حركتهم عقب قيام شاب مصري المولد بغدادي الاصل يردد أصوات الثوار الفرنسيين وينشر كلماتهم على الامة حرفاً بحرف حتي تمكن من انشاء حزب على انقاض الحزب الوطني القديم . غير ان مدته لم تطل فتوفي الى رحمة ربه قبل ان يتمكن من اجلاء الانكليز عن مصر ؟! ومع ذلك فقد كانت وفاته اشبه بقرع اجراس الحزن على فقد قوة الحزب نفسه فانقرط عقده وخرج منه الوطنيون الاصليون بين مسيحيين ومسلمين حتى اصبحت قاصرا على جماعة من ابناء الشعوب الاسلامية المختلطة الاجناس كأنه معرض عام في كثرة السحن والالوان المتعددة . والظاهر ان اولئك المندمجين بالقوة في الجنسية المصرية قد راعهم سقوط هذا الحزب وهو يدر عليهم الربح ويذيع صيتهم

بين العامة من الناس فقاموا متسلحين بسلاح الدين وأخذوا يثيرون
المواطنين ويقلقون الخواطر ويلعبون بعقول الأحداث ويغررون بالرعا
موجهين في الوقت نفسه المطاعن والمثالب الى نبغاء الامة وفطاحل
رجالها العاملين على رفع شأن البلاد وتمدينها حتي اثروا على افكار أولئك
البسطاء المساكين وافهموهم انهم أولياء الله الذي اوحى اليهم ان يهجروا
من اوطانهم الى مصر لينقذوها من براثن المحتلين كما انقذ موسى
اولاد اسرائيل من براثن قدماء المصريين

صحيح انه يصعب على الذي لم يدرك ميول هذا الحزب المتطرف
ان يعرف مبادئه الخفية كما يصعب عليه ان يرى الفاظا يعبر بها عن رغباته
المتناقضة انما يستطيع استجلاء هذه المبادئ من أقوال اساطينه
وحرركاتهم المصبوغة بصبغة الجامعة الاسلامية حتي في ذات مطالبهم
بالدستور والاستقلال فيراهم اذا طلبوا الدستور كان لذلك معنى لديهم
غير المعنى المتداول لدى الامم المتحضرة اي انهم يطلبون دستوراً يسلم
مقاييد الاعمال والاحكام في البلاد الى فئة من ابناءها دون الاخرى واذا
طلبوا الاستقلال كان فقط لجلاء المحتلين المسيحيين وبقاء سيادة العثمانيين
المسلمين ولو في بقائها منافاة لمعنى الاستقلال الصحيح .

وربما كان اوضح دليل يؤيد ما ذهبنا اليه من صبغ مبادئهم بصبغة
الجامعة الاسلامية التي تستلزم دائماً ابداء تهيج الاحقاد الدينية في البلاد
طعنهم المستمر في كرامة الاقباط واصلهم ليهيجوا عواطفهم من جهة

ويبدروا بذور الشقاق بين صفوف الامة من جهة اخرى ومع ذلك فان مقالة احد اساطينه المشهورة التي هجا فيها الاقباط هجواً دل على منتهى الوقاحة والبذاءة لم تحرك عاطفة من عواطفهم بل مروا عليها مر الكرام. زد على ذلك مقاومة اولئك المتتمصرين للحكومة وعبثهم بدولاب الاصلاح وبذلهم الكثير من المساعي لا يقاد نار الثورة في البلاد ولو تسنى للجمهور المنتمي اليهم ادراك الحقائق لما استمروا الى اليوم عاملين على خراب البلاد وتأجيل زمن استقلالها

نعم ان حركاتهم الصببانية وصياحهم وعويلهم وندبهم بالجلال والاستقلال والدستور والحرية والوظائف لم تنلهم مراما وعرفوا حق المعرفة ان أوروبا تأكدت كما يتأكدون ان حركاتهم الحاضرة اسلامية لا وطنية او بالحرى حركة لا تستحق التعضيد من القادرين على التعضيد لكنهم ازدادوا تهورا وتعنتا فالفوا الجمعيات السرية لتهديد العظماء والكبراء وشنوا غارتهم القلمية الشعواء على كل ذي سلطة وعقل كبير فلم تمر الحكومة لهم التفاتا ولكن اعضاء الجمعية العمومية ومجلس الشورى طلبوا رسميا من الحكومة وضع حد لهذا الهياج فاضطرت بناء على الحاجهم ان تعيد قانون المطبوعات الذي اصدره المرحوم شريف باشا عام ١٨٨١

ظهر هذا القانون بفضل صياحهم وطياشتهم فزادهم هياجا وعصيانا ورجعوا المطاعن الى الوزارة البطرسية السابقة والى المحتلين وغيرهم كما

والتغنون بجرمة دنجرا الهندي ليشيروا عواطف البسطاء على اتباع
نوايه في ارتكاب جرمة القتل التي نهى الله وكل ذي شعور وإنسانية
أكما نهت الشرائع الأرضية ومع ذلك فقد ظفروا بشاب عصبي
أج من عصبتهم قام وأطلق مسدسه على المرحوم المخفور له بطرس
أغالي رئيس الوزارة السابقة فقتله (راجع ما كانت تنشره وريقاتهم
أجمع ما كتبه عنهم جناب السير الدون غورست في تقريره عام
١٩٠٩) وقد ارتكبوا هذه الجريمة بيد فرد من أفرادهم لا انتقاماً من
زير الكبير الذي كان أول العاملين على ترقية الأقباط المسلمين قبل
قباط المسيحيين بل ليحيوا عاطفة الشقاق بين العنصرين فأثاروا فعلاً
أطف الأقباط وكاد لولا عناية سمو الخديوي المعظم ورجال الاحتلال
قلأ الأمة من العنصرين أن يحصل ما لا تحمد له عاقبة ومع ذلك فقد
سل أشد من هذا وأدهى وهو بقاء الاحتلال بقاء أبدياً وكلمة تلفظ
جراي ويشون وبتمان ورزفلت عن مصر ومستقبلها لا حق
صديق من الف خطبة والف سمي من أمثال بلنت ودلونكل والمسيو
انير الاشتراكي الفرنسي والسنير انطونيو الفوضوي الإيطالي.
واذ ماتم عند هذه النقطة آخر مشهد من الرواية المحزنة التي
نوا يمثلونها من زمن بعيد على مسرح مصر فقد بدأوا بتمثيل رواية
رى أوهموا على مسرحها بسطاء المتفرجين بأنهم أصحاب الرأي
نول المسموع في البلاد ولكي يوطدوا تلك الخدعة على قاعدة خيالية

توافق العقول الصغيرة التي يستثمرونها اخذوا يهددون ولالة الامور من وراء حجاب كما هددوا رجال التحقيق والقضاة ان هم حكموا على القاتل الاثيم بالاعدام . نعم ان هذه الاعمال الصببانية جعلت الحكومة تشدد في مراقبتهم ولكن حاميا الواسع بهم وتعودها النظر اليهم يعين الاختصار والازدراء زادهم نفوذاً في صفوف البسطاء .

ومن مدهشات الوطنية عند أولئك الادعياء انهم الفوا نشيداً يمتدحون فيه القاتل ويترنمون بعمله الفظيع ليجرحوا عواطف الاقباط عموماً وينسبوا الى فريقهم المسلم فساد الاخلاق وعدم احترام الموتى ولست اقصد بهذا القول ان اخواننا أخذوا ينشدون هذا النشيد او يظهرون ميلاً لسماعه كلا ؛ وانما اقصد فئات الرعاع التي حرصها أولئك المتمصرون على انشاده فانشدته مسرورة من نعمته التي تماثل نعمات اناشيدها وهي لا تدري معناه ولا تفقه اسباب وضعه ومن كان لا يفقه ولا يدري فلا عتاب عليه .

واذا كان لا ينبغي لنا الاهتمام بامثال هذه الخزعبلات التي لا تخلو منها امة من الامة فقد ذكرتها فقط لايين نيات هذا الحزب وميوله العقيمة واساليب خداعه مثبتا في الوقت نفسه حادثة وقعت امامي وهي اني حضرت ذات يوم حفلة عند صديق من اخواننا المسلمين وتصادف ان المغنية انشدت هذا النشيد فاسكتتها ربة البيت في الحال واخرجتها قبل ان تنتهي الحفلة ثم اعتذر ربها الى المدعوين جميعا وكان بينهم اثنان

من أولئك الادعاء ولعلم يذكرون ذلك كما اذكره الآن .
وهذه النتيجة الثانية العظيمة الدالة على كون هذا الحزب دينيا
لا وطنيا تؤيد النتيجة الثالثة التي سأشرحها هنا وهي ان من طبعه
الغريزي قبول جميع مسامي الارض في الوطنية المصرية بغض النظر عن
الاصل والجنسية ولو ان هؤلاء لا يذهبون مذهبه بل يحافظون بارواحهم
على جنسيتهم واصلهم كما نشاهد في العثمانيين وغيرهم ويمكننا ان نثبت
هذا الطبع من نفس اقواله المأثورة عنه والمحفوظة في وريقاته قال
« ان الاسلام قد وحد بيننا ومحا من صفوفنا المميزات الجنسية

والوطنية وركب من مجموع شعوبنا امة سماها الاسلام فاصبح المسلم لا
يهم ان يليه تركي او عربي او بربري او سوداني وانما يهم انه لا يليه
الا مسلم يشاطره في عقائده الحرة ودستوره الاقدس وفي ميله الى الدولة
العلية ميل الوليد الى امه والبعض الى كله »

وكل هذه المبادئ وما ولاها من ضروب الثوران والهياج
اضطرت الوزارة السعيدية التي اخلفت الوزارة البطرسية ان تضع
حداً لها فشددت في تنفيذ قانون المطبوعات وسنت قوانين جديدة ومنعت
كل متمصر مثير من لقاء الخطب المهيجة وترديد اقوال الثوار التي
يرجمونها من مؤلفات اشتراكي الغرب وفوضوييه وينسبونها الى انفسهم
ليحاولوا بها اثارة الخواطر وتهيج الافكار ثم اتمت عملها هذا العظيم بتأليف

لجان من من العلماء لالقاء المواعظ الدينية الممثلة لروح الدين الصحيح في
المساجد ليتعلم العامة من الناس او امر الله ونواهيته حتى لا تؤثر عليهم ترهات
اولئك المثيرين الذين يزعمون تنوير العقول وارتقاء الافكار واتحاد عناصر الامة
وفعلافان هذا العمل الممدوح لم يلبث أن اثار ثائرتهم على الوزارة
السعيدية فنسبوا اليها كما نسبوا الى غيرها عدم الوطنية والشعور القومي
والي الى آخر ما هنالك من ايات الطائشين ثم حرصوا شابا معدا قتل
الخنوع وارهقه الظماء على نظم قصائد يمتدح بها القاتل ويطعن فيها على
سمو ولي الامر الذي امر الله بطاعته وعلى المغفور له بطرس باشا وعلى
الاقباط والمحتلين وعلى ناظر الحقانية وغيرهم فنظمها وطبعها في كتاب
خاص فصادره البوليس وقررت النيابة محاكمته ومحاكمة مقرضيه
ولكنه كان افلت من جرادة العيار ففر هاربا وترك محرضيه في قبضة
النيابة التي احالتها على القضاء فحكم على اولها بالحبس ثلاثة اشهر وحدد
للثاني جلسة لمحاكمته ومع ذلك فان الحبس لا يشفيهم عن هياجهم
والهياج كما هو معلوم يدر عليهم الريح والشهرة

وربما يتساءل القارئ لماذا لم يضعف الحبس نفوذهم بين البسطاء
والرعاع فاجيبه بانهم يموهون على اولئك المساكين بان قادة الامم
وطلاب الحرية في كل بلد وهم من أمثالهم طبعاً معرضون للحبس
والتعذيب والتنكيل ويستشهدون على ذلك بحبس نابليون وواشنطن
ويوسف الصديق وجاريلدي ورشفور وغيرهم ولو انهم لم يقرأوا في

التاريخ أن واحداً من هؤلاء حبس لانه شتم رئيس الوزراء وكبير القضاة
ولا أن واحداً منهم هجم على اعراض كرام الناس كما هجموا ولا طعن
في الموتى من نوابغ الرجال كما طعنوا ولا تجنس في جنسية غير جنسيته
كما تجنسوا بالجنسية المصرية قوة واغتصاباً

هكذا يعمهون على عقول البسطاء وهكذا يرون السجن يفتح ثم
يفلق عليهم وعقلاء الامة وافاضلها ينفضون من حولهم الواحد بعد
الاخر والبلاد تقع في ضيق وعوز من طياشتهم والامة تهم بالتعصب
لتعصبهم ولكنهم لم يثوبوا الى الرشد ولا ارعوا عن العصيان بل اتخذوا
اساليب اخرى للتغريز تارة بالاحتجاج على احتلال الانكليز وتارة
بعقد المؤتمرات التي انتهت بطردهم من فرنسا واعلانها لهم انها لا تقبل
في بلادها قوما لا وطنية لهم ولا جنسية صحيحة تدل على مصرتهم
وهيئات أن تسمع اوروبا لهم صوتاً وهم يحاربون ابناءها بل هيئات
أن تسمع نداء غير نداء المصريين الحقيقيين الذين يمثلون الاقباط
المسلمين والمسيحيين وهؤلاء يدركون فضل انكسرتا في ترقية بلادهم
بل اذا رأوا منها تقصيراً ما في شأن من شؤونهم طلبوه منها بالدعة والدين
وما ينال من القوي باللطف خير مما ينال بالعنف

واذا ما قلنا انهم يحاربون الاوروبيين في مصر فاني اثبت ذلك
بنفس اقوالهم المحفوظة في وريقاتهم قالوا :

« يرى بعض خفاف الاحلام أن الوطنية الصحيحة تنافي أن

تتعلق بالتركي والتونسي والمغربي والسوداني كما تنافي أن تتعلق بالانكليزي والفرنسوي والالماني سواء بسواء ولذلك رآهم يتعجبون اذا سمعوا عنا اننا نتقرب الى الاتراك وباقي الامم الاسلامية ونتسامح لهم فيما لا نتسامح به للانكليز وغيرهم من الاجانب ووالله لا ادري هل اصاب هؤلاء (خفاف الاحلام) طائف من الجنون فاصبحوا لا يعقلون (١) وهناك رسائل عديدة على هذا النحو تملأ وريقاتهم وتثبت طعنهم على الاوروبيين طعنا ثقيلا سقيما ومع ذلك ان لم استطع ايرادها هنا لضيق المقام فاني اعجب منهم كيف يطعنون على قوم ويوجهون اليهم المثالب ثم يستغيثون بهم ويولون شطرهم نحوهم ليأخذوا بناصرهم ويحلوهم من امة هي منهم وهم منها وسلوا اولئك المتمصرين عن ذلك سلاوهم لعلمهم يجيبون !!

بقي علينا البحث في اعمال هذا الحزب من الوجهة الاجتماعية فنقول أن اول هذه الاعمال انه اوقف بعض الاحداث من الطلبة موقف المجرمين وعطل مئات منهم عن مدارسهم ودروسهم لا لغاية محمودة أو غرض شريف بل ليصيحوا معه صيحات متعارفة متألفة « ليحي وليسقط » . وغر بعضهم بكلمات الكاتب والخطيب والوطني

(١) راجع الصحيفة الثانية من ورقة عدد ٢٣٤ الصادر في ١٧

الغيور على كتابة الرسائل طعنا في المحتلين وفي الاجانب والاقباط
 فعطل مستقبلهم وحرّمهم النجاح في امتحاناتهم بل ومما يقضى بالعجب
 ويضحك الشكلى انه اذا حاول الاحتجاج على المحتلين أو الفرنساويين
 مثلاً أو على مشروع عظيم لا يوافق مبادئه العقيمة نشرف في وريقاته تلغرافات
 ممضاة غالبا باسماء افراد لا وجود لهم الا في مخيلته أو اسماء اناس اميين
 لا حيشة لهم ليزيد البسطاء والسذج تغريرا بان الامة في جانبه . واليك
 مثالا من امثلة احتجاجاته التي ينشرها من حين الى حين .

« نحن اهالي وراق الحضر نحتج بشدة على بقاء الاحتلال ونطلب
 من زعمائنا بسط مطالبنا للعالمين »

الامضات

الحاج حسن النجار . الحاج محمد الزمار . المعلم جرجس النساج
 المعلم حنا الطباخ .

واذا بحثت عن تلك البلدة تجدها قرية حقيرة خالية من مكتب
 للتغراف وليس بين اهاليها اشخاص بهذه الاسماء ولا واحد يعلم
 بان هناك حزبا وهميا يعارض الحكومة والمصلحين ومع ذلك فاذا
 حاجبتهم على هذه الاعمال الصبائية كان مطلق جوابهم نحن قادة الامة
 نحن نبث الشعور الوطني في نفوسها ولو بتعليمها الكذب والنفاق
 والتدجيل وقلب الحقائق .

ومما يؤكّد القول بضرورة واضحة ان الاياء الذين لاحظوا على

ابنائهم الاشتغال في السياسة العاطلة نصحوهم بالعدول عنها وعن الالتفاف حول فئة ثائرة ولكن احدا ساطينها عز عليه انفضاض التلاميذ من حولها فوقف في مجتمع عام حضره الوف من الطلبة والاحداث وقال لهم بصوت عال

« لا تطيعوا ابااءكم فان الزمان كفيل بسحقهم فاعصوهم . اعصوهم
ولا تحفلوا بنصائحهم العقيمة »

قال لهم هذا القول وكبار المصلحين والمفكرين في كل ارض وكل زمان يقولون ان خير واسطة لترقية الامم ورفع شأنها انما هو بقاء الابناء في طاعة والديهم وهذا موسى النبي يقول في وصايا العشر « اطع اباك وامك » . وهذا عيسى في انجيله يقول « اطع اباك وامك فانها اول وصية بوعد » وهذا محمد يقول في قرآنه « ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما » فانظر الى ما قال الله والعلماء والى ما يقوله دعاة الوطنية واحكم بعد ذلك بما شئت عليهم .

والنتيجة ان المتأمل في كل ما حل بمصر واصابها من الكوارث والبلايا وتأيد اقدام الاحتلال في البلاد ونزع السلطة الفعلية من ايدى الوطنيين يرجع الى اعمال هذا الحزب التي تنحصر في الامور الاتية وهي
اولا تحريضه الوطنيين على كره الاجانب في حين ان المصريين لا يستطيعون نيل الاستقلال بدون مساعدة الاجانب وانعطافهم .



المستر روزفلت

Mr. Roosevelt

وثانياً - طعنه الجارح وحملاته الشديدة على المحتلين واغماض فضلهم مع العلم ان السياسة الاوروبية التي تقلب العالم ككاشاء تسير على قاعدة الحق للقوة لا القوة للحق والمصريون قوم ضعفاء لا حول لهم ولا طول فالاولى بهم أن يوالوا الانكليز ويقتبسوا من مدنياتهم الراقية لما يؤهلهم للرقى .

وثالثاً - مسأعيه المستمرة لايقاد جذوة الخلاف بين العناصر الوطنية لفصم عروة اخائها وتجزئتها الى فرق متعادية تقاوم بعضها بعضاً مقاومة تمنع عنها احراز ثقة دولة من دول اوربا التي تقدر على منفعتها ورابعاً - تغريزه بالطلبة والبسطاء من ابناء الاعيان على عدم الطاعة لوالديهم ومدرسيهم . ولا تخفي النتائج المضرّة التي تحصل من وراء ذلك والصفات المنحطة التي تتأصل في نفوس الاحداث والشبان وخامساً - انكاره لفضل النوابغ وكبار الرجال من المصريين امثال المرحومين الشيخ محمد عبده وبطرس باشا وقاسم بك امين وامثال رياض باشا وسعد باشا زغلول وفتحي باشا زغلول وغيرهم من الافاضل الذين تفتخر الامة بهم عدا عن طعنه المستمر فيهم . واذا كان غرضه من الخط باقدار الرجال أن يجعل نفسه الالف والياء فقد حط بقدر الامة كلها وانزلها منزلة الشعوب الجاهلة التي لا تعرف فضل العاهلين فيها وسادساً - تهيجبه العمال على الاعتصاب بحجة الاخذ بناصرهم في حين أنه يقضى عليهم وعلى أرزاقهم ويوقع أولادهم في الضيق والجوع

كما حدث أخيراً. ومهما يكن من استسلام هؤلاء له فهذا شيء لا يهمننا البحث فيه طالما كان الجاهل عدو نفسه ويسهل قيادته خصوصاً في أمة سهلة الانقياد سريعة التصديق .

واني اختتم هذه الكلمة بما قاله المؤيد في عدده الصادر يوم الثلاثاء ٢٣ سبتمبر سنة ١٩٠٩ في عرض كلامه عن المسألة المصرية والحزب الوطني ما نصه :

«مهما قال مخالفونا السياسيون عنا ومهما اعتدوا على شرفنا ورمونا بخيانة الوطن ومناصرة أعدائه - مهما قالوا وتقولوا علينا فاننا نناديهم بجرمة الوطن ونناجيهم بحقوقه المقدسة ونستحلفهم برفات اجدادهم في قبورهم ان يعدلوا خطتهم وان يعتدلوا في مسلكهم وان يحكموا العقل قبل الشعور في أقوالهم وافعالهم فانه يوشك ان يكون رد الفعل مهدداً بدلا من ان يكون منقذا وأن حكم القائل خطأ في تاريخ الامم حكم القاتل عمداً وقانا الله شر بوائق المهلكتين »

يستحلف المؤيد مخالفه المتطرفين في المسألة المصرية بان يحكموا العقل قبل الشعور ولكنه أخطأ في تحليفهم بوطن ليس وطنهم وباجداد ليسوا باجدادهم ومع ذلك فتقرير هذه القاعدة في اوسع الجرائد الوطنية انتشاراً واحسنها مكانة في قلوب العقلاء والمعتدلين دليلاً من الأدلة على ان كل الامة شاعرة بضرر هؤلاء المتعصرين . وقالت جريدة الاهالي في عددها الصادر في ٤ ديسمبر الماضي عن هذا

الحزب ما نصه ايضا

« ما منا من يجهل اننا لو وقفنا اليوم في وجه الاحتلال وقفه الخصم للخصم والعدو العدو لبؤنا بالخيبة وخسرنا في اقل من خطوة واحدة مستقبلا كاملا ومن شر انواع الحماقة ان نريد الحرية فنقضي على انفسنا هذا القضاء »

« ان سلاحنا وقوتنا في المستقبل ما نعهده اليوم من العلم والتربية وما نبذله من الجهد في ترقية احوالنا الاقتصادية فان نحن اعددنا من ذلك ما يكفي فزنا بأمنيتنا وان نحن اهملنا ورضينا بالكلمات نرسلها نعيب بها من لا يضرب الاحتلال بعصاه لسبب ولغير سبب ومن لا يصرخ مع الصارخين بالالفاظ المنتفخة بقينا الى الابد كما نحن وازددنا ضغنا على ابالة »

هكذا تقول جريدة الاهالي لسان حال الوزارة المصرية الواقفة على دخائل الامور وعلى هذا النحو يقول المقطم والاهرام ومصر والوطح ويقول العقلاء في كل مكان ومع ذلك ازداد المتطرفون تهورا وتعنتا وهو امر لا يجب ان يفضي الى العجب طالما كانت البلاد غير بلادهم وطالما كانت الشعوب هي الطريق الوحيد لارزاقهم

واجمال القول أن الحركة الحالية حركة وهمية يقوم بها أفراد من غير المصريين اصحاب البلاد ويسرون على مبدأ الصراخ والاستصراخ أو بعبارة اصرح على غير نظام معروف أو مبدأ مالوف اللهم الا في

أساليب استغلال المال ونيل الشهرة ولعل تلك الكلمة التي أجلناها تجعل المصريين عموماً الذين ينشدون استقلالهم أن لا يحفلوا بأعمال هذا الحزب والاعية الصبانية وأن لا يتأثروا بطاعته وخزعبلاته بل يجب أن يتركوه ينتحر كما انتحر الحزب العراقي من قبل

وطنية الاقباط

هي تلك الوطنية العالية التي رآها العالم تعمل كثيراً وتقول قليلاً بل هي ذلك الشعور الوطني القويم الذي مجده الامم لانه تسلسل الى الاقباط من دماء اجدادهم. مجده لان المظالم والاضطهادات لم تشهم عن التفاني في حبه . مجده لانهم يجاهدون في سبيل خدمته جهاد الانبياء مجده لانهم لبثوا يرشدونه في ازمة الضيق والجهل كما صاروا روحه العاملة في عهد الحرية والنور .

سلوا مصر وحدها فهي تقول لكم أن الاقباط يقدمون لي ٣٠ في المائة من مجموع المتعاضدين ليأهلوني الى الاستقلال ونيل الدستور . سلوها تجيبكم بان الاقباط يرفعون شأني بحفاظتهم على اموالهم من الضياع وهي قوتي الاولى للتحضر والارتقاء . سلوها تجيبكم باني سميت باسمهم لان كلمة اجبت معناها « ارض القبط » . نعم سميت بها لانهم يحبوني ويتفانون في حي كما يرعون عهدي

اجل واذا كان الاقباط لا يحبون وطنهم الذي اظلم واقلهم كل تلك القرون والاجيال ولا يدافعون عنه باموالهم ويفقدونه بارواحهم أحببه

تلك الفئة المتمصرة التي فرت من وطنها الاصلي وتناست حبه وحب الوطن من الايمان .

ارجعوا الى التاريخ الصامت المتكلم . ارجعوا اليه تعلموا ان الاقباط أكثر وطنية واشد جهاداً في المحافظة على وطنهم لان البلاد بلادهم والحياة التي تجري في واديهما حياتهم والرقى الذي يبسط جناحيه في ارضهم هو ثمرة جهادهم المتبعث في عواطفهم والخارج من صدور أجدادهم الذين ان دالت مملكتهم وذهبت في جوف الفناء فقد أبقوا لهم هذا الوطن الخصب يجاهدون في سبيله جهاد الانبياء ليعيدوا اليه مجداً ذهب واستقلاً لا فقد .

يجاهد الاقباط هذا الجهاد العنيف لا بالصحف وان كان لهم منها حظ وفير ولا . بالخطب والصياح ولكن بالتعليم والتهديب والوطنية الحقبة التي تقضي عليهم باتباع المدنية الغربية حتى يصلوا اليها ويكونوا اهلاً لان يسيروا معها جنباً لجنب بل اهلاً لان يكونوا احراراً في بلادهم متساوين مع الغير في مراقبتهم ومصانين في اموالهم وأرواحهم ولا جدال في ان كل جهاد من هذا القبيل انما هو مقرب لزمان الحصول على الاستقلال والحرية وما عداه من عقد المؤتمرات الى قلب الحقائق الى شراء الصحف للتشهير بالحكومة والطعن على المصلحين انما هو فضلاً عن مخالفته للعقل والنقل وفضلاً عن ظهوره من أفراد عرفوا بالتعصب الديني فهو مؤخر ليوم الاستقلال وساعة الدستور التي لا يعلم الا الله متى يكونان ؟

يقول أولئك الطائشون ويقول اتباعهم الاعمياء ان الانكيز
يقاومون الرقي ويما كسرون التعليم وينفقون اموال البلاد في غير سبيلها
فليكن ما يقولون - ولو انهم الذين يقاومون ويما كسون ويسلبون
أموال البسطاء والعمامة لاتفاقها في ملاهيهم وشهرتهم - لان وطنية
القبطي تقضي عليه بان يترك الانكيز يعملون ما شاؤوا في الحكومة
وما أرادوا في البلاد مادامت أغراضهم موجهة الى الخير وعنايته
هو موجهة الى الاخذ بأسباب التعليم والتهديب وترقية الصناعة وكل
ما يؤول الى تمدن أمته وايصالها الى نقطة تؤكده للانكيز وللعالم
أنها أصبحت حية وخلققة بان تترك وشأنها لتحكم نفسها . وأظن ان
هذه الوطنية الصريحة هي خير مثال لكل أمة محكومة ومغلوبة على
أمرها أما اعتقاد المتمصرين أن الوطنية لا تقوم الا بالقول والاستقلال
لا يتم الا بالصياح فهو اعتقاد فاسد وما اذا حاولوا ان يهزوا عواطف الاقباط
ويغيروا خططهم الرشيدة الى خطة الطائشين فقد حاولوا مستحيلا . ولو
تصفحوا التاريخ لتأكدوا أن الحكومات التي توالى على مصر ما
استطاعت بقوتها ومظالمها أن تخمد جهاد الاقباط في سبيل اعادة
مدنيتهم الزاهية وحضارتهم البائدة ولا ان تغير عاطفة الوطنية العالية
من صدورهم وهي منقوشة عليها لن تمحى ولن تزول

ومن ينكر على الاقباط وطنيتهم العالية وهم أول من رفع نير الظلم
عن عاتق مصر في أخريات حكم المماليك بدهاء رجل منهم لا تنساه

ولا ينساه التاريخ وهو المعلم رزق وزير علي بك الكبير الذي ذقت
مصر في عهد وزارته الراحة والهدوء . من ينكر عليهم تلك الوطنية وهم
أول من عضد محمد علي باشا الكبير في ترقية مصر وتهذيبها برجال
منهم استوزرهم فكانوا أعلاما في التاريخ . من ينكر عليهم تلك الوطنية
وهم أول من انفض من حول عرابي يوم كانت الامة كلها تسير وراءه
وأكبوا جريمته للامة والوطن . بل من ينكر عليهم تلك الوطنية
التي أظهروها بابتعادهم عن حزب طائش يؤخر البلاد بدلا من أن
يقدمها ويطمس عقول أبنائها بدلا من أن ينيرها ويزيد تعلقهم بتركيا
لتبقى بلادهم الى الابد مستعبدة لغيرها . وكل هذا ينافي وطنية
الاقباط التي تعمل للاستقلال التام ولايجاد مملكة حرة مستقلة بعلم
مصري يحث يمثل عناصرها المختلفة ويمثل وحدتها ويمثل هذه الوطنية
الشريفة تعز الامم وترتقي الاوطان

وزارة المعلم رزق

بقيت تلك الوطنية الراقية حية في صدور الاقباط نامية في
عواطفهم بالرغم من ظهور العاطفة الدينية باجلى مظاهرها في عهد
الحكومات التي تولت ملك مصر بل وبالرغم من سيطرة تلك العاطفة
على نفوس الامة سيطرة فعلية جعلتها راضية بكل ما يصيبها من خير
ومن شر . من سعادة ومن شقاء . من عبودية ومن حرية . ولوعدنا
الجهل من اكبر الاسباب التي وطدت دعامة تلك العاطفة وزادتها

رسوخا فان العلم في ظروف كثيرة حال ايضا دون الامة في تكييف
 الفروق بين البداوة والحضارة وبين الرقي والانحطاط بل وبين العبودية
 والحرية ولولا الوطنية العالية التي تتمشى في صدور الاقباط وتدفعهم المرة
 بعد المرة الى خلاص بلادهم وكسر اغلال العبودية المتسلطة على الشعب
 بتعليمه الوطنية الصحيحة وكيفية تأثيرها على حياة الامم لما عرف هذا
 الشعب معنى الوطن ولا فقه لذة الحرية

على أن تلك الحوائث والاسباب تجعاني اتخطى بسرعة القرون
 والاجيال التي تتهقرت فيها شيخة المدينة القديمة وعادت الى عصر
 الطفولية الساذجة لاقف على عتبة حكم المماليك الذين حاولوا أن يستقلوا
 بملك مصر الهائم متمصروها في حب شيخ المغول (نسب الاتراك)
 الذين وقفوا في سبيل امنيتهم بان احدثوا شبه احزاب مماثلة للاحزاب
 الحاضرة من حيثية عاطفتها الدينية وتطرفها في حب تركيا واحتمالها لكل
 اضطهاد وضيق في سبيل سيادتها على هذه الديار

احس المماليك بهذه العاطفة فاعتقدوا أن المصريين اهل عبودية
 ورق فاستهانوا بهم وسلطوا عليهم تيار اضطهادهم الذي كان يتدفق بلا
 رحمة ولا شفقة حتى جعلوا منازلهم مقابر يدفنونهم فيها احياء ومقابرهم
 مراسح يمثلون عليها كل انواع الهمجية والتوحش وكان للاقباط اكبر
 نصيب من هذه الاضطهادات لا मिलهم الى تركيا وتعبد لهم لها تعبد
 الحبيب الحبيبه الكثير الصدود بل لاقليتهم من جهة ولخالفهم للعقيدة

العامّة التي يدين بها العدد الاكبر من الامة من جهة اخرى .
 شعر الاقباط بما امست فيه البلاد من المذلة والمهانة فانتبهوا من
 غفوتهم واندفعوا ينقذون انفسهم واخوانهم من هذا الشر المستطير
 بان جاهدوا بلسان عميدهم المعلم رزق وزير علي بك الكبير الذي خدم
 مصر الخدمة الجليلة التي خلصتها من غائلة الغائلين بما كان يحول في
 نفوسهم ونفس هذا الامير ورجاله من اعلان استقلال مصر وجعلها
 مملكة حرة منفصلة عن تركيا تمام الانفصال ليريحوا حكومتهم من
 دسائس تلك الدولة العاتية وليحفظوا للامة ثانياً تلك الجزية الباهظة
 التي تمكنها من الانفاق على مصالح واعمال شتى تزيدها رقياً وتمدناً
 اظهر الاقباط تلك العاطفة الوطنية الشريفة في زمن لم تعرف فيه
 مصر من اين تولد ولا من اين تخلق ليعلموا الممالك انهم امة تحب
 الحرية وتجاهد في سبيلها ولكن الاحزاب المائلة للاتراك راعتهم هذه
 المجاهرة باعتبار أن الاستقلال مشين والحرية مخطرة أن لم يكونا تحبت
 نظر تركيا وانعطافها وبذلك انبثت في الامة فكرة العبودية لتركيا
 والرضوخ لها ولو أن تلك الفكرة كانت في مبدأ الامر ضعيفة
 ولكنها قويت ثم صارت عزيمة فعقيدة امتزجت بعواطف الامة
 وشعورها ودمائها وميولها فافسدت ما كان يرمي اليه الاقباط من
 سعادة البلاد وتحريرها

ليت تلك الاحزاب التي تظهر وتختفي بين زمن واخر بظهور

الوطنية العالية في صدور المصريين اكتفت باكبر اثم ضحت فيه الوطن واهله بل اخذت تدس الدسائس وترفع التقارير الى تركيا حتى اقلقتها ومشت الخوف في صدرها واضطرتها في نهاية الامر الى ارسال بعض رجالها لقتل علي بك ووزيره المعلم رزق ولكن حرص الثاني وحذره مكن الاول من قتل هؤلاء الرجال بسيفه واخذ منهم الاوراق التي يحملونها الى والي مصر المعين من قبل السلطان والمختصة بقتله وقتل وزيره وتلاها في مجلس مؤلف من اعيان المماليك والمصريين فانار عواطفهم على تركيا حتى انهم اقروا على طرد الوالي واعلان استقلال الديار المصرية .

وقف علي الكبير عقب ذلك الزار في وجه الدولة حتى اضطرت الى التسليم بمشيئة في استقلال الديار المصرية تحت سلطته وقد اعلن ذلك الاستقلال رسميا عام ١٧٦٨ ميلادية وما اذيع هذا النبأ في انحاء البلاد حتي اقيمت الحفلات والمهرجانات تخلصا من مظالم تركيا وكان اكثرها بهاء وزخرفا ورونقا ما اقامه الاقباط تيمنا باعادة الاستقلال الى وطنهم المحبوب الذي يعيشون فيه حتى قدر المستر پروس السائح الانكليزي الشهير الذي اخترق القارة الافريقية وقتئذ نفقات حفلات الاقباط بعشرين الف ليرة انكليزية . وهنا تتمثل الوطنية الحقبة بل هنا يلقي الاقباط المبادئ الصادقة لكل من اراد ان يكون وطنيا أو أن يعرف ما هو الوطن

على ان ذلك العمل الكبير الذي قام به علي بك بدهاء وزيره
المعلم رزق العلامة الفلكي كما كناه المستر بروس زاد هذا الحزب
المتطرف في حب تركيا والمشتغل في الخفاء لصالحها حقدا وحنقا فاندفع
يعيد الدسائس والفتن والمشاغبات والقلال حتى تمكن من اثارة خواطر
المماليك وعاطفتهم الدينية فخافوا علي بك وقتلوه على ما هو معروف
في التاريخ ثم حاول أن يثيرهم على المعلم رزق فخابت مساعيه لتقربه منهم
ومحبتهم له فاعتمد على قوته في البطش بهذا الوزير بان حرض رجلا
يدعى أحمد الشنان تربص له اثناء خروجه من منزله وطعنه بخنجر
أودى بحياته . وهكذا فقدت مصر استقلالها وعادت فوضعت رأسها
في فم الحوت كما عاد أبناءها فوضعوا أرواحهم واموالهم وأجسادهم
تحت نير الاضطهاد والحن الشداد التي توالى عليهم زمانا طويلا حتى
عهد محمد علي باشا الكبير .

فما الذي يتضح من كل ما تقدم ومن هذا الحادث التاريخي العظيم ؟
الا يتضح ان في مصر وطنيتين أو عاطفتين مختلفتين شكلا وصورة
فاية عاطفة منهما أرقى . أوطنية الاقباط التي ترمي الى الاستقلال البلاد
استقلالاً تاماً والسعي في ترقيتها وتمدينها بقوة أبنائها أم وطينية الذين
يجاهدون في بقائها تحت سيطرة الدولة ونفوذها وعبوديتها الى ما
شاء الله فوق مبلغ السبعماية والخمسين الف جنيه الذي تأخذه من عرق
المصريين وتعب المصريين بدون أدنى مسوغ شرعي وبغير خدمة

عميمة ينتفعون منها وبلا جميل واحد يحفظونه لها من أول عهدهم بها .
 ان المنصف لا يسعه الا اكبار بوطنية الاقباط وحبهم لبلادهم حباً
 صحيحاً ان لم يكن لجهادهم في تحريرها فبأخذهم بأساليب المدنية الغربية
 لا الشرقية وبعنايتهم العظيمة في ترقية التعليم وفتح المدارس وتعضيد
 الزراعة والصناعة وتنمية روح الاقتصاد وتعميم التجارة ولولا هذا الحب
 الوطني الشريف الذي لا يعرف فرقا دينيا ولا يهتم بالانعطاف على امة
 غير أمته لما مدوا ايديهم ووهبوا نوابغ وجالهم في كل زمان لاستقلال
 بلادهم وتعليم الأمة أن العاطفة الدينية هي العثرة الوحيدة في سبيل هذه
 الأمنية خصوصا اذا كان ما وراء هذه العاطفة خسارة مبلغ عظيم هي
 في اشد الحاجة اليه وتضحية الصواالح العامة على مذهب دولة لم تمد لها
 يدا في اوقات ضيقها وشقائها ولم تنل منها في كل أدوار حياتها الا
 المظالم والعبودية

على اني أعتقد انه لا يوجد مصري صميم يعيل ان يكون عبداً
 أو مسوداً لامة اخرى أقل منه حضارة ومدنية وحرية وثروة وعلماً
 وتقدماً بل يحب أن يكون سيداً عليها ان لم يكن ممثلاً لها وما نحن
 الا أمة تترفع عن الضيم والعبودية وعن محبة المستبدين وسلوا
 التاريخ فهو وحده يذكر وطنية الاقباط العالية واجتهادهم
 في خدمة بلادهم بالهدوء والاخاء والتسامح

الاحتلال الفرنسي

ان الظروف الشديدة والتقلبات المستمرة التي توالى على مصر بعد موت علي بك الكبير واعادت السلطة العثمانية ثانية اليها قد اعادت كل انواع الفتن والمشاغبات وضروب الفوضى والاضطرابات التي اهلكت القرى واهلها وصيرت الجميع حيارى لا يعرفون كيف يتقون النوازل المتعددة التي تقودهم بين كل لحظة واخرى الى الموت على أفطع انواعه وتسوقهم من حين الى حين الى الفقر المدفع والقحط الشديد الذي لا يصفه فكر ولا يصوره قلم . وبالرغم عن سعي المعلمين ابراهيم الجوهري وملطي يوسف وواصف المصري وفتيوس حنا كبار الاقباط في ذلك العهد وتأثيرهم على المماليك بتلطيف ميولهم في معاملتهم للاهالي فان الولاة الاتراك الذين كانوا ميالين لاستعباد الامة ومص دمائها على مذبح ظلمهم المريع كانوا يدسون الدسائس بطبيعتهم الفطرية بين امرء المماليك ليستمروا قتالهم حتى يستمروا هم على ارتكاب المظالم والاضطهادات بين الاهالي بلا رقيب ولا مقاوم . وكم من ايام وليال هائلة رأيتهم مصر يعيرون أهلها ولا يمكن حصرها في حدود معلومة وان أمكن وصفها بالدمع واللبيب فيمكن وصفها أيضاً بأنها روت أديم الارض بالدماء وسمدتها بالجثث ويبيستها بالمنازل المتهدمة على سكانها كما قلبت أفراحها أتراحا وغناءها عويلًا وثروتها فقرا وسعتها ضيقا وبالله من تلك الليالى السوداء ومن الطامحين لاعادتها في هذه الايام

بقيت مصر هكذا تتردد بأهلها بين الموت والحياة وبين الشقاء والظلم مدة حكم الولاة العثمانيين حتى احتل الفرنسيس وادي النيل وهزموا المماليك والعثمانيين شر هزيمة بجوار الاهرام وما والاها ونكلوا بهم تنكيلا يعرفه التاريخ الصامت المتكلم فتنفس المصريون من كربهم وتراجعت اليهم ارواحهم وعاد أهلهم باعادة العدالة والحرية الى بلادهم ولو بشكل سيمنع الاعتداء عنهم ويصون اعراضهم من الضعة واموالهم من السلب وارواحهم من ضروب الجور وسلوا الارواح التي استشهدت على مذابح الارهاق والعذاب والذل بلا ذنب ولا جريمة لتجبيكم عما اصابها بل سلوا ارواح حسن بلشاك البحري وطاهر باشا وعابدي باشا وغيرهم من الولاة الاتراك لتجبيكم عن عذابها المهلك في الاخرة لشدة ما ارتكبته من المظالم والمغارم في مصر وكثرة استعبادها لبني الانسان استعباداً شدد عليها عقاب الله الأمر بالعدل والانصاف بين الناس

على أن فريقاً من ابناء البلاد المتمذهبين بالمذهب السيادي (الارستوكراتي) وجماعة المتمصرين المتشيعين للمذهب ولالدين أخذوا يشتغلون في الخفاء لاعادة سلطة تركيا حتى لا يزول نفوذهم وحتى لا تمحى سلطتهم على الاهالي وسيطرتهم في السلب والقتل بلا حساب ولا ثمن ولا عقاب ولا مراقب غير أن مساعيهم هذه فقدت خاصيتها في مبدأ الامر لوقوف الاقباط حيالها وجهادهم في تفهيم أصحاب السلطة

الشرعية في البلاد بما تنويه تلك الفرق الضالة من نشر الفوضى وتعميم
الظلم فحفظوا بهذا الصنيع الدال على الوطنية العالية والتسامح الفطري
أرواح الامة وصانوا أمرها من عبث العابثين ولو أن الامة لم تعرف
مقدار هذا الصنيع وفضله الا بعد ان بثت الفرق روح الفتنة بين العامة
والرعاع ودفعتهم الى القيام بمشاغبات عديدة ومتوالية كانت نتائجها
هلاك الكثيرين منهم بالرصاص والقنابل في جهات الازهر وباب
النصر والحسينية وايجاد النفرة والحقد في نفوس الفرنسيين للتكيد
بالمصريين واستعمال كل شدة في مقاومتهم وكبح جماحهم ولكن
وطنية الاقباط أثبتت الا أن يعيش أخوانهم في الحرية التي يجاهدون
لأجلها في سبيلهم وفي العدالة التي يتحملون كل ضيم لرفع منارتها بينهم
فوسط كبار رجالهم وأعيانهم لدى الجنرال نابليون بونابرت
وكبير حاكم مصر في ذلك العهد بان يرفقا بالمصريين وان لا يأخذاهم
بجريمة رعاعهم وحرافيشهم الذين يوجد امثالهم في كل أمة وكل بلاد
فعمل بونابرت بأشارتهم وأمر رجاله باستعمال الرفق والعدالة مع الاهالي
اجمعين (راجع تاريخ مصر للمسيو فليكس منجين المؤرخ الشهير)

جاءت تلك الوساطة خيرا على مصر بان نسخت أية المظالم والشرور
واقامت مكانها آيات العدالة والحرية فرتع الاهالي في مجبوحة الهدوء
والرخاء زمنا ليس بالقصير تمكنوا في خلاله من الاهتمام بشؤونهم
الداخلية واصلاح احوالهم وتنمية مزارعهم واعادة ثروتهم . غير أن هياج

الحزب المالي، للاتراك ازداد تطيراً عن الاول فاستفحل امره وكثرت
دسائسه بين الاهالي والعامه باسم الدين حتى ذاع نباء خروج الفرنسيين
من مصر عقب المعاهدة الاولى التي ابرموها مع الدول فاثار العامة على
قتل الاقباط فعمت الفوضى وانتشر القتل والسلب ولم يسلم من الاقباط
الا بعض كبارهم وافراد قليلين منهم اقتدوا انفسهم بالمال الكثير كما
اقتدى الشيخ خليل البكري نفسه أيضاً لانه كان موالياً للاقباط
ومدافعاً عنهم .

قدر الله بعد ذلك بانتصار الفرنسيين على الاتراك بضربهم تلك
الضربة الكبرى في المطرية التي لم تزل تنزل الى الساعة من هولها
(راجع التايخ ان اردت) فانكمش بعض المشيرين للفتنة في منازلهم
وأخذ البعض الآخر ينزوي في المغائر أو في الصحراء خوفاً على ارواحه
من بطش الفرنسيين الذين دخلوا القاهرة ثانية والقوا القبض على
السادات وبعض المشايخ والبكوات والاغاوات وزعماء الفتنة وزجروهم
في السجن لاعدائهم على ما جنوا ومع علم الاقباط أن هؤلاء المسجونين
قتلوا اخوانهم ودصروا بيوتهم واستعملوا كل ما يمكن للمضطهد استعماله
من عوامل العذاب والفظاعة فقد ترفعت وطنيتهم العالية عن تركهم
في ظلمات السجن كما شاء تسامحهم الفطري أن يحفظوهم من يد الجلاد
فتوسط كبارهم لدى الفرنسيين حتى اطلقوا سراحهم وامنوهم على
ارواحهم واعادوا اليهم ممتلكاتهم ولو انها سلبت سلباً من الاهالي على

مختلف مذاهبهم واديانهم .

على أن عمل الاقباط في ذلك الحين لم يكن نتيجة تزلف ونيل غرض بل كان نتيجة ميل صحيح لآخوانهم وتسامح حقيقي منهم لأحياء الاخاء الذي مات تحت ظلمة الجهل ونير العبودية . غير انهم لم يسلموا من اذى الذين حافظوا على ارواحهم وناصروهم في ازمة القرنيسيس والماليك ولم يجدوا منهم الا كل اضطهاد احتملوه بفارغ الصبر ويتكلم عنه التاريخ دليلا على عظمة وطنيتهم وعلى تسامحهم ازاء التهيجات الدينية التي تظهرها الفئات المتمصرة على مرسع مصر في كل حين .

استتب الاحتلال الفرنسي فتولى كبار الاقباط اقاليم القطر لعالميتهم ودهائهم وحسن سياستهم وحدة اذهانهم فتفرد المعلم فلتبوس حنا باقليم الغربية والمعلم واصف المصري باقليم المنوفية والمعلم انطون ابو طاقية باقليم الشرقية كما تولى المعلم جرجس الجوهري وزارة الداخلية أو الادارة المحلية والمعلم شكر الله جرجس وزارة المالية أو جباية الفردة والرسوم والمعلم ملطي يوسف وزارة العدلية أو رئاسة محكمة القضايا والمعلم لطف الله المصري عضوية مجلس التجارة العام فأحسنوا الى الاهالي وعدلوا بينهم وخدموهم خدمات جليلة اقر بها المؤرخون الفرنسيون جميعاً في مؤلفاتهم والجبرتي نفسه في مؤلفه وان اهل ذكر أعمالهم وحمل حملات شعواء على الجنرال يعقوب القائد القبطي فاتهمه باستعمال الشدة مع الاهالي في جباية الرسوم ثم فند اقواله في باب آخر

بقوله انه ظهر لمحمد باشا ابي صرق الذي تولى مصر بعد خروج الفرنسيين
 أن الظالم الحقيقي للاهالي في الجباية كان مصطفى الطاراتي مقدم القائد
 ائذ كور ولذا سجنه وقطع رأسه بين المفارق بباب الشعرية عام ١٨٠٢
 ولم يكتف الاقباط بتلك الخدمات العظيمة لبلادهم اثناء ترأسهم
 عليها بل بذلوا جهدهم في نشر العدالة والحرية والاخاء بين عناصرها كما
 فتحوا جيوبهم لتقرير سعادتها وتمدينها وكما عضدوا الكسائب القليلة
 بمالهم وانشاءوا غيرها في كثير من البلاد بعد أن عهدوا الى المعلم الياس بقطر
 العلامة القبطي الشهير وصاحب اول قاموس وضع باللغتين العربية
 والفرنسية يتأليف كتب ابتدائية لتنوير العقول وتهذيب النفوس
 بالرغم عما كانوا يلاقونه من المصاعب في تنفيذ اعمالهم الرافعة لشأن
 الوطن وبالرغم عما كوفئوا به بعد خروج الفرنسيين من مصر واعادة
 السلطة التركية من السلب والحبس والقتل الى آخر ما هنالك من ضروب
 الجور والاعتصاب التي اشتهرت في ذلك الحين ولكن ثبات الاقباط
 دحر كل ظلم حتى ظهر محمد علي باشا الكبير وعرف وطنيتهم العالية
 واخلاصهم الشديد وامانتهم التامة في العمل ومحبتهم الا كيدة لآخوانهم
 وتسامحهم المعروف فاحسن اليهم وحررهم من العبودية التي كادت
 تقضي على مجتمعهم الهيثوي

وزارة المعلم غالي

هب محمد علي من قلب مقدونيا الى ارض الفراعنة فرأى بقية أمة

تحمل في صدرها العاني وطنية عالية وفي قلبها الصبور روحا شريفة بل رأى أمة لم تحلم بعد ان ضاع عرشها بعرش وتاجها بتاج ولكنها تحلم بامير عادل يخرجها من طور الرق الى نعيم الحرية فكان هو ذلك الامير المرجى الذي حيته فحيهاها واكبرته فاكبرها وكانت له خير عضد فكان لها أكبر نصير

وما كانت تلك الامة التي رآها محمد علي وملاأت صفحات التاريخ باخلاصها لوطنها وبلادها الا الامة القبطية سلالة الفراغة الاولين الا تلك الامة التي عز عليها ان ترى محمداً علياً عند دخوله أرض مصر يحتاج الى المال لتنظيم جيشه وتهيئة ملكه الكبير ولا تبسط له أكفأ وتفتح له خزنا حتى بلغ ما قدمته اليه حسب رواية المسيو ريم المؤرخ الفرنسي ٢٠٠ الف كيس من الذهب تقدر بربع مليون من الجنيهات ولم تكثف بذلك العمل العظيم بل عاونته برجالها الذين وجد فيهم رؤوساً مفكرة وأيد عاملة كما وجد فيهم اخلاصاً شديداً في خدمة الامة وتفانياً كبيراً في حفظ الوطن وسلامته من الطواريء وقد كانت هذه الصفات العالية من مميزات حسن ثقته بهم ومحبته لهم وهو الرجل الذي لم تشب ارادته الفعالة عاطفة دينية ولا مقدرته العظيمة تعصب مذهبي أو جنسي بل هو الرجل الذي حطم نيران التعصب المستطير من ارض مصر وأقام مكانه هيكل التساهل كما قال المسيو جيمار الكاتب الافرنسي الشهير .

ولقد استوزر محمد علي عقب توليه عرش مصر رجلا عصاميا وهو

المعلم غالي الذي كان وكيلا لمحمد بك الالفي الزعيم الاكبر للمماليك . استوزره لرقية العقلي وبعد نظره بل لقوة ارادته وشموه الشريف الدال على وطنية عالية وحزم فعال . وقد ساس هذا الوزير الملك بحكمة ودبر الاعمال برزانة حتى تمكن في خلال مدته الطويلة ان يحفظ عرش مصر من الدسائس التي كانت تحيط به ومن الحيل السياسية التي كانت ترمى الى اضعاف سيطرة مصر واهلاك نفوذها حتى ابقى له حسنات لا تنسى واعمالا خالدة حفظها التاريخ في صدر صفحاته دليلا حيا على عظمة الرجل وفضله

ربما يتساءلون عما أتاه هذا الوزير القبطي من العجائب ؟ وعما هي تلك الاعمال التي رفعته الى مصاف عظماء الرجال وجعلتنا نذكره اليوم مع التعظيم والاحلال

على اني ان أجبتهم الى ما يتساءلون احتجت الى بحث طويل لاجمع فيه سلسلة تلك الاعمال المتفرقة في صفحات التاريخ وفي الصدور وعليه تراني لا استطيع اذ كرمها الا ما يقتضيه بحثي الحالي من الوجهة الوطنية فان فيها دليلا كافيا على مبدأه العالي ووطنيته الصحيحة بل فيها تبصرة وذكري لامة تنشد الاستقلال في الليل والنهار

ولست في حاجة بعد هذا البيان ان أدون شيئا من فتوحات محمد علي في بلاد تركيا ولا انتصاراته العظيمة على جيوشها الضخمة وانما انخلص فقط تلك الرواية التي ارادت أن تمثلها الدولة بمساعدة زوسيا على

مرسح مصر لاعادة المظالم والفوضى اليها فاكشفها المعلم غالي ببعد نظره وأخفق مساعي الدولتين بحكمته وحسن اخلاصه

تسألوني ماذا فعلت الدولة؟ فاجيبكم ما برحت عقب خذلانها المتوالي وانحلالها المستمر تنتهز الفرص لاهلاك محمد علي حتى تمكنت في آخر الامر أن تشكل فئات من ضباطها وجنودها بشاكلة المزارعين وتظهرهم للناس يلباسهم وهيئتهم ثم ترسلهم الى مصر بكتب من السلطان لتقطعهم الحكومة الخديوية ارضا يزرعونها ويستغلون منها ما يقوم باودهم وما يحسن الاحوال في مصر حتى بلغ عدد الوافدين من حملة السلاح ألفاً أو يزيدون وبعدهم جاءت ارسالية رابعة في غياب محمد علي فاضطر زعيمها أن يقابل المعلم غالي ليلسط له مطالبه فلم يحسن وفادته فلم ينظر اليه الا بالعين المجردة عن كل احتفاء فعظم الامر عليه وخرج حاقدا متوعدا مندفعاً هنا وهناك للاستغاثة والتظلم حتى عاد محمد علي وعرض عليه شكايته فداخلته الريبة أولاً في أعمال وزيره ولكن ما اعظم اندهاسه حينما سأل ذلك الوزير عن السبب في توقفه عن منح رجال الارسالية ما يطلبون حسب ارادة السلطان فاجابه بقوله - ان ملك السلطان اوسع من مصر - قال نعم ياغالي وقد لا يكون في تلك المطالب دليل حسن . قال وأي دليل يا مولاي والدولة التي لم تقو على مصر بجيوشها وأساطيلها تريد ان تؤلف جيشاً من تلك الوفود في بلادك حتى اذا تقوى ساعدتهم ناروا عليك وخرجوا عن طاعتك الى محاربتك قال لقد فقحت الديسيمة وعرفت العدو الكامن

في ثوب الصديق ولكن قبل كل عمل يجب أن نعيد تلك الوفود جميعا الى أوطانهم وما هي الا عشية وضحاها حتى كان هذا الجمع العظيم الذي ملأ جوانب مصر يسير على بارجة مصرية في عرض البحر عائدا الى بلاده ماوما مدحورا .

أجل لقد كبر أضر تلك الدسيسة على محمد علي فجمع رجاله وشاورهم فاقترح المعلم غالي أن تنشأ قناة بين بحر الروم وبحر العرب تقام عليها الحصون المنيعة لصد الغارات عن مصر من الجهة الشرقية فأمن الجميع على رأيه ولكن ما هي الا أن شكلت لجنة برئاسة لبنان بك وموجل بك المهندسين الكبارين لدرس المشروع ووضع الرسوم اللازمة له حتى أبطل فجاءة لاشارة البعض على محمد علي بضرورة تأليف شركة أجنبية لتنفيذ المشروع حتى لا يكون هناك اعتراض ولتوقف المعلم غالي عن الاقرار على هذا الرأي قائلا اذا كان ولا بد من انشاء القناة فلتنشأ بمال مصر لتكون في أيدي أبنائها وحكومتها وحتى لا تكون في البلاد سيطرة أجنبية تؤدي الى المنازعات الدولية في مستقبل الايام فتضر من حيث يراد منها النفع (راجع مجموعة الكولونل كميل من ضباط البحرية المصرية في عهد محمد علي)

هذه كلمة خرجت من صدر وزير محمد علي في اوائل الجيل الماضي فكشفت الايام دخائلها بعد حفر القناة حيث أصبحت المسألة موضع المنازعات في هذا الجيل

ولست هذه كل وطنيتنا التي لا تتكلم ولا تملأ الارض صياحا
وعويلاً بل ان محمداً علياً احتاج الى بنادق لجيشه ولما ان رأى ثمنها في
اوروبا يوازي نحو نصف المبالغ التي يجب انفاقها على صنعها في مصر جمع
وزراءه وشاورهم في الامر فاتفقوا جميعاً على مشتراها من اوروبا الا المعلم
غالي الذي قال يجب ان تصنع في بلادنا حتى لا تخرج اموالنا الى بلاد غيرنا
وحتى ينتفع أبناء وطننا والصناع منهم فوافقهم محمد علي واكبر قدره
ولم يكتف المعلم غالي بكل تلك الاعمال العظيمة بل مسح عموم
اراضي القطر المصري وجزأها الى بلاد ثم جزأ اطيان كل بلدة الى
حياض وجعل لكل منها زمام مخصوص وبذلك عرفت الحكومة
ميزانيتها بل بذلك نمت ايراداتها نمواً عظيماً ولقد اشفع تلك الخدمة
الوطنية الجليلة بخدمة اخرى فقسم القطر الى اقاليم واخطاط منظمة وجعل
لكل اقليم عاصمة يستقر فيها الوالي ولكل خط بندراً يستقر فيه الحاكم
وكان يسمى اغاء وبعد ان اتم كل هذه الاعمال العظيمة كثر حساده
فنفاه محمد علي الى دمياط وعين مكانه المعلم منصور صريمون رئيس
جركها ثم عفا عنه وخلع عليه خلعة سامية وعينه في منصبه كما كان ثم
عاد فعزله وعين مكانه المعلم منقريوس البتانوني وأخيراً أعاده الى منصبه
وقد بقي فيه حتى قتل عام ١٨٢١ وتولى مكانه ولده باسيلوس بك
فانظروا الى تلك الوطنية العالية والى الفرق بينها وبين وطنية قوم
يفزعون في كل حادث بدون ترو الى حيز النفوذ العثماني ليثبتوا على

الامة المصرية انها فقيرة في الحياة الوطنية لا تستحق استقلالاً ولا
تستحق ان تكون يوماً ما حرة في بلادها سعيدة في وطنها لها علم
محقق بين أعلام الامم وعرش سلطان يهز عروش الممالك
البطيرك بطرس

اجهد محمد علي نفسه وبذل قواه حتي احي مصر من العدم ونشطها
من الجمود فبرزت الى عالم المدنية والحياة تفتح الامصار وتدوخ
الاقطار وتعيد الى الازهان عهد الفراعنة الاولين وعصر فتوحاتهم في
بلاد العرب وأرض الاشوريين

واذا ما قلنا ان ذلك الملك الكبير ملك محمد علي قلب الخلافة
في فاروق فارتجف رعباً فانا نقول ايضاً ان روسيا قامت للتكامل بقوته
حتى لا تحول مطامعه العظيمة دون آمالها الكبيرة في بلاد الشرق
وسلطنة آل عثمان .

ظهرت تلك الدولة العاتية في صدر الجيل الماضي من ضفاف نهر النيفا
تلعب على ضفاف نهر النيل ليس بقوة السيف والمدفع ولا بتجيش الجيوش
وارسال الاساطيل بل بقوة الدهاء وحيل السياسة فما ذاعمت؟ انها فكرت
في ان تحتضن الامة القبطية التي تربطها واياها رابطات الدين والعقيدة لتكون
قوة في يدها على اقلاق راحة محمد علي واذلاله . وقد وجدت الفرصة مناسبة
فنزلت الى ساحة العمل وارسلت اكبر اصرائها الى مصر بتوصية من
السلطان الاعظم لتمثل آخر ادوارها فوق ذلك المرسح الذي لعبت عليه

كل امم الارض . وقد جاء الامير الروسي الى هذا القطر وبدأ سياسته ولكن باية صورة بالسنيحة في طول البلاد وعرضها تسمية لاغراضه وايها ما بما يجول في صدره ثم عاد الى القاهرة ويم الدار البطيرير كية القبطية لزيارة بطيريرك الاقباط خليفة مارمرقس الرسول لينفذ املة وغاية حكومته التي ارتكب لاجلها المشاق والاسفار وما كان اعظم اندهاسه حينما رأى ذلك الرئيس الديني لا كبر امة مسيحية في القارة الافريقية جالسا فوق منصة من الخشب تملأها الكتب بعد ان كان يظن انه فوق عرش يحفه الذهب بل ما أعظم اندهاسه حينما رآه محاطا بمقاعدة خشبية مبعثرة هنا وهناك بعد ان كان يظن انه وسط المقاعد الثمينة والرياش الفاخر وحسب ان ذلك علة الفقر والشقاء وما درى انه نتيجة النسك والتقوى . أدهشه ما رأى وجلس مفكرا ؟ فما كانت أفكاره ياترى ؟ أ كانت في كل ما يحيط به من صور المسيحية الاولى التي لا تعرف ابهة ولا جلالا أم كانت في أمر مهمته التي تشغل باله وتقلق صدر حكومته من ابتداء السفر الى منتهاه . من كان يعلم ما يجول في فكره هذا الضيق غير الله . انما سكونه وخشوعه دفعا البطيريرك الى ان يقول له لا تجعل ثوبي حاجزا بيني وبينك فان تحت هذا الثوب رجلا من الشعب وللشعب ولعلك سررت من حالة بلادنا وجوها فاطهر سروره من كل ما رآه من مظاهر الحفاوة والاكرام وضروب التقدم والرخاء مظهراً لله الشديد مما هي فيه الامة القبطية

من شقاء تنوُّ تحت أثقاله وخطر عظمة تكبدها في سبيل الحصول على بقاء الحياة فقال البطريق صدقت ولكنها تؤدي واجب الطاعة والامانة للوطن الذي تعيش في ظلاله وبين جوانبه غير يائسة من رحمة الله وعدله . قال الامير لقد سمع الله دعوتها فانقذني لاتقاذها من شر عوادي المحن بوضعها تحت رعاية مليكننا العظيم حامي حى الملك والدين الارثوذ كسي القويم فثارت هذه الكلمة في صدر البطريق وأجابه بشيء من البساطة هل ملككم يحيى الى الابد . قال لا ياسيدي الأب بل يموت كما يموت سائر البشر . فاجابه اذن اتم تعيشون تحت رعاية ملك يموت أما نحن فنعيش تحت رعايه ملك لا يموت تحت رعاية هذا الاله العظيم الذي لا نريد أن نتخذ غيره بديلا فلم يسع الامير عند ذلك إلا أن يقف مبهورا امام عظمة ذلك الرئيس الدينى ومبادئه العالية قائلا له فليهنأ محمد علي بوطنى مثلك فلو وافقتني اليوم على ما سمعت لرأيت غدا علم روسيا يخفق فوق جدران كنيستك ولرأيت ملك مصر محطما واستقلالها مفقودا قال لا تعجب أيها الامير فتلك مشيئة الله ومن ذا الذي يرى تلك القدرة الالهية العظيمة وينظر الى قدرة الشر .

وما انقضى عمر اليوم على هذا الحادث حتى بلغ مسامع محمد علي فقام اساعته الى الدار البطريق كية ودخل على البطريق يحياه بكلمات الشكر على ما أبداه من الشهامة والوطنية والاخلاص

الشديد للملكه ولا له أجمعين . فاجابه البطريرك لا تشكر من قام بواجب
 عليه نحو بلاد تضره وتظاى اخوانه في الجنسية والوطنية ولا تعجب بما
 حدث فلقد عقدنا الصلاة الحبية ورابطة الاخاء التي لا تقطعها عوامل
 الايام مع محمد الكبير حين استيلائه على مصر - يريد به النبي عليه
 السلام - ونوقع عليها اليوم مع محمد الصغير يريد به مخاطبه - فلنقابل
 الأخطار والمتاعب معا فانحدرت الدموع من عيني البطل المقدوني
 العظيم وقال لقد رفعت بعملك شأني وشأن أمتك فليكن لك مقام
 محمد علي ومركزه في مصر ولتكن مركبة معده لركبك كمركبته
 لانك أثبت اخلاصك الحي واخلاص امتك التي أهلكتها الوطن وأشقاها
 وهي متفانية في حبه بكل شعورها وجوارحها

هكذا حفظ شيخ الاقباط ورئيسهم الديني عرش مصر وصان
 استقلالها بالرغم عما تحمله أبنائه من الخسف الذي لم تتحمله أشد الامم
 تعاسة وأكثرها شقاء ولا عجب في عمله لان الوطن اسمي وأعلام
 أن يكون عرضة للضياع من أجل مظالم ان بقيت اليوم فقد تذهب غدا
 هذه هي الوطنية العالية التي يجب أن يسجلها التاريخ للاقباط في
 صفحاته كما سجل آثام عربي وأعماله التي زعزت استقلال امة ينحرفها
 الحزب الوطني اليوم في مذبح التعصب ويدفنها في لحد التفريق

عهد سعيد واسماعيل

كانت سياسة سعيد واسماعيل بوجه الاجمال كسياسية محمد علي مطابقة لروح الوطنية ومنمية لعاطفة الاخاء بين عناصر الامة وقد اظهر الاقباط في العهدين من دلائل الوطنية العالية التي عرفوا بها وعرفت بهم ما جعل لهم بعض النفوذ أو كله في بلادهم وفي بلاط المليكين فوضع سعيد باشا كل ثقته فيهم ومع انه الغنى كل الدواوين ومنح موظفيها ارضا لتفليحها واستغلال خيراتها فقد جعل كل موظفي دائرته منهم ثم ازداد ميلا اليهم لما رآه من تقانيهم في حب وطنهم حيث قدم عهدهم وكبار اسرهم اولادهم للتجند في الجيش عقب القرار الذي اصدره بتأليف جيش من ابناء العمدة واكابر الاسر في الاقاليم ليدافعوا عن حوزة وطنهم دفاعا تاما باعتبار انهم اصحاب المرافق في البلاد واذا نظرنا الى تنصل كثير من ابناء الاعيان في ذلك الحين عن التجند والترفع عنه وقبول الاقباط له عن طيب خاطر واضفنا الى ذلك تداخل الانبا كيرلس الرابع بطريرك الاقباط بين سلطنتي الحبشة ومصر وعقد اتفاقية سلام بين البلدين منعت تعدى الاحباش على الحدود السودانية وعلى الاملاك المصرية ثبت لنا مقدار وطنية الاقباط العالية وشعورهم القويم لخدمة وطنهم

اما اسماعيل فعرف وطنيتهم العالية كجده ورأى منهم تقانيا في خدمة بلادهم وتمدينها فوثق فيهم وقلدهم على ما المعنا في الجزء الاول

من هذا الكتاب المناصب العالية والاختطاط في الاقاليم وزارهم في قصورهم بالصعيد مع الامبراطورة اوجيني وانجب برقيهم وبغناهم الواسع وباحوال مدارسهم التي كانت وحدها تعلم ابناء العنصرين واطهر دهشته خصوصا من العروش التي اعدّها آل عبيد في قنا والبطارسة في جرجا لجلوسه وجلوس الامبراطورة المشار اليها حيث كانت جوانب تلك العروش من الذهب الخالص. وقد عاد فزارهم مرة ثانية مع الملكة فيكتوريامظهراً لها أن الاقباط قوة صحيحة في نهضة البلاد وتمدينها

عرف اسماعيل فضل الاقباط في خدمة بلادهم ورأى ما تخرجه مدارسهم في القاهرة من نوابغ المصريين بين مسلمين ومسيحيين فاحسن عليها بالف وخمسمائة فدان وزتب لها ٢٠٠ جنية سنوياً. وقد أحيت هذه المساواة التي أوجدها بين الموظفين جميعاً روح الالفه والوفاق حتى لم يكن في عهده ما يسمى مسلم أو مسيحي أو ما يسمى تفاضل بين عنصر وعنصر وبديهي أن الامم لا تسير في داخلتها على نواميس المساواة الا اذا رأت حكومتها تسير عليها وتتبعها.

واذا ما رأيت كيف أن اسماعيل وضع أول نظام للمساواة في حكومته فلا أن له موهبه الحكم. وهذه الموهبة وحدها أوجدت الوطنيين في صف واحد وأظهرت قوة الرجال القادرين على خدمة بلادهم الخدمة الصحيحة ومنعت وجود المتطرفين والمتطيرين ككاهيات الامة الى التدرج بسرعة في الحكم الدستوري.

نعم ان بعض ولاة الاقاليم في عهده استبدوا الاهالي وعاملوهم
بالفسوه وكان جلهم من الشرا كسة ولكن هذا لم يمنعه عن تأديبهم عند
وضوح الشكوى على واحد منهم وثبوتها عليه أما ما ينسبونه اليه من
زيادة الضرائب على الفلاحين وغيرها فهذه المظالم كانت عامة والظلم
في المساواة عدل .

عهد توفيق وعباس

هو اسمى عهد ظهرت فيه وطنية الاقباط وحبهم الشديد
لوطنهم وميلهم الا كيد لرفع شأنه وفيه ظهر أعظم رجالهم ونبغ منهم
أقدر رجال مصر السياسيين في العصر الحديث وقد أفردنا له فصلا
خاصا تراه في تاريخ هذا الفقيد العظيم الذي ملأ عهد المليكين وبلاده
عملاً وجهاداً واخلاصاً

السنور والاقباط

٥

إذا افتخر الاقباط بوطنيتهم العالية فيحق لهم الف مرة ومرة أن
يفتخروا بانهم واضعوا اساس الدستور المصري وأول من علم الامة
معنى الحكم الذاتي ولا اذهب بعيدا فاقول لكم ان اجدادنا في العهد
القديم القوا أول مجلس نيابي في العالم وغنهم تلقت الامم والشعوب
الحكم الشوري ولا اقول لكم ان رئيس حكومتنا السابق المغفور له
بطرس باشا وسع السلطة النيابية بمشروع مجالس المديرية وعلنية

مجلس الشورى وزيادة اختصاصاته بل فقط اقول لكم ان الاقباط في سنة ١٨٧٣ يوم كانت الامة لا تستطيع أن ترفع صوتا في وجه الهيئة الحاكمة والسلطتين المدنية والدينية القوا مجلسهم الملي الذي هو عبارة عن انتخاب أفراد منهم للنظر في أحوالهم الداخلية التي كانت في يد رئيسهم الديني وله مطلق التصرف والهيمنة عليها .

وبعد أن سار هذا المجلس في عمله سنوات ووضع لأئحته الداخلية المغفور له المرحوم بطرس باشا غالي انبثت منه الفكرة النيابية في بعض الخاصة الذين كانوا يحتكون بأعضائه فقاموا يطالبون الحكومة بتأليف مجلس نيابي يشترك مع هيئتها في التسلط على الشعب فنحتهم هذا المجلس في سنة ١٨٨١ ومع ذلك لم يعمر طويلا ليس لان المدارك لم تكن ناضجة ولا ذات استعداد بل لان التفاضل الحسي الموجود بين العناصر لاشئ وحده ما يسمى حكما ذاتيا

وبديهي ان الاقباط لم يؤلفوا مجلسهم الا بعد ان وحدوا قوميتهم وعرفوا معنى التضامن الفعلي الذي يعد القاعدة الاساسية الاولى لكل شعب يريد الهيمنة على أحواله الداخلية . قال المسيو كنيرو الفرنسي الشهير في مؤلفه « تحضر الامم الاوروبية » ان أول أمر تلاحظه في عدم توفيق الفرنسيين للحصول على الحكم النيابي في القرنين السادس عشر والسابع عشر كان لتفرق جامعتهم ولو كان بينها شبه امتزاج وعلائق ولكن حينما تتحد عناصرهم وتزيل ما بينها من الفروق بترقية التعليم

والاخلاق يتمكنون من الحصول على الحكم الذاتي تدريجياً» فانقسام عروة الجامعة القومية والحالة هذه في أية أمة كانت مبعداً لزمان الوصول الى هذا الحكم لأن من مستلزمات التفريق تفشي الجهل والتبذير اللذين تستدعيهما المقاومة المستمرة بين أبناء الأمة الواحدة في حين ان العلم والمال هما الدعامة الثانية التي يتوطد عليها الدستور

واذا تقرر ذلك وجب علينا أن نبحث في الدستور الذي يعبرون عنه في مصر بسلطة الأمة وفيما اذا كان في الوقت الحاضر ذو فائدة ونفع للمصريين أو هو طريق يريد المطالبون به العبور الى شاطئ أمانيهم وأحلامهم في السيطرة على الشعب واستعباده وفي مقاومة الحكومة في اصلاحاتها فنقول ان الناظر الى الحالة الحاضرة في مصر يعلم ان الحكم النيابي خطر على كيانها وعلى حريتها وعلى سلامة مستقبلها لاسباب كثيرة منها ان الشعب غير متضامن فلا تتوفر العدالة والمساواة بين عناصره فيها لو سامت اليه مقاليد الاحكام ومنها انه جاهل كل الجهل بموهبة الحكم الدستوري فاذا أناب نوابا عنه فقد حرته في الحال ومنها ان معظمه من العامة فلا بد أن تنتهي أزمة الحكم الى بعض القوالين الذين ينجحون في استمالته بالضرب على النغمات التي تطربه ومنها ان القوالين في كل أمة أكثر الناس عجزاً عن السير بالسلطة في طريق العقل والحكمة ومنها ان اعطاء الشعب حرية أوسع من الحرية الحالية المتبذلة قبل أن يتم نضوجه انما هو تنشيط له على الرجوع الى عهد الحمجية والبداءة



اللورد كرومر
Lord Cromer

وهذا القول الحق لا يقبل جدلاً وأمامكم إنكثرا التي خلقت
ميالة للحكم الدستوري حتى كأنه طبع من طباعها لم تنله بمعناه الكامل
إلا في القرن الماضي أي أنه سار مع شعبها على سنة الارتقاء تدريجياً فغير
في القرن الرابع عشر ثم عاد فغير تغيراً يستحق الاعتبار مدة رئاسة
المستر بت للوزارة وهكذا بقي يتدرج من حال إلى حال حتى اكتمل
في عصرنا الحالي . أضف إلى هذا أن إنكثرا في القرنين الثامن عشر
والتاسع عشر مع استقلالها التام كانت أرقى بكثير من حالتنا اليوم ومع
ذلك فإن نظام حكومتها الدستوري في ذلك العهد كان أضعف من
نظام حكومتنا الحاضر

وبناء عليه يكون هياج فصيلة الصياحين في مصر لترويج كلمة سلطة
الامة التي يعبرون عنها بالدستور قبل أن تقوى مدارك الامة وتثقف
عقولها وأخلاقها وتعلم تدريجياً كغيرها من الامم الحكم الذاتي ليس
إلا تفريراً بها وتثبيطاً لعزيمتها عن الوصول إلى مرتقى هذا الحكم .
وبديهي كما قال غمبتا أحد رؤساء جمهورية فرنسا انه كلما ترقى
العقول وتزهت عن النقائص الأخلاقية نهضت فيها الديموقراطية من
تلقاء نفسها وتدرجت في الحكم الذاتي يكفائها وقد لا يمكن أن يوجد
شعب واحد يستطيع أن يشترك في السلطة مع الهيئة الحاكمة التي تعد
غالباً أرقى هيأته إلا اذا أثبت كفاءة وتبوقاً علمياً عليها والا كان
اعطاؤه الحكم بمثابة تسليم قيادة الجيوش لرجل لا يحسن الرماية

ولا يعرف طرق النجاح والفوز فيلقى بها في هاوية الفناء والموت «
وهذا ما سيكون في مصر لو اعطيت هذا الحكم قبل أوانه وقبل
أن تنهض فيها الديموقراطية بالدلائل الحسية لا القولية ليس لان
المطالبين بالدستور لم يثبتوا سبباً واحداً يؤيد دعواهم في نيله بالصورة
الكاملة بل لانهم لم يوجدوا التضامن بين عناصر الامة ولا هم عضدوا
الاقلية في نيل حقوقها ولا هم تركوا تلك الاقلية بدون وخز وبدون
وضع الثمرات في سبيل مطالبها العادلة . ولا هم اظهروا برهاناً واحداً
على كفاءتهم الذاتية وأي كفاءة لاشخاص تجارتهم القول وعيشهم
الصخب وحياتهم الاثراء من السذج وادابهم الطعن في كل عظيم
ونابغة وعملهم مقاومة الحكومة في اصلاحاتها مهما عادت بالخير على
الامة والبلاد .

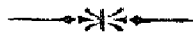
قوم يريدون الاشراف على ميزانية الحكومة وأحوالها ومشاركة
رجالها في أعمالهم على حين ان أكثرهم لم يستطع مع جهاده المحافظة على
ثروته القليلة والاشراف القويم على أعماله الخصوصية الصغيرة التي لا
تحتاج الى تدقيق وعناية كما تحتاج مالية الحكومة وأعمالها . ولا أقول
ان صراخ هؤلاء من البله أو الشطط بل فقط أقول انه من حب
الذات الذي تملك الكثيرين منهم ودفعهم الى الظهور بين العامة بمظهر
المدافع عن الوطن والمجاهد في سبيله والله أعلم بأنهم سبب شقائه وعلة
بلائه وويلاته .

قال الاستاذ مدحت افندي الكاتب التركي اشهير « بث دعاة
الوطنية في نفوس عامة المصريين بأنه لا تقوم لهم قائمة الا اذا منحوا
مجلساً نيائياً يعطي لهم الحرية المطلقة في مراقبة أعمال الحكومة والاشراف
على اجراءاتها وقد رسخت هذه العقيدة في نفوسهم حتى أصبحت
أنشودتهم وأصبحوا يعتقدون اعتقاداً راسخاً ان لا صلاح لحالهم الا
بنيل الدستور . وهذا أكبر خطأ ارتكبه مدعوا الوطنية في مصر
لان طلب الدستور لا يعطى لامة لا تفقه له معنى ولا تعرف له وزناً
خصوصاً وان تسعة أعشارها لا يقرأون وجل أغنيائها مثقلون
بالديون . »

ولقد صدق هذا الاستاذ في قوله لان من يجول في بعض البلاد
التي تسم أهلها بميكروبات المتطرفين لا يسمع منهم الا الطعن والسباب
في الانكليز لانهم لا يريدون على زعمهم اعطاءهم الدستور واذا سأهم
واحد ما هو الدستور استغربوا جداً سؤاله واستجبلوه وقالوا له
عجبا ألا تعرف ما هو الدستور وربما أقسموا عليه بأغلظ الايمان انه
لا يدرك شيئاً فيتركهم وشأنهم بعد أن يستخلص من حديثهم انهم
لا يدركون شيئاً وانهم كالفونوغراف يحفظون الاصوات وينظونها
كما هي .

نعم ان المتطرفين يتخذون المثوية في التعليم برهاناً قوياً على ادعائهم
ولكن فاتهم ان الفضل الاكبر في بلوغ تلك المثوية الى الدرجة

التي يتمشدقون بها ترجع الى الاقباط وحدهم لان نسبة المتعلمين فيهم
تفوق كل نسبة اخرى . ومع ذلك فالاقباط لم يظهروا يوما صخباً ولا
عويلاً بطلب الدستور ليس لانهم لا يريدونه بل لانهم يعملون لنيه
بواسطة الطرق المشروعة التي سارت عليها كل أمة وهي العلم والمال .
فاعملوا عملهم وسيروا على خطواتهم وانشروا التعليم وحافظوا على المال
وادخروه اذا اردتم ان تشاركوا الهيئة الحاكمة في السلطة والاهيات
ان تنالوا شيئاً في زمن العمل الذي لا ينفع فيه القول وفي عصر النهضة
الذي لا يفيد فيه الصياح والبكاء



وطنية الاقباط العالية

في عهد الخديوي الاسبق وعصر سمو ملكنا الحالي
أوفدلكة من تاريخ وزير مصر العظيم
المرحوم المغفور له

بطرس باشا عالي

٦

تلك اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار
نعم انظروا الى تلك الآثار ترون عملاً مجيداً وجهاداً حياً ووطنية
عالية واخلاصاً شديداً بل افتحوا التاريخ الصامت المتكلم ترون أمة ظهرت
قبل عهد الانبياء فهذببت الامم ومدنتها ثم ابقت بعدها سلالة حية هي

تلك الذرية النامية التي ملأت وادي النيل جهادا وعملا ولقنت ابناءه
دروس الوطنية العاملة واحيت بينهم القانون الدارس ورفعت شأنهم
بين المتمدين الذين اذ ذكروا مصر في عصرها الخالي قالوا أمة
رعميس واذا ذكروها في هذا العصر قالوا أمة بطرس غالي

ذلكم مجد يعلو على السماكين ونخر يسمو على النيرين واي مجد أرفع
من مجد أمة اعرق الامم حسبا ونسبا. واي نخر اعظم من نخر شعب
كثير المواهب عديد العطاء يملأ صفحات التاريخ باعماله وخدماته
لوطنه وبلاده فظهر منه في عصور الهمجية والاضطهاد رجال يعد الواحد
منهم بالف رجل وظهر منهم في عصر الحرية انبع من انبتته مصر منذ
قرون واجيال وهو السياسي القدير والوزير الخطير المرحوم المغفور له
بطرس باشا غالي

ذلك الرجل العظيم الذي جمع الى العلم العمل والى قوة الذكاء قوة
الدهاء والى ثبات الجنان سعة الصدر والى محبة الوطن خدمة الامة
والى عظمة النفس مكارم الاخلاق مات الى رحمة ربه ولا يزال ذكره
حيا حتى لكأن الحياة لا تزال كامنة في صورته تلاوح منها أخلاقه
وشمائله وتنشق من شعاعها مهابته فتكاد لولا التقى تتمشي لها القلوب
في الصدور وتطمح لها العيون وهي شعلة من نور

على انا اذا حصرنا الاعمال الكثيرة التي قام بها لوجدناها هائلة
اولا حظنا الاقترار العظيم الذي استمر يخدم به بلاده لوجدنا تاريخا

عظيماً أضاف فخراً جديداً الى تاريخ مصر والى الفراعنة الاول . وقد يكون من السهل أن يمحى كل أثر في الوجود ولكن من المحال أن يأتي زمن تمحى فيه من صحف القلوب والتاريخ اسم بطرس غالي الذي يلقنه الاباء للابناء فيذكرونه ويمتدحون صفاته ونبوغه الى أبد الالدين

تاريخ بطرس الكبير

حياته المدرسية

ولد المرحوم بطرس باشا غالي في القاهرة بالخطوة المعروفة بدرب الحمام من أعمال قسم عابدين يوم الاربعاء ١٥ أكتوبر سنة ١٨٤٥ تلوح عليه مخائيل النجاية والذكاء وايات النشاط والاقدام التي تظهر في نشأة عظماء الرجال ونوابغهم الذين خدموا اممهم واوطانهم خدمات عالية ابقت لهم حسن الاثر وخلدت لهم عاطر الذكر. ولما ان شب عن الطوق ادخله المرحوم والده غالي بك نيروز مدرسة حارة السقاين القبطية فظهر نبوغه وذكاءه على حداثة سنه بل ظهر نشاطه العظيم وقوة ذاكرته وصفاء ذهنه وهو في العاشرة من عمره حيث تعلم اللغتين الفرنسية والعربية واتقن التكلم بالاولى في زمن قصير اتقاناً جعل مدرسه يكبرون قدره ويمتدحون ذكاه وسرعة خاطره وسعة حافظته ويتنبأون له بالمستقبل المجيد والمجد الرفيع حتى ان الانبا كيرلس الاكبر الملقب بابي الاصلاح حينما زار المدرسة لتعهد أحوالها وتفقد

شؤونها لحظ في الفيقد ذلك نادرا ونشيطا غريبا فقربه منه وأحسن عليه بجائزة تنشيطا له ثم أوصى به الاساتذة خيرا كما أخذ يسأل عنه بين حين وآخر ليقف على أحواله الدراسية وهو مكب على الدرس والمطالعة حتى بلغ الثانية عشرة من عمره فدرس اللغة الإيطالية على المرحوم يعقوب بك نخله رفيقه الذي كان يدرسها وقتئذ في المدرسة لضرورتها في الأعمال التجارية فاحسن التكلم بها في عام واحد وما بلغ الرابعة عشرة حتى اتقنها ومهر فيها واتم دروسه في مدرسته باقرب ما يمكن من السرعة والسهولة . ثم خرج من هذه المدرسة صبيا ذكيا وادبيا المعيا مشهودا له من اساتذته بالاجتهاد والذكاء ودخل المدرسة المرقسية الكبرى بالازبكية فاتقن بها اللغة الفرنسية على استاذ المرحوم مصطفى بك رضوان ثم انتقل وهو في الخامسة عشرة من عمره الى مدرسة المرحوم فاضل باشا فاتم بها دروسه التي تعلمها في صغره وتفقه في اللغتين التركية والفارسية لمواصلته الليل والنهار في الدرس والمطالعة ولبه الصحيح الى اجتناء العلوم والمعارف حتى قيل انه من شدة مشابرة على الجهد والاجتهاد خشي بعض اقاربه على صحته فطلب من المرحوم والده ان يمنعه بما استطاع عن تمضية الليل الطويل في المطالعة التي انهكت قواه واسكن كل ذلك لم يحل دون استمراره على خطته حتى اتقن العلوم واللغات ومهر فيها وصار يبدي للتلامذة والاساتذة علائم التقدم والنجاح وكبر القلب والعقل في السن الصغير والفتاء المقبل ذاك فضلا عن

تمضية اوقات راحته في شرح الدروس لآخوانه بأسلوب سهل وذكاء.
وقاد حتى صار مرجعهم في كل امر فان استعصى على احدهم فهم درس
ما قال له بقيه رفقاءه اذهب الى بطرس فهو يشرحه لك فكان
رحمه الله حلال المصاعب لآخوانه في صغره وحلال المشكلات لحكومته
في كبره

ولم يكتف رحمه الله بولوجرام الدراسة بل اتخذ استاذاً من أهل
خان الخليلي يتفقه على يديه اللغتين الفارسية والتركية ويدفع أجرته
من الدراهم القليلة التي كان يتقاضاها من المرحوم والده ليتفكها
وبهذا تمكن من اللغتين تمكناً تاماً وخرج من حياته المدرسية يعرف
اللغات العربية والفرنسية والتركية والفارسية والاطالية كأحداً بنائها
ومبادئ اللغات القبطية والالمانية والانكليزية التي تفقه فيها ومهر في
حياته العملية . وبالأجمال فان الزمن القصير الذي قضاه بطرس الكبير
في التعليم مع تمكنه من اتمام دروسه ومعرفة بعدة لغات كان من
الادلة على ذكائه ونبوغه وعلى صعوده أول درجة في سلم المجد بل كانت
صفاته العاليه وقوة عارضته وغزارة مادته مع طبع لين وخلق سهل من
الاسباب التي رفعت قدره في نظر أساتذته الذين مالوا بقلوبهم اليه وتحولوا
بإبصارهم وأفكارهم نحوه حتى ان استاذ المرحوم مصطفى بك رضوان
صرح صراحاً بأنه سيأتي يوم يكون فيه تلميذه بطرس وزيراً فصدقت
نبوته وصار بطرس بذكائه وعلمه وفضله وخدماته الشريفة لبلاده

وزيرا كبيرا لم تنجب مصر أكبر منه ولم ينبت في أرضها سياسي مثله

حياته العملية

خرج الفقيد العظيم بعد هذا الجهاد المدرسي العنيف الى ميدان الحياة والعمل شابا نابغا وعاملا قديرا طامحا الى المعالي ميالا الى خدمة وطنه وامته فعين في اول أمره استاذا في مدرسة حارة السقائين القبطية براتب ٧٠٠ غرش وهو أكبر راتب كان يعطى وقتئذ للمدرسين ولكنه استقال منها بعد قليل لقلة الراتب وعدم استطاعة الدار البطريكية زيادته لخلو خزينتها واخذ يعطي دروسا خصوصية لبعض التلامذة مع مداومته على الدرس والمطالعة والتبحر في العلوم واللغات التي اتقنها صغيرا حتى بلغ أمره للوزير راغب باشا فقربه منه واختاره لتعليم ولده ادریس بك راغب وتهذيبه فاحسن مهمته وعلم ادریس وهذبه أحسن تهذيب جعل له المسكنة الرفيعة والمنزلة السامية في نفس الوزير الذي اصطفاه جليسا له وملاأ المجالس والمجتمعات بامتداح صفاته ونبوغه حتى زاره يوما الوزير شريف باشا فقدمه اليه مطريا في اخلاقه وفي توقد ذهنه فاحظ منه شريف باشا ذلك الذكاء الوقاد في محادثته فاكبر قدره وشمله بانظاره وتوقع له مستقبلا حسنا في خدمة بلاده

بدأ عقب ذلك ظهور الفقيد بين أهل العلم والفضل فانتظم في سلك مترجمي نظارة الخارجية وكلهم من تلاميذ العلامة رفاعه بك رافع الطهطاوى فصرف حوالي الثلاث السنوات حتى برع في الترجمة

براعة جعلته موضع الثقة في كل عمل وكل مشروع يراد ترجمته ولما
آنس في نفسه أنه أصبح على علم تام وكفاءة عالية تؤهله أن يحوز دواما
قصب السبق على كل موظف وكل ذى علم تقدم في الامتحان الذي
اجراه مجلس تجار الاسكندرية في اوائل عام ١٨٦٧ لاختيار بعض المترجمين
الاكفاء ففاز على كل המתحدين واعجب به رؤساء المجلس وكل مطلع
على أوراق امتحانه والحقوه بوظيفة مترجم مؤقت في ١٨ مايو من تلك
السنة براتب ١٢٥٠ غرشاً ثم عينوه فيها نهائياً في يوم السبت ١١
اكتوبر من تلك السنة براتب الف غرش مصرى حسب ترتيب محافظة
الاسكندرية ونظامها

خدمته في الحكومة

برهن الفقيه العظيم اثناء قيامه بوظيفة الترجمة في مجلس تجار
الاسكندرية على اقتدار عظيم وكفاءة تامة بما أوّتيه من سعة العقل وتوقد
الذهن حتى فضله المجلس على رئيس كتبه في حضور الجلسات وجمع
الاراء لثقة الاعضاء الوطنيين والاجانب به ثم رقاہ في ٦ يونيو سنة ١٨٧٢
باشكاتبه فتولى هذه الوظيفة والرأي في كل أعمال المجلس رأيه
والملاحظات التي يبيدها في ترقية داخلية القول والفصل . وقد اتفق
ان عرضت على المجلس قضية لاجد محسوبي المرحوم اسماعيل باشا صديقي
ناظر المالية وقتئذ وصدر الحكم ضده فادعى على المترجم باضاغة حقه
لافسائه أسرار المصلحة وابلغ الامر لمولاه الوزير فشق عليه ما حصل

وذهب في الحال الى المرحوم شريف باشا ناظر الداخلية لتبعية المجلس له وعرض عليه الامر مكبرا فاحضر الفقيه وسأله عن التهمة الموجهة اليه ففندها واطهر حقيقتها فلم يعجب اسماعيل باشا من جوابه وأخذ يتكلم مع شريف باشا باللغة التركية طعنا عليه ولكن ما كاد يتم كلامه حتى رد عليه الفقيه العظيم بهذه اللغة ردّاً بليغا احمه واندesh الوزير شريف باشا الذي حكم ببراءته مما نسب اليه وازداد محبة له وتكبيراً لقدره وتعظيماً لشأنه

بقى المترجم يشتغل بهيمته العالية وذكائه الوقاد في مجلس التجارة حتى أسست الحكومة المحاكم المختلطة في عام ١٨٧٣ وجعلتها نظارة مستقلة تحت رئاسة شريف باشا الذي كان أول عمل له فيها استدعاء الفقيه اليه وتقليده رئاسة كتابها في ٢٨ سبتمبر من تلك السنة نظراً لما يعرفه فيه من الكفاءة والاقتدار ثم رقي بكفاءته في ٢٤ يونيه سنة ١٨٧٥ رئيساً للقلم العربي والترجمة بها براتب ٤٨٤٦ غرشاً و٢٣ باره اي بزيادة ٢٢٤٧ غرشاً و٢٣ باره على راتبه وفي يناير سنة ١٨٧٦ رقي الى وظيفة ناظر ادارة الاقلام العربية والترجمة ومنح الرتبة الثانية مباشرة مكافأة له على نشاطه واجتهاده وفي ١٨ مايو سنة ١٨٧٩ زيد مرتبه الى ٧٠ جنيتها مصريا وفي ١٤ سبتمبر زيد عشرة جنيهات أخرى وورقي سكرتيراً عاماً لنظارة الحقانية وانعم عليه برتبة التمايز الرفيعة مكافأة له على وضعه للقوانين الحالية وتنقيحها وفي سنة ١٨٨٠ عين باشكاتباً للنظارة بمرتبة ٧٠ جنيتها

حسب نظام الميزانية وفي سنة ١٨٨١ أعيد سكرتيرا عاما للنظارة براتبه وفي ٤ سبتمبر من تلك السنة صدر امر عال بتعيينه باشكاتباً لمجلس النظار براتب مائة جنيه بدلا من كحيل بك حيث انسا فيه الكفاءة والهمة والتضلع في اللغات وفي ١٠ أكتوبر من تلك السنة أيضا صدر أمر عال آخر بتعيينه وكيلا للنظارة الحقانية مع بقاء وظيفة باشكاتب مجلس النظار في عهده وفي ٧ فبراير سنة ١٨٨٢ استقل بوظيفة وكيل الحقانية وانعم عليه برتبة الميرميران الرفيعة وهذا أول قبضي حاز لقب باشا وفي أيام الثورة العراقية تشكلت وزارة شريف باشا الثانية فعهدت اليه سكرتارية مجلس النظار علاوة على منصبه وفي يناير سنة ١٨٩١ جعل راتبه ١٢٥٠ جنيها وفي ١٥ يناير سنة ١٨٩٣ عين ناظرا للمالية براتب ٢٥٠٠ جنيها وفي أول ابريل سنة ١٨٩٤ أنعم عليه برتبة روملي بكربكي وفي ١٦ منه عين ناظرا للخارجية ولبث في هذا المنصب الى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨ حيث منحه لقب عطوفة وعين رئيسا لمجلس النظار وناظرا للخارجية لغاية ٢١ فبراير سنة ١٩١٠ فتكون خدمته للحكومة ٤٢ سنة و١١ شهرا و١٩ يوما

أعماله القضائية

لما قامت حركة نوبار باشا المشهورة بقصد توحيد نظام القضاء في مصر وخصوصا فيما يختص بالإجانب اعتمد على المرحوم بطرس باشا في تحضير القوانين المختلطة بالاعتماد على القوانين الفرنسية فاشتغل مع المرحوم قدرى باشا في ترجمة تلك القوانين المعمول بها الى الآن ثم عادت

الحكومة في سنة ١٨٨٤ وعزمت على تحويل تلك القوانين وتعديلها فشكلت لجنة برئاسة نوبار باشا وعضوية الفقيه ووكلاء الدول وتداولت في مسألة طلب تشكيل لجنة للنظر في المهمة فاختلفت الآراء في هل تكون اللجنة من المندوبين الثواني مع قناصل الدول العظمى والثانوية معاً أو من الدول العظمى فقط وبعد أخذ ورد تم الاتفاق على تأليف اللجنة من مندوبي الدول الكبرى تحت رئاسة المرحوم بطرس باشا غالى فأتمت التعديل المطلوب ثم الفت تلك اللجنة ثانية في أوائل هذا القرن برئاسة الفقيه أيضاً لتعديل بعض مواد القوانين المذكورة ولو ان ذلك كان داخلاً في اختصاص ناظر الحقانية.

وقد تمكن الفقيه في اثناء اشتغاله بترجمة هذه القوانين وتعديلها من تحضير القوانين المصرية المعمول بها الى الآن في محاكمنا الاهلية ومن التبحر في الشريعة الاسلامية تبجراً شهد له به علماءؤها وأفاضلها . ولما أن أتم وضع القوانين الاهلية وعرضت على اللورد دوفرين الذي جاء مصر في سنة ٨٣ لدرس أحوالها وافق الفقيه على انشاء المحاكم الاهلية وعدت جريدة التيمس وقتئذ وجود بطرس باشا في نظاره الحقانية من الادلة على حسن النتائج المقبلة وقالت الاستنداد ان وجوده بصفة عامل في المشروع ضمانه عظيمة لنجاحه ونشر لواء العدل فوق ربوع الديار المصرية

وفي يناير سنة ١٨٨٤ افتتحت تلك المحاكم التي قن لها القوانين

وناب عن نظارة الحقانية في رئاسة حفلات افتتاح المحاكم الاهلية في الوجه البحري فرأس في صباح يوم السبت ٥ يناير من تلك السنة حفلة افتتاح محكمة الاسكندرية والتي فيها الخطبة الاتية

« ان سعادة ناظر الحقانية قد انابنى عنه في افتتاح مجلسكم هذا الذي هو من أهم المجالس الجديدة لوجوده في أعظم مركز تجاري من القطر فاهني حضراتكم حيث ان ثقة الحضرة الفخيمة الخديوية وحكومتها السنية باهليتكم وجدارتكم قد دعتمكم الاشتراك في عمل جديد يعد مبدءاً لعصر جديد يجتني منه المصريون ان شاء الله مما تغرسون بينهم من أصول العدالة والحقانية ثمرات الرفاهية والطمانينة

تعلمون يا حضرات القضاة ان سعادة الامم لا تأتي الا بتأمين افرادها على المال والنفس وبتعيينكم لوظيفة القضاء الشريفة اعني لتنفيذ القوانين الكافل لهما صرتم مسؤولين عنهما ولا شك انكم ستمهرون وتشمرون عن ساعد الجد لاقيام باعباء ما كلفتم به خير قيام فان الرجال بالاعمال وتيقنوا ان الاهالي والاجانب واقفون لكم بالمرصاد وعيونهم شاخصة اليكم واذنهم صاغية لتلقى اخباركم فاثبتوا بنتائج اعمالكم ان في المصريين رجالا يقدرون العدل حق قدره ولا يخشون فيه قدح قاذح ولا يحيدون عنه ابتغاء مدح مادح وبهذا تكونون قد برأتم ذمتكم امام الحق سبحانه وتعالى وحافظتم على شرف ابناء بلادكم واستحققتهم ممنونية الجذاب العالي الخديوي ورجال حكومته وتشكر

الاهالي عموما .

نعم انه لامر طبيعي انكم ستصادفون بعض المشاق في الابتداء
ولكن بالنظر لما هو معهود فيكم ومشهور عنكم من الكفاءة والاستعداد
لا بد وان تزول كل الصعوبات حقق الله فيكم الامل ووفقكم الى
خير الاعمال

هذا ولكونكم حلفتم اليمين حسب الاصول أمام محكمة الاستئناف
بمصر لم يبق سوى مباشرة العمل بمقتضى القوانين فاعلنكم ان مجلس
الاسكندرية قد افتتح اعتباراً من يومنا هذا»

وبعد أن اتم مأموريته هذه قصد طنطا حيث افتتح محكمتها صباح
يوم ٧ يناير والتي فيها الخطبة الآتية

«أن كل مشروع لا يوكل الى اناس خبيرين به قادرين على القيام
بواجباته لا يتولد عنه ادنى فائدة ولا يد أن يتلاشى ويذول فالعمدة اذن
في جميع الاعمال على الرجال ولما كان اصلاح المحاكم وتطبيق القوانين
التي وضع لها أجل مشروع يلزم الاعتناء به والمحافظة عليه وجب
حينئذ الا يعين لاجرائه الا من كانت حليته الذمة والكفاءة وسجيته
الصداقة والاستقامة فاهني حضراتكم بما نلتموده من ثمة الحضرة الفخيمة
الخديوية ورجال حكومتنا السنية بكم بانتظامكم في سلك من انتخبوا
لهذا العمل الجليل الا وهو اجراء العدل الذي هو الاساس الوحيد
لسعادة الاهالي وحيث انكم عالمون بواجبات ووظائفكم ومقدار المسؤولية

التي تحملتموها أمام العزة الالهية والناس اجمع
لهذا اعلمكم بالنيابة عن سعادة ناظر الحقانية ان المحكمة الابتدائية
في طنطا قد افتتحت اعتبارا من يومنا هذا فارجوكم ان تحققوا امال
الحضرة الفخيمة الخديوية حكومتنا السنية فيكم بان تظهروا من نفحات
اعمالكم ما يقر عين الناظرين ويشنف آذان السامعين نسال الله
التوفيق انه بالاجابة قدير «

ثم أقترح محاكم شين الكوم وبنها والزقازيق وخطب فيها خطبا
انيقة بين فيها واجبات القضاة ومركز ثقتهم الادبي وما ينتظره سمو
الخديوي المعظم وعموم الناس من أعمالهم الحسنة العائدة على البلاد
باجل الفوائد

ولما ان عاد الى القاهرة الفت الحكومة لجنة لانتقاء نواب القضاء
ومساعدى النيابة فانتخب رئيسا لها كما انتخب رئيسا للجنة انتخاب قضاة
المحاكم الشرعية فى سنة ١٨٨٦ حيث له اليد الطولى والتدح المعلى فى
اصلاح تلك المحاكم وتنظيمها وحل معضلات القضايا التى كانت تستعصى
على القضاء الشرعيين والعلماء الاجلاء . وقد حدث فى عام ١٨٨٧ ان نفس
الشيخ المهدي كما قال صاحب كتاب الكافي مالت الى الاستبداد بتقليد
وظائف القضاء الشرعي الى صنائعه والاغرار الملتفين حول ولده الشيخ
عبد الخالق وقد كان اعطاء هذه الوظائف لذويها من أهل العلم
والفضل موكولا الى لجنة يرأسها بطرس باشا غالى وكيل الحقانية والشيخ

عضو عن اعضائها فثمنه بطرس باشا غالي في ذلك واشتد في ممانعته بحكم اللوائح المعمول بها عندهم فامتعض الشيخ واخذته هزة الاحزاب فاستمال الى رأيه جماعة من العلماء واعضاء شورى البلاد فكان لا حديث لهم في سمرهم الا خبر وقوف بطرس باشا في وجه الشيخ والحيولة بينه وبين هواه واتفق ان رجلا من اهل الجزائر التابعين لدولة الفرنسيين امتلك دارا باحد شوارع القاهرة واخر يملك دارا امام دار ذلك الجزائري قد تداعت الى السقوط فاخذ صاحبها في لم شعنها وترميم ما تهدم من جدرانها وتنسيق شبائيكها على الطراز الجديد فقام عليه ذلك الجزائري ومنعه من العمل وقال له ان منافذ دارك تكشف عورات داري فعارضه صاحب الدار المتداعية وقال ان بين الدارين طريقا ولا سبيل قط الى المعارضة وطال بينهما الخصام اياما لم ينكف فيها صاحب الدار عن العمل فشكاه الجزائري الى قاضي قضاة مصر فحكم له القاضي بسد منافذ دار خصمه فمال صاحبها حكم القاضي وازعجه اي ازعاج فرفع ظلامته الى المحكمة المختلطة لتابعة خصمه لدولة الفرنسيين فانصفته وحكمت ببقاء منافذ داره كما هي وحكمت على خصمه بشيء من المال تعويضا عما لحق صاحب الدار من الخسارة بسبب الحكم الشرعي فلما شاع خبر ذلك بين الاحزاب هاجوا وماجوا واكبر الشيخ المهدي الامر وأعظمه جدا وقال انما هو عمل من أعمال بطرس باشا الذي يقصد بها الصاق الخزي باصحاب الشريعة الحنيفية ونصرة

اصحاب شريعة الفرنجة وسعى الشيخ مع جماعه من أعضاء مجلس شورى البلاد والاعيان عند الخديوى ووشوا في حق الباشا وما زالوا بالخديوى حتى كادوا يستهرونه ويفترون به فعلم بطرس باشا بما فعله القوم فدخل على الخديوى وأعلمه بحكاية الجزا ئلى وما جرى لصاحب الدار المتداعيه وما حكم به قاضي قضاة مصر وحكم المحكمه المختلطه فكبر عليه فعال الشيخ المهدي واعظم مقارعه المحازين له من الاعيان وشورى البلاد وأرسل في طلب الشيخ وكلمه في ذلك طويلا ورسم الى بطرس باشا بعمل ما فيه المصلحه تسكينا لتلك القلاقل فأشار على الشيخ بتكذيب كل قال وقيل في هذا الصدد فلم ير مناصاً من الاذعان وكتب من وقته الى الجريدة الرسميه وصحف الاخبار المحليه يعلمهم بانه لم يحصل شيء مما ذاع خبره البته وان جماعه العلماء براء من كل تهمة أو فرية يفتر بها عليهم المفترون وأن لا يصل لما أرجف به المرجفون العاملون على ايقاظ الفتنة فاختلف الناس يومئذ حتى كادوا يفتتنون وداخل الخديوى ما داخله من بغض الشيخ المهدي نخله من منصبي الافتاء ومشيخه الازهر وولى مكانه في مشيخه الجامع الشيخ محمد الانبائي وفي منصب الافتاء الشيخ محمد البناء الاسكندري وما زال فقيدنا المرجع الاعلى في سائر الاعمال القضائية والمستشار المسموع الرأي لسائر مستشاري اقسام قضايا الحكومة ومنازعاتها ومشاكلها الى يوم وفاته حتى كانت تتحول عليه دائماً اثناء توليه نظارة الخارجية اعمال نظارة الحقانية مدة غياب ناظرها في الاجازة ويتفق

وإنما وقوع حوادث هامة ذات شأن في أثناء نيابته فيحلها بفكره الثاقب ودهائه العظيم . ومن هذه الحوادث الجسام

حادثة دنشواي

التي اعتدى فيها بعض مزارعي دنشواي على الضباط الانكليز وقتلوا منهم واحدا وجرحوا آخرين بصورة فظيعة فرأس الفقيد بالنيابة عن ناظر الحقانية الذي كان غائبا وقتئذ بالاجازة المحكمة المخصوصة التي الفت لهاكمة المجرمين من الدنشاويين واصدرت حكمها باعدام اربعة وجلد وسجن آخرين . قال المستر بوند وكيل محكمة الاستئناف الاهلية والعضو بالمحكمة المذكورة ان هيئة المحكمة كانت مصممة على اعدام خمسة لولا اصرار بطرس باشا الذي لم يوافق ايضاً الاغلبية على اعدام الرابع وقال أن ضميري غير مرتاح لاعدامه ولذلك فقد سعى رحمه الله عقب الحادثة في مفاوضة الحكومة الانكليزية في العفو عن المسجونين وبعد اخذ ورد طويلين وافقت على العفو الذي اصدره الجنا ب العالي الخديوي رسميا يوم عيد جلوسه السعيد عام ١٩٠٧ . وقد اكبر هذه الحادثة دعاة الوطنية واخذوا يتاجرون بها ويستثمرون اموال الامة على حسابها الى اليوم حتى انهم ادعوا أن هياجهم وحده هو الذي ارجف الانكليز فاصدروا امرهم بالعفو عن المسجونين مع أن الفضل الاكبر في العفو عن اولئك المعتدين يرجع الى مداخلة سمو الخديوي المعظم

ووزير العظم بطرس باشا كما يستدل من الاوراق الرسمية المحفوظة الى اليوم .

وحدثت عقب ذلك حادثة اخرى اتخذتها صحافة ادعاء الوطنية ومن والاهم من المجانين سببا للمتاجرة وهي حادثة الزوجية الشهيرة للحيولة بين الاستاذ الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد وحرمة كريمة المرحوم الشيخ عبد الخالق السادات ولكن الفقيه حلقها أيضا بعقله الرشيد . وله مواقف اخرى تثبت علو كعبه في القوانين والشريعة الاسلامية تراها .

اعماله الطائفية

قل بين رجال الامة المصرية ونوابغها من خدم امته كما خدمها صاحب الترجمة فهو ابو الاصلاح بين الاقباط ومؤسس دستورهم ومحي جامعتهم ومؤلف شتاتهم ورسول البر والاحسان بين فقرائهم فاليه وحده يرجع الفضل في تشكيل المجلس الملي وتأسيس الجمعية الخيرية القبطية وتعضيد سائر الجمعيات القبطية والاعمال الخيرية والادبية فيها . وقد ظهر عاملا في وسط طائفته عام ١٨٧٢ أي بعد تعيينه في نظارة الحفانية وانتقاله الى القاهرة حيث الف جمعية من رجال الطائفة ثم سعى سعيا مشكورا حتى حمل المرحوم الانبا مرقس مطران البحيرة ووكيل البطريركية على مشاركة الشعب للاكليروس في مهام الامة وبذلك تألف المجلس الملي الاول على يديه في ١٦ يناير سنة ١٨٧٤

وانتخب وكيلا له ورئيسا للجنة المدارس والمطبعة والكنائس ولكي يجعل للمجلس صفة رسمية كتب بيده الكتاب الاتي في ٢ فبراير من تلك السنة ووقع عليه المطران المذكور وارسله مع المرحومين دميان بك جاد ونسيم بك شحاته الى المرحوم اسماعيل باشا المفتش ليرفعه الى المرحوم اسماعيل باشا الخديوي الاسبق وهذا نصه :

«لما كان جل مقصود الذات العلية الخديوية ارتقاء الرعايا لاقصى درجات التمدن وكانت مصالح الطائفة القبطية المختصة باوقافها ومدارسها وكنائسها وفقراها ومطبعاتها بحسن توجهات العواطف الدورية آخذه في التقدم والعمارة وقد انطبع في قلوب الرعايا حب زيادة التقدم اقتداء بمن احيالهم اسبابه ادامهم الله فرأينا انه اذا تشكل مجلس من ابناء الطائفة ليتحد معنا في نظر وادارة خصوصياتها المعتمد نظرها بالبطريركخانه كان ذلك داعيا لزيادة ترقية تلك الامور ونجاحها وبذا نكون اجرينا ما فيه رضي السدة العلية . وعليه دعونا من لزم من ابناء الطائفة لانتخاب اثني عشر عضوا يتركب مجلس منهم واثنى عشر نائبا لهم . وباتفاق سمو الخديوي المعظم قد تم الانتخاب بحضور عمل بالبطريركخانه واقتضى ترقيمه لسعادتكم نؤمل عرض الكيفية للاعتاب السنية حتى اذا وافق الارادة العلية الاحسان بصدور الامر الكريم لمحافظة مصر باعتماد المجلس المذكور لرؤية الامور البادية الذ كر كان ذلك من ضمن الاجسانات المنسجمة على هذه الطائفة»

وقد وقع هذا الكتاب موقع القبول من نفس المرحوم اسماعيل باشا فاصدر أمره المالي في ٦ فبراير سنة ١٨٧٤ بتنفيذه فقام الفقيد لساعته ووضع اللائحة الاولى للمجلس الذي استمر عاملا على خدمة الطائفة وترقية شؤونها حتى شهر نوفمبر الذي عقبه انتخاب غبطة البطريرك الحالي ووقوفه عشرة في سبيل اعماله فخاف الفقيد ان تؤول هذه العراقيل الى تاخير امد الاصلاح فاتفق مع البطريرك على تقرير راتب شهري له قدره ٣٠ فنتيا بشرط ان تنفذ اجراءات المجلس جميعها على حسب حدوده الموجودة بدون نقض ولا ابرام ولكن لم تمض على ذلك ايام كثيرة حتى عاد البطريرك الى مناوأة المجلس حتى عطل اجتماعه وانحل بالرغم عن المساعي التي بذلت في سبيل بقائه ولم يجد الفقيد حيلة لاعادته في ذلك العهد خصوصا وأنه كان أمام الامة مسألة هامة وهي مسألة اعتناق القمص مخائيل رئيس دير انبا بولا الدين الاسلامي لعدم انتخابه بطريركا ومطالبته البطريركية بفتح بنقل تكليف ٨٨ فدانا الى اسمه الجديد بحجة انه اشتراها بماله وقد أبدى الفقيد غيرة شديدة على مال الفقراء فسعى لدى الحكومة حتى شكلت لجنة برئاسة فخري باشا وعضوية اربعة من أعضاء مجالس الاحكام وهو من بينهم ونظرت في هذه المسألة ورفعت بها تقريراً الى مجلس النظار الذي وافق عليه وقرر بان كل ما يمتلكه الراهب عائد للدير او الكنيسة التابع لها وانه لا يرث ولا يورث وبناء عليه انحلت تلك المشكلة وعادت الاراضي الى

الوقف ثانية الذي بقي يديره البطريك والا كليروس الى عام ١٨٨٣ حيث شعر فضلاء الشعب ان التآني والامهال تجاوزا الحد وبلغا درجتي الفتور والاهمال فطلبوا من الفقيد التدخل في الامر بكتاب رفعوه اليه في ٢٦ يناير من تلك السنة فاتفق معهم بعد اجتماعات خصوصية كثيرة على عقد اجتماع عام فمقدونه في ١١ فبراير وقام فيه الفقيد خطيباً فقال:

« ان الغرض من هذا الاجتماع هو أخذ قرار بضرورة إعادة المجلس لينظر في الخلل الواقع في المدارس والاقواف وأحوال الفقراء فاجمع الكل على الموافقة وتعين وفد قابل البطريك وابلغه ذلك فلم يذعن ثم تعين وفد آخر فلم يذعن له أيضاً ثم قابله المترجم شخصياً فلم تأت المقابلة بفائدة ما وأخيراً قر الرأي على عرض المسألة على الحكومة فصدر امر عال في ١٣ مارس سنة ٨٣ بضرورة تشكيل المجلس فلم يسلم بها فتعين له من لزم من ابناء الطائفة وافهمه ضرورة احترام الامر العالي فلم يذعن لذلك أيضاً وكتب خطاباً الى الحكومة بعدم ضرورة المجلس لان المسائل التي يطلب التدخل فيها هي مسائل دينية ومن خصائصه ولكن المهمة التي بذلها الفقيد في تأليف المجلس لخدمة أهله ولو بخلع البطريك وانتخاب غيره أدته الى الاذعان وبناء عليه اجتمع أبناء الشعب في ٢٢ مارس لتجديد المجلس ووقف في وسطهم الفقيد خطيباً فقال:

« انه بتوفيق العزيز ورعاية مولانا الخديوي وعناية رئيس مجلس

النظار ورضي وبركة الاب البطريك لانتخاب أرباب المجلس الذي تشكل تحت رئاسته للمعاونة على النظر في مهام الطائفة وفيما يوجب تقدم شؤونها فلترك التباعد والتفاخر ونخلص ضمائرنا ولا نتخب الا المشهود لهم بالفضل والحكمة حتى نتحصل من أولي الفضل والمعرفة والذمة على الفائدة المقصودة ثم استشهد عن ضرورة انتخاب اللائقين بما ورد في أخبار الرسل عن انتخاب السبعة الشمامسة لسياسة أمور الارامل ص ٦ وبما جاء في سفر الامثال عن ضرورة المشورة وفوائدها ص ١١ وص ١٥ ثم قال ولنعلم ان كلنا أعضاء بيت واحد ويلزم أن تكون غاية الجميع عمرانه وتشبيده فلنتحد ولنكن يدا واحدة على قلب رجل واحد لنصل الى الغاية فبالاتحاد والتعاون يؤمل النجاح وبالمثابرة والثبات نصل بمشيئة الله الى ذروة التقدم والفلاح «

وفي يوم ١٢ ابريل افتتحت الجلسة والقى فيها المترجم العظيم خطبة افتتحها بحمد الله وشكره على تمام المشروع وتمام افتتاح المجلس ثم بين المأمورية التي القيت على المجلس والمسؤولية التي اتخذها أمام الله وملائكته والعالم بأسره « ثم انتخب وكيلا للمجلس بالاجماع وسر لأئحته المعمول بها اليوم وحسم مشكلة القس تاو وروس الراهب بعد ان اشتد النزاع بسببها بين أعضاء المجلس وتوسط في اشكال قام بين الحكومة والبطريكخانة بخصوص ارض أوقفها المعلم ابراهيم الجوهري في جهة قم الخليج وادعى بعضهم انها وقف الانصاري وحسمها باثبات وقفيتها



سیر غورسٹ
Sir Eldon Ge

فعلا للاقباط وصدر الامر العالي بتسليم الارض اليهم واعطاهم الاجر المتحصلة في مدة وضع يد الحكومة عليها وقدرها ٣٤٠٠ جنيه . وما زال الفقيد مجاهدا في تثبيت المجلس لاصلاح احوال رعاياه حتى عاد البطريك الى مناوآته وأخذ يحاربه بكل الوسائل حتى أصبح شبيها بالمنحل وما جاءت سنة ١٨٩١ حتى عقد الشعب العزم على تجديد طلب الانتخاب ولكن البطريك كتب بلاغا الى المحافظة بمنع الاجتماع بعد ان عقد مجلسا من رجال الاكليروس وطلب منهم التوقيع على قرار وضعه يقضى بعدم الجواز لاء الطائفة التداخل في تدبير أمور الكنيسة ومتعلقاتها ولكن المرحوم الايغومانس فلتاؤوس أبى التوقيع على القرار ومن ثم استفحل الامر واضطر فقيدنا الكبير ان يسعى للتوفيق بين الطرفين فتمكن من اقناع البطريك بوجوب الاذعان لمطالب الشعب فاذعن وعقد المجلس في ٣١ اكتوبر سنة ١٨٩١ فوقف فيه المترجم خطيبا فقال

« انه وان كان سيادة البطريك غرض الطرف عن الخلاف السابق وقد اذعن مصرحا برضائه عن جميع اعمال طائفته كما أن حضرات اعضاء المجلس اغضوا عن كل ما سبق حصوله ولكن ارى أن يكون افتتاح هذه الجلسة باعادة استماع حضرة البطريك وتكرار الدعوات منه اليهم والتصريح برضائه عنهم واخلاص نيته من بجهتهم كذلك اطلب من المجلس أن يكون همه دائما النفع العمومي ومطمح انظاره تأليف

القلوب وسعيه قاصراً على ما يؤول الى تقدم الطائفة ورفاهيتها»
 ولكن هذا الصلح لم يلبث بضعة اشهر حيث عاد البطريرك
 فكتب الى الحكومة في ٢٠ يوليو سنة ١٨٩٢ يدعي أن المجلس
 مخالف للدين وأنه لا يوافق عليه فاضطر المنعمور له بطرس باشا أن يجعل
 حدا لهذا النزاع فعقد اجتماعاً من وجهاء الطائفة وكتب الى الحكومة
 كتاباً طويلاً يطلب فيه رفع يد البطريرك من رئاسة المجلس ومن ادارة
 كل ما يتعلق بشؤون الطائفة فوافقت عليه ونفذ قرارها في اول اغسطس
 فتوسط في المسألة قنصل روسيا الجنرال وسأل الفقيه دخل الخلاف فعقد
 مع البطريرك الوفاق الآتي القاضي بتعديل بعض المواد لأئحة المجلس
 أولاً - أطيان أديرة الرهبان تقدم حساباتها لغبطته وزائد تقودها
 يحفظ لمجلاتها وثانياً الاعمال المختصة بالا كايروس يكون نظرها بالاتحاد
 مع المجلس الروحي وثالثاً - المادة المختصة بالاحوال الشخصية تنظر فيها
 المواد المختصة بالشريعة بالاتحاد مع المجلس الروحي أما الاحوال المتعلقة
 بالمجالس الحسبية فتتنظر بالمجلس ورابعاً - ديوان البطريرك خزانة يكون
 بمعرفة البطريرك ولا اختصاص بالمجلس فيه وخامساً - حجيج وسندات
 الاوقاف بعد تسجيلها تحفظ بمجلات أوقافها وسادساً - امتعة واواني
 الكنائس والاديرة تحرر بها كشوفات للتسجيل وتبقى بمجلاتها كما
 هي وسابعاً - رئاسة المجلس تكون لغبطة البطريرك ومن يوكله
 بمعرفته من الا كايروس وثامناً - أعضاء المجلس المنتخبون الآن يجري

تعديل الغير موافق منهم وتاسعاً - بعد التعديل يكون ثلث المجلس من المنتخبين بالمجلس الروحي والثلث من الشعب . وعلى هذا الاتفاق قد قبلت العمل ومن الآن يجري تعديل المواد المختصة بالا كليروس والحجج والاثاث حالا . وعند عودة البطريرك لرئاسة المجلس واشتغاله بالبطريكةخانة في وظيفته قبل مدة شهر يجري تعديل بقية المواد .

« بطرس غالى »

غير ان البطريرك ازداد تصميمًا على رأيه ومقاومة للمجلس ولما أن علم الفقيد أن الحكومة عازمت على خلع له لعدم احترام أوامرها رأى أن يتدخل المجلس في الامر حتى لا تتخذ الحكومة هذه المسألة وسيلةً تتمكن بها من عزل وتنصيب رؤساء الدين ولذلك طلب المجلس من الحكومة رسمياً خلع فصدر الامر العالى بذلك في ٣١ أغسطس سنة ١٨٩٢ ثم علم الفقيد بعزم رياض باشا على التدخل في الامر وعرقلة مساعي المصلحين فأسرع بحل المجلس وعقب انحلاله استرجع البطريرك من منفاه في ٤ فبراير سنة ٩٣ وتصلح مع الا كليروس بحضور المترجم وحده الذي تمكن من حل الاشكال كله ومن ايجاد الاتفاق بين الشعب والا كليروس بتأليف لجنة مالية مؤقتة تشتغل مع البطريرك في مهام الطائفة مع قيامه بحسم كل اشكال ونزاع يعوق أمته عن الارتقاء والتقدم

وقد بقيت اللجنة المالية ١٣ سنة مغولة الايدي لا قدرة له على القيام

بالاصلاح والعمل حتى تدمر الشعب وقام في أواخر سنة ١٩٠٥ يطالب
بتأليف مجلسه المالي القديم فعقد الفقيد اجتماعا مع البطريرك وبعض
رجال الاكليروس واتفق معهم باوقفية تشكيل المجلس حسب اللائحة
والاتفاق الذي سبق عمله في سنة ٩٢ مع تعديل المواد الاولى والثانية
والرابعة والتاسعة منه كما يأتي :

المادة الاولى - يضاف عليها بانه اذا كان يستجد عمل خيري عام
وتشترك فيه الامة فيكون من الواجب ان رؤساء الاديرة يتبرعون
ايضاً من مال الاديرة مساعدة للمشروع بحسب مقدرة كل دير
وظروف الوقف ويصير تحسين حالة مدارس الرهبان الموجودة الان
والسابق تقريرها من المجمع الروحي وتزاد مدرسة لدير انبا بولا ويكون
التعليم في المدارس المذكورة بصفة الزامية ونفقاتها تكون على جهاتها
كما هو جارى

المادة الثانية - تعدل بان يتعين اربعة من المطارنة والاساقفة تحت
رئاسة البطريرك للنظر في جميع ما يختص بالاكليروس بدون مدخل
للمجلس في ذلك

المادة الرابعة - تعدل بان اعمال مستخدمى ديوان البطريركية
متعلقة باعمال المجلس فيكون من حقوق المجلس النظر في أمورهم تحت
رئاسة البطريرك

المادة التاسعة - تعدل بان يشكل مجلس روكي يتركب من اربعة

للنظر في الاحوال الشخصية الموجودة باللائحة

وفي ٢٢ دسمبر انتخب اعضاء المجلس تحت رئاسته وصدر الامر العالي باعتماده في ١٤ فبراير سنة ١٩٠٦ الا انه تعطل عن العمل لكثرة العثرات والعراقيل التي وضعت في سبيله ثم اشتد الخلاف بين أعضائه والبطريك واستفحل الامر الى درجة كادت تعيد حوادث عام ١٨٩٢ ولذلك حاول الفقيه ان يسلح بين الفريقين بالتوفيق بين مطالبهما فلم تمهله الايام حيث قضى على حياته العزيرة ذلك الشقي المجرم الذي وعطل اصلاح طائفة برمتها وجنى على وطني كبير اكبر جناية يلغنه عليها كل انسان في الارض

اعماله الخيرية

اي صفحات تسع تلك الاعمال الخيرية العظيمة التي قام بها فقيد مصر فقد كان رحمه الله اب الفقيد وعضد اليتيم والارملة انفق من امواله شيئاً كثيراً في سبيلهم وقضى حياته عاملاً على خيرهم فأسس الجمعية الخيرية القبطية في اول يونيو سنة ١٨٨١ للقيام باود المحتاجين ومعالجة المرضى المعدمين ودفن المتوفين ومساعدة اولادهم وتعليم الاطفال المنقطعين الى غير ذلك من الاعمال الجليلة العائدة بالنفع على الفقراء اجمعين وقد احتفل بافتتحها رسمياً في ٨ يناير سنة ٨٢ وخطب فيها الشيخ محمد عبده والشيخ محمد النجار والسيد عبد الله نديم وأديب بك اسحق ولبثت تخدم الفقراء واليتامى والفقيد يعصدها بما في وسعه

وبما تجود به يمينه المبسوطة كل البسط حتى انه كان يتأفف كثيرا من امتداح الجمعية للمحسنين اعتبارا منه ان الاحسان واجب على كل انسان رحمة باخوانه المعدمين . وقد قامت تلك الجمعية بخدمات عظيمة وكثرت أوقافها وايراداتها وأسست المدارس الخيرية التي يتعلم فيها أبناء القطر على مختلف أجناسهم ويتلقى كل فريق منهم دينه وعقيدته على أساتذة من أئمة .

ولم يكتف رحمه الله بذلك بل طبع على انقاذ المعوزين وتعظيمهم حتى لم يخل عمل خيري من تبرعاته الكثيرة التي انهالت على سائر الجمعيات الخيرية والمشروعات العامة وعادت على البلاد واهلها بالسعادة والارتقاء ومما يؤثر عنه انه اول رجل في مصر أرشد الامة الى ان مساعدة الفقير خير وابقى من أحياء الحفلات والقيام باودعة عائلات فقيره بأسة خير من انفاق المال على الخمر والمأكول وسماع الاغانى ثبت ذلك انه ابطل اقامة مهرجان لزواج أولاده في ١٩ ابريل سنة ١٩٠٦ ليحيى بنفقاته حياة عشرات من البشر. وقد كان في وسع الوزير رحمه الله ان يقيم مهرجانا عظيما يستقطر كل رؤوس الاقلام وريش المصورين ولكنه تبرع بثلاثمائة جنيه للفقراء بدلا من المظاهر الباطلة فابقى له ذكرا صالحا ومجدا حقيقيا بل وضع بعمله هذا المبرور حجر الزاوية في مبدأ كادان يتناسى وهو مبدأ محبة الانسانية والبر بالفقير والمعدم وهكذا الرجل العظيم هو الرجل الاول الذي يضع خطة العمل ويعشي في طليعة

فومه في عمل مفيد ويسير بامته الى حياة جديدة هي كل الحياة وكل
النور وكل الامل وكل الرقي والسعادة
أعماله الادارية والمالية

لم تر الامة المصرية منذ عهد الاول الى عصرها الميز رجلا له اليد
الطولى في كل عمل من اعمالها سواء في التشريع او في الاعمال الادارية
والمالية مثل المغفور له صاحب الترجمة فكان اول من نظم المصالح الادارية
في مصر ثم استلم زمامها اثناء الثورة العرابية ثم رأس في سنة ١٨٨٤
بالنيابة عن نوبار باشا لجنة توسيع سلطة المديرين ووضع القانون
الاداري الذي يشمل بيان الحقوق والواجبات المفروضة على كل موظف
وقس على ذلك سائر القوانين الادارية الاخرى التي وضعها واجاد فيها
بتدبيره وعقله الرشيد ومنها قانون النفي الاداري الذي صدر في عهد
وازرته وكانت نتيجته نقصان عدد الجرائم في بلاد القطر

أما أعماله المالية فتدل على نبوغ رجل عصامي في الاعمال الاقتصادية
فانتخبته الحكومة اثناء توليه رئاسة كتاب الحقانية مساعدا لرياض
باشا الذي عين نائبا عن الحكومة المصرية في مجلس تصفية ديونها عند
ما ارتابت الدولتان الانجليزية والفرنسية في مالية مصر وعينتاه مندوبين
من قبلهما ولما ان اعتزل الرئيس الاجنبي منصبه وتولى رياض باشا
مكانه عين الفقيد وكيله في الدفاع عن مصالح الحكومة وقد اتاه
هذا المنصب على غير استعداد اذ لم يكن له الملم في الشؤون المالية

ولكنه عول على نفسه وعلى جهاده فاكب على دراسة الموضوع ليلتين حتى تمكن من خاطره فوضع تقريره المشهور ومذكرة عن الضرائب والاطيان بصورة يترآى اقارئها من المالىين ان المترجم درس الموضوع من عدة أعوام كما اوضح ذلك جرجس بك حنين في كتابه الاطيان والضرائب في القطر المصري والسكبتن ليونس مدير مصلحة المساحة السابق في كتابه الذي وضعه عن اعمال المسلحة والمالية في مصر وكذلك اعتمد على تقرير الفقيد يعقوب ارتين باشا في كتابه المسمى الاحكام المرعية في شأن الاراضي المصرية والسير الدن غورست في كتابه الذي وضعه في ١٨ يوليو سنة ١٨٩٢ يوم كان مراقبا للاموال المقررة وسماه القوانين العقارية في الديار المصرية

وفي ٥ ابريل سنة ١٨٠٠ صدر أمر عال بتعيين أعضاء قومسيون التصفية الذين عينتهم الدول والفقيد نائبا فيه عن الحكومة المصرية فقامت تلك اللجنة بوضع التقرير ورفعته الى المرحوم الخديوي توفيق في ١٧ يوليو سنة ١٨٨٠ فصدر الامر العالي بالتصديق عليه في ١٩ منه وهذا ملخصه :

قدرت لجنة التصفية بالاتفاق مع الحكومة المصرية التي ينوب عنها بطرس باشا غالى مطالب ادارة البلاد بنحو ٤٩٠٠٠٠٠٠ جنيه سنويا ومن ضمنها الجزية العثمانية وقدرها ٦٧٨٠٠٠ جنيه وما عليها دفعه لانكلا ترا عن أسهم قناة السويس وقدره ١٩٤ ألفا ومساعدة ايرادات

الدائرة بما تقديره ٣٤ ألفاً وقسط المقابلة وقدره ١٥٠ ألفاً. أما الإيرادات المخصصة لفوائد الدين المؤلف من ٢٢٥٨٧٠٠٠ جنيه للدين الممتاز و٥٧٧٧٦٠٠٠ جنيه للدين الموحد فتؤخذ للاول من إيرادات مصلحة سكة الحديد ورسوم ميناء الاسكندرية وتؤخذ للثاني من إيرادات مديريات الغربية والمنوفية والبحيرة واسيوط ما عدا ٧ في المائة تؤخذ منها مصاريف الادارة

وحيث ان فائدة الدين الممتاز باعتبار ٥ في المائة يبلغ سنوياً ١١٨٧٠٠٠ جنيه فتقرر ان يجرى استهلاك هذا الدين ابتداء من سنة ١٨٨٠ بطريقة سحب النمر كل نصف سنة واذا قصرت الإيرادات المخصصة له عن المطلوب يجري سداد ذلك من الإيرادات المخصصة من الدين الموحد أما الدين الموحد فجعلت فائدته ٤ في المائة مع كفالة الحكومة المصرية له متى حصل عجز في الإيرادات المخصصة له ويستهلك بطريقة المشتري العمومي من زيادة الإيرادات المخصصة بعد سداد فوائدها واقساط الممتاز. واذا كانت زيادة الإيرادات المخصصة غير كافية بعد سداد تلك المطالب باستهلاك قيم الدين الموحد البالغة ٢٨٨ ألفاً (نصف في المائة من رأس المال) تكون الحكومة ملزمة بسداد ذلك العجز اهـ ثم وضع القانون شروطاً أخرى تجرى عليها بقية الديون ورسم نظمها جعلها قاعدة لتوزيع بقية الإيرادات على مصالح الحكومة ونظم اختصاصات صندوق الدين. وبالإجمال فان هذا القانون عم

نفعه الدائنين والحكومة المصرية ورعاياها لانه باسقاط معدل فوائد الدين من ٧ في المائة الى ٤ فقط خفف عن كواهل المصريين الذين يدفعون الضرائب الاميرية اثقال مليوني جنيه اي خمس ميزانية الحكومة وقتئذ

ولما ان حصلت الثورة السودانية وطلبت الحكومة المصرية في عام ١٨٨٤ عقد قرض جديدعين الفقيد عضوا في اللجنة المشكلة للنظر في ذلك وهكذا لبث الى آخر حياته نائبا عن بلاده في كل عمل مالي خطير فضلا عن الخدمات الجليلة التي اداها للاهالي بتخفيف بعض الضرائب عنهم اثناء توليه نظارة المالية وفضلا عن اتفائه في سنة ١٩٠٤ مع الدولة المحتلة عقب الاتفاق الانكليزي الفرنسي على اطلاق يد الحكومة من الاسر المالي التي كانت فيه فترك لها بذلك المال الاحتياطي تتصرف فيه بلا منازع بعد أن كانت يدها مغلوطة عنه كل الغل

حياته السياسية

ظهرت قدرة الفقيد السياسية العظيمة عند ما انكسر الجيش المصري ايام الثورة العرابية فانه تمكن بحذقه ودهائه من انقاذ البلاد من هؤلاء الثائرين المتهيجين وذلك انه لما جاء عرابي مخذولا من موقعة التل الكبير واراد اقامة الحصون والمعازل ومد الخطوط والاستحكامات أمام العباسية لصد الانكليز لم يتفق معه الضباط الذين ثاروا ضده واضطروه ان يعقد مجلسا عرفيا حضره كبار الضباط

والاعيان والعلماء والرؤساء الروحانيين ثم وقف هو في مقدمتهم خطيبا مبيناً لهم النتائج السيئة التي تعود على البلاد واهلها من وقوع الحرب في وسط القاهرة وما زال يدحض كل رأى او ملاحظة تبدو من الحاضرين حتى حول أفكارهم جميعاً الى السلام ثم عرض عليهم أن يكتبوا عريضة استرحام للجباب الخديوي فاشاروا على عبد الله نديم بكتابتها فحاول أن ينسب الحركة الى رأى الخديوي وشدد هو واعوانه في ذلك فلم يوافقهم الفقيد واضطروا في نهاية الامر أن يطلبوا منه كتابتها فاملاها عليهم وملخصها : « قد أخطأنا في ما وقع منا . ونرجو من ولي النعم العفو عنا » . ثم حملها رؤوف باشا ومحمد باشا الروبي وقدمها الى الجنب العالي في سراي رأس التين فرفض قبولها

ولما ان انتهت تلك الثورة لبث الفقيد موضع ثقة الحكومة والمساعد الكبير للنظار في حل المشكلات الداخلية والخارجية حتى أن الحكومة الانكليزية حينما سعت لعقد مؤتمر من الدول الاوروبية ينظر في حالة مصر المالية وغيرها أشارت التيمس أن يكون الفقيد نائبا فيه عن الحكومة المصرية لاختباره باحوالها خبرة تامة ولمواهبه السامية التي عرف بها في كل ادوار حياته وفي سنة ١٨٨٨ قامت مشكلة عظيمة بين الاحباش عقب وفاة الملك يوحنا حيث قام الامبراطور منليك الحالي مطالبا بالعرش فابى المطران بطرس ان يمسه لانه اعطى عهدا ليوحنا بمسح ولده ملكا على الاحباش فذهب الى الاسقف متاؤوس

المطران الحالي وطلب منه ان يمسحه فتوقف اولا لعدم سماح القانون له بذلك ثم مسحه وكتب منك الى البطريرك كتابا يخبره فيه بما حصل ويطلب موافقته فاشار الفقيه العظيم على البطريرك بضرورة الموافقة منعاً لنشوب الحرب الاهلية بين الاحباش ثم رسم له الخطة التي يجب ان يتبعها في الرد وبذلك حقن دماء الالوف من العباد وما زال يحل المشكلات برأسه الكبيرة وعقله الرشيد حتى قلد بكفاءة نظارة المالية في ١٩ يناير سنة ١٨٩٣ واطهر الجناح العالي لرجال الاكليروس القبطي عند تشرفهم بمقابلته انه مسرور جدا من تقليد بطرس باشا لوزارة المالية لانه من رجال حكومته المخلصين الامناء المدربين على العمل والمعروفين بكبر العقل والحكمة . ثم قلد وزارة الخارجية في ١٦ ابريل سنة ١٨٩٤ لاعتقاد الحكومة بكفاءته التامة في حل العسير من المشاكل فكان فيها قطر الدهاء والسياسي الشرقي الوحيد الذي يندر وجوده . وقد امتاز في انه كان يلبس لكل حالة لبوسها وهي مزينة عظيمة في نظارة الخارجية خصوصا في بلاد مثل مصر ولكن هذه المزية كما قالت التيمس كانت مقرونة باكثر مما يوجد غالبا في السياسيين الشرقيين من الصراحة والشجاعة والاستقامة والاخلاص لخدمة الامة والوطن

وقد تمكن رحمه الله من التوفيق بين مصالح الدول المتعددة التي كانت تحيط به ولها مصالح واموال ووضع معها سائر المعاهدات

التجارية المعمول بها الى اليوم وذلك الصعوبات العظيمة التي كانت تقوم دواما بين الحكومتين المصرية والانكليزية بدهائه وسعة حيله العقلية وفي اوائل سنة ١٨٩٩ خابر بطريرك السريان الباب العالي بان لشعبه في مصر اوقافا اغتالها الاقباط فرفعت خارجية تركيا الامر الى الحكومة الانكليزية ولكن الفقيه تمكن من اقناع اللورد كرومر بعدم احقية السريان للاوقاف وبذلك حفظ تلك الاوقاف لامته وحسم الاشكال . وفي شهر ابريل من تلك السنة وضمت الحكومة مشروع امر عال باصلاح المحاكم الشرعية ، تغيير هيئتها وعرض هذا المشروع على الجمعية العمومية فقدم الشيخ جمال الدين قاضي مصر وقتئذ والشيخ حسونه النواوي شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية اعتراضا خطيا على هذا المشروع مفاده أن العمل مخالف لنظام الشرع الاغر بدليل أن جلالة السلطان وحده هو الحاكم الشرعي المطلق في الامور الشرعية والقاضي الاكبر نائبه يمين بارادته ويفصل بمجرد ارادته ولا حق للحكومة المصرية باحداث اي تغيير في هيئة المحكمة الشرعية الكبرى لان ذلك التغيير ليس من خصائصها فضلا عن أن كل حكم يصدر من غير قاضي مصر ومن دون اذنه لا يكون شرعيا ومن الواجب أن يكون القاضي في المحكمة الشرعية متصفا بصفات يتمكن من الشريعة وله قدرة تمكنه من معرفة الاحوال الراجعة شرعا من غير الراجعة والاقوال الصحيحة من غيرها أيضا والمشروع لا يكفل

ذلك وبناء عليه يعد مخالفاً لنظام الشرع فلما أن سَمِعَ الأعضاء هذا الاعتراض وافقوا عليه بالإجماع . ثم عرض المشروع على مجلس الشوري في ١٠ مايو بحضور النظار والسير مكاريث المستشار القضائي الذي أكد للأعضاء بأن الحكومة لا ترمي إلى مس الشريعة الفراء بشيء في هذا المشروع أو سواه وبعده وثب الفقيد العظيم وخطب زهاء الساعة بما أوتيته من طلاقة اللسان وبراعة الالتقاء فدحض وجوه الاعتراض الذي اعترضه القاضي ومتولي المشيخة والافتاء ذاكراً أنه اضطر إلى التعرض للسياسة في هذا المشروع لأن الاعتراض الذي وجه إليه مبني على السياسة وهو القول بأن تولية قاضي مصر من حقوق الخليفة الأعظم دون سواه وأنه ليس لسمو الخديوي المعظم حق تنصيب القاضي الشرعي مع أن تعيين نافذ افندي قاضيا لمصر في عهد المرحوم اسماعيل باشا شاهداً على أن للامير من الحق في هذه المسألة عين ما للخليفة ثم ذكر شيئاً من اللوائح والترتيبات التي ادخلتها الحكومة على المحاكم الشرعية ولم يعترض عليها قاضي مصر ولم يعدها مخالفة للشرع الاغرض عليه يكون المشروع الحالي لا يخرج عن كونه مشابهاً لتلك اللوائح والترتيبات التي وافق عليها القاضي بدون ادنى اعتراض وبدون حاجة إلى المناقشة والجدال .

ولما أن انتهى من خطبته صمم القاضي والمفتي على رأيها فقال لهما الفقيد أن الحكومة تستبدل القاضيين الاهليين في هيئة المحكمة بعالمين

من علماء الازهر وسألها هل يبقى المشروع مخالفا للشرع الشريف فاجابا كلا ولكننا لانوافق عليه ووافقهما مجلس الشورى وعند ذلك دخلت المسألة في دور سياسي كبير حيث عزز الباب العالي القاضي في اعتراضه على المشروع ولكن الفقيه ارتأى ان توافق الحكومة عليه وتعين قاضيا شرعيا آخر بدل القاضي المعارض وتعزل الشيخ حسونه من وظيفتي الافتاء ورئاسة المشيخة فعلمت بذلك الحكومة العثمانية واضطرتها الاحوال الى اصدار أوامرها للقاضي بالتساهل في المسألة منعلا لاشكال وما وردت هذه الاوامر حتى كانت الارادة السنية قد صدرت بعزل الشيخ حسونه وتعيين الشيخ عبد الرحمن النواوي شيخا للجامع الازهر والشيخ محمد عبده مفتيا للديار المصرية والى هذا الاخير يرجع الفضل الاكبر في ادخال النظام الى المحاكم الشرعية بعد تعيينه في هذا المنصب وانتهى عام ١٨٩٩ بتوقيع الفقيه الكريم على اتفاقية السودان المشهورة بعد موافقة مجلس النظر عليها ولا حاجة بي الى شرح شيء عنها بعد الذي قاله المستر روزفلت عن السودان في انكارترا وتراه منشورا في غير هذا المكان. ثم وفي أوائل هذا القرن قام الاحباش ينازعون الاقباط في ملكية دير السلطان بالقدس الشريف فقام الفقيه في سنة ١٩٠٤ الى الاستانة العلية وحسم المسألة بدهائه وحسن سياسته حيث تحصل على ارادة شاهانية بملكية الاقباط للدير دون سواهم ثم قابل السلطان في سراي يلديز فاحسن وفادته واكرمه وانعم عليه بالنيشان المجيدى المرمع واهداه عتبة سجائر

مرصعة منقوش عليها طغراء اسم جلالته بالأحجار الكريمة ثم عاد مع الجناب العالي في بخت المحروسة وبالرغم عن صدور هذه الإرادة فقد عاد الاحباش في سنة ١٩٠٨ للمفاوضة مع الدولة العلية في اخذ الدير وساعدتهم الحكومة الايطالية ولكن مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ودلت على اقتدار عميدنا العظيم ودهائه الكبير الذي شهد له به اكبر سياسي العالم من مشرقه الى مغربه فقال عنه اللورد كرومر ما قاله روزفلت والسير غورست والسير جراي والمسيو بيشون والبارون دارنتال والسنير جوليتي وغيرهم من اقطاب السياسة

قال اللورد كرومر في كتابه مصر الحديثة وقد اشغل قبطني (بطرس باشا غالى) ذو كفاءة عالية لمدة طويلة مركز وزير الخارجية ونال لنفسه شهرة بلغت حد الافاق « ثم قال عنه في خطبته التي القاها في الاوبرا الخديوية يوم وداعه ومما اوجب لى السرور العظيم انني عاشرت ناظر الخارجية المصرية مباشرة طويلا . وكان يؤدي اعظم منفعة وأجل خدمة نافعة بما أوتي من سعة الحيلة العقلية في حل المشكلات التي تنجم عن حالة البلاد السياسية الخصوصية . ومع ذلك فقد قال المؤيد في اليوم التالى وقد مدح اللورد كرومر بطرس باشا غالى بسعة الحيلة العقلية في حل المشكلات وهي كلمة صغيرة جدا في جنب ما أداه هذا الوزير من الخدم الجليلة للبلاد في حل المشكلات بين اللورد والجناب العالي من جهة وبينه وبين قناصل الدول من جهة أخرى .

وقال السير جرای ردّاً على سؤال لـ أحد أعضاء مجلس البرلمان « انني لا أود أن اسمع كلمة سوء عن بطرس باشا فان خدمات الرجل أعظم من أن تؤثر عليها سفاسف المتطرفين وذوى المآرب والاهواء »
وزارته القصيرة

ان اقتدار الفقيه العظيم واخلاصه في خدمة بلاده جعلت الجناح العالي والحكومة الانكليزية عقب استقالة وزارة مصطفى باشا فهمي يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٨ ان يكلفاه بتشكيل وزارة جديدة وصدرت اليه الارادة السنية الآتية :

سعادتو بطرس باشا غالي حضر تلى
 بناء على ما هو معلوم فيكم من الكفاءة والدراية ووثقنا بكم قد وجهنا لعهدتكم مسند رئاسة مجلس نظار حكومتنا وعلى هذا نكلفكم بتشكيل هيئة نظارة جديدة وكونوا على يقين من تعاضيدنا ومساعدتنا اياكم في جلائل الاعمال التي عهدنا بها اليكم ونسأل الحق جلت قدرته أن يوفقنا جميعا لما فيه خير البلاد ورفاءية العباد انه نعم المولى ونعم البصير
 ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨ عباس حلمي

فقام الفقيه وشكل الوزارة وعرض على الجناح العالي ما يأتي :

مولاي

قد تفضلت ذاتكم العلية بتوجيه رئاسة مجلس النظار الى عهدتي وكلفتني بتأليف هيئة نظارة جديدة فاتشرف ان ارفع الى مقام سموكم « تابع ملزمة ١٢ »

٩٦ - (ب)

اسماء من تشكل منهم هذه النظارة وهم اصحاب السعادة: سعد باشا زغلول
ناظرا للمعارف العمومية وحسين باشا رشدي ناظراً للحقانية ومحمد بك
سعيد ناظراً للدخلية واسماعيل باشا سري ناظراً للاشغال واحمد باشا
حشمت ناظراً للمالية

فان حازت هذه التعيينات القبول لدى سدتكم العلية التمس صدور
الامر الكريم باعتمادها وتقليدي نظارة الخارجية كما تعطف جنابكم
الرفيع وعهد الي رئاسة مجلس النظار واني مع غاية الاجلال لمولاي
عبد الخاضع الامين

بطرس غالي

وفي ذلك اليوم صدر الامر العالي باعتمادها ثم تشرف حضرات
النظار بمقابلة الجناب العالي شاكرين فقال لهم سموه « اخترت
بطرس باشا لرئاسة الوزارة لانه طويل الخبرة في أعمال الحكومة ولانه
مخلص لبلادي ولشخصي وطالما كان عوني في صعب الامور وشدائد
الجال »

تقلد الفقيه العظيم رئاسة الوزارة فكانت باكورة اعماله حل
مشكلة الازهريين واراحتهم من المتاعب حتى ان الحكومة لما صممت
على اغلاق الجامع قال لا يمكن ابداً في عهدي ان يمس الازهريون بسوء
ثم وضع مشروعا يقضي بسفر العلماء في قطارات سكة الحديد بنصف
أجرة واصدر امره بتعطيل دواوين الحكومة في يوم رأس السنة

الهجرية وغير اسم الحكومة المصرية باسم الحكومة الخديوية
واصدر لائحة رسوم المحاكم الشرعية

ولما كان رحمه الله عليه اول من هيا لطائفته مجلسا نيابيا ومنه
دبت في صدور امته الميل للحكم الذاتي فقد نفذ مادة من مواد القانون
النظامي كانت مهمة من قبل وهي المادة المختصة بحضور النظار في
جلسات مجلس شورى القوانين ففي جلسة ديسمبر سنة ١٩٠٨ للمجلس
المذكور حضر مع النظار والقي على الاعضاء الخطبة الاتية
ايها السادة

«ان المادة السابعة والعشرين من القانون النظامي اجازت للنظار
الحضور في جلسات مجلس شورى القوانين والاشتراك في مداولته
برأي شوروي»

«ولما كان الغرض من ذلك هو ان يوجد دائما تفاهم بين هيئة
الحكومة وبين أعضاء شورى القوانين في درس المشروعات التي تعرض
عليهم فلهذا قد عزمتم اناورققائي على حضور جلسات المجلس كلما
كانت لديه مشروعات ذات بال واتعشم انه بهذه المشاركة تقوى ثقة
كل منا بالآخر وتزول ان شاء الله اسباب سوء التفاهم الذي كان يوجد
دائما عدم تمكن حضراتكم من أخذ الايضاحات التي ترون لزوم طلبها
من النظار» وما انتهى من خطابه الا وقام رجال الشورى وشكروه
وعدوا هذا اليوم فاتحة عصر جديد للتقدم والنجاح ثم دخلت سنة ١٩٠٩

فاقام مهر جانا عظيمًا يوم عيد الجلوس دليلاً على اخلاصه فكان أول وزير
مصري قام باحياء هذا العيد في قصره وحضره كل عظماء مصر وامرائها
واكابرها ونظم فيه شوقي بك شاعر الامير القصيدة الآتية :

على « منازل غالي »	فزنا بصفو الليالي
ترينت وتجلت	في رونق وجلال
وأشرقت بالدراري	من سادة وموالي
ومن كواكب حسن	ومن شمس جمال
كأنها « دور » يحيي	حين الزمان موالي
للعر والانس فيها	مظاهرها ومجالي
يمشي الزمان اليها	كلأئذ بالظلال
والخلق يحيون فيها	عيد « الجناب العالي »
عيد السرير المفسدي	بكل نفس ومال
مرمى رجاء الرعايا	وموئل الآمال
كم اشتباك عقول	عند اشتباك العوالي
الصائلات قدودا	في (البال) اي مصال
الناعمات النواهي	الماطلات الحوالي
العاديات باي	الرائحات بيالي
من جوذر ثم يرنو	وشادن مختال
وظيفة تتثنى	في راحتي رثبال

يا ليلة	نحتليها	سنية في الليالي
في دار أمجد	سمح	مهذب مفضل
في المسلمين	وجيه	وفي بني القبط غالي
وبنت شامبان	تزري	على قطوف الدوالي
اتى العبيد	عليها	من السنين الخوالي
وما تزال	فتاة	مرجوة لوصال
يكاد يحى	(ابن هاني)	شراها المتلاي
شربتها	ووقاري	منزه عن زوال
ظرف (النواسي)	لكن	في ثابت كالجمال
اراح بالي	اني	بحاسدي لا ابالي
وبالصدق	حفي	وبالحب مغال
طربت والعيش	لهو	مال العذرل ومالي
على ولاء	امين	و « بطرس » وآلال
كل غراس	أميرى	وموضع الاقبال
يا بطرس الخير	دمتم	في العز والاجلال
ملكك كل فؤادى		وحزت رق الرجال
بياهرات	الايادي	وطاهرات الخلال
بك الصليب	تسامى	وانت عند الهلال
كلاهما	في احتفاء	بعهدكم واحتفال

ثم غير لائحة المعاشات الملكية بطريقة أصلح لمستخدمي الحكومة وعرض على الجناب العالي تعيين دولة الامير حسين كامل باشا رئيساً لمجلس الشورى لكي توجد له صبغة عظيمة وهيبة كبيرة وصدر الامر العالي بالموافقة على ذلك في ٣٠ يناير سنة ١٩٠٩ فتقدم المجلس وزاد احترام الحكومة والشعب له ثم أصدر أمراً عالياً آخر يجعل جلسات المجلس علانية فكان ذلك عهداً جديداً للمجلس وتقدمه وجعل الرقابة عليه حقاً للامة ثم وضع مشروع توسيع اختصاصات مجالس المديرين وأصدر به امراً عالياً في ١٣ سبتمبر سنة ١٩٠٩ وفيه توسعت سلطة هذه المجالس حيث أعطيت لها فرض ضرائب معلومة على الاطيان لصرفها في المنافع العمومية وخصوصاً التعليم ودل ذلك باوضح عبارة على أنه عامل على اعطاء الامة حق اشتراكها مع الحكومة في أعمالها وفي ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ أصدر قراراً بناء على رغبة والخاص مجلس الشورى والجمعية العمومية باعادة قانون المطبوعات الذي وضعه المرحوم شريف باشا في سنة ١٨٨١ ثم خول مجلس الشورى حق سؤال النظائر ومناقشتهم في جميع المسائل التي يرون لزوم عرضها عليهم . وقد كان بعض الاعضاء غير موافقين عليه للقيود التي وضعت في طريق وضع الاسئلة على مثال القيود الموضوعة في المجالس البرلمانية باوروبا بخاف الفقيد من هذه الحركة مخافة ضياع هذا الحق المفيد من يد المجلس فحضر الجلسة المعينة للمناقشة في هذا المشروع وهناك وقف موقفه المشهور ولم يخرج من

هذه الجلسة الا وقد اقنع جميع معارضيه بفائد هذا المشروع فاقروا عليه بلا استثناء فكان هذا فوزا عظيما له في معرض الجدل وذكرك له بالاعجاب دلالة على قوة حجته وشدة عارضته وقد أعادت هذه الاعمال العظيمة الثقة بالبلاد ثانية خفت وطأة الازمة المالية كثيرا وعاد الرخاء الى الاهلى ومع ذلك فقد نقم عليه جماعة المتمصرين المتطرفين الذين يعيشون باسم الدين فارسلوا اليه كتب التهديد والوعيد حتى اضطر سعيد باشا ناظر الداخلية أن يشير عليه بتعيين حرس له فابى وقال «^١اني لا أقبل قطعاً ان أوصم بلادي بوصمة التعصب اذا اتخذت حرسا لى»

وفي ايامه افتتحت الجامعة المصرية بصفية رسمية وحج الجناح العالي المعظم فناب عنه كما ناب اثناء تغيبه في أوروبا وفي املاكه بالاناضول . ثم في اخريات حياته فاوضت شركة قنال السويس الحكومة بتمديد أجل امتيازها فرأى أن يعرض المشروع على الجمعية العمومية لاخذ رأيها فيه بعد ان بين لها الفوائد التي عرضتها الشركة ورأى الحكومة فاتخذ المتطرفون المشروع سلاحا في ايديهم وقاموا بناهضون الحكومة ويهيجون العامة وانحاز اليهم بعض أعضاء لشورى وقبل ان يبت رأى في المشروع توفى الى رحمة الله ففسرت صر بفقده اعظم رجالها واحكم ابنائها واشدهم اخلاصا وتفانيا في خدمتها تشهد بذلك خدماته وتقدير الدول المتقدمة العارفة باقدار الرجال عماله فنحتة اكبر وساماتها حتى بلغ عدد ما يحمله منها ٧٥

٩٦- (ح)

وساما فنال من الدولة العلية وسام الامتياز العظيم والمجيدي الاول
والعثماني الاول والمجيدي المرصع وهي اكبر الرسامات العثمانية التي
تهدى الى ملوك اوروبا ومن انكترا وسام الحمام ووسام القديس
مخائيل والقديس جرجس ووسام صليب فيكتوريا مع لقب سير ومن
فرنسا وسام اللجيون دونور من رتبة جران اوفيسيه. ومن المانيا وسام
تاج بروسيا ووسام فيليب دي دهيس ومن النمسا وسام تاج الحديد
ووسام ليوبولد الامبراطوري ومن روسيا وسام القديس اتيان ومن
ايطاليا صليب تاج ايطاليا الكبير وصليب القديس موريس ولعازار
الكبير ومن اسبانيا صليب ايزبلا الكاثوليكي الكبير ومن البرتغال
وسام الحمل الكبير وصليب وسام يسوع المسيح الحربي الكبير ومن
نروج صليب وسام النجمة القبطية الكبير ومن اليونان كردون وسام
المخلص الكبير ومن ايران وسام شير خورشيد من الطبقة الاولى ومن
سيام وسام النيل الابيض الاكبر ومن الحبشة الوسام الاكبر ومن
الدينمارك كردون وسام دارنبورج الملوكي الكبير

هذه فذلكة صغيرة من حياة ذلك الفقيد العظيم الذي رقد
الرقاد الاخير فرقدت معه الصفات العالية والعقل الرشيد والحكمة
الواسعة والسياسة القويمة . الا رحمة الله عليه

الحادث الفظيع



كل هذه الاعمال العظيمة والحسنات الخالدة والخدمات الوطنية الشريفة التي لم يقيمها مصري قبل اليوم هيجت ما يسمونه أو يسمي نفسه الحزب الوطني فاخذ يطعن في وريقاته على الوزير الخطير حتى اثار احد اعضائه المجرم الاثيم المدعو ابراهيم ناصف الورداني فقام وتربص للفقيد العظيم صباح يوم السبت ١٩ فبراير سنة ١٩١٠ ليقتله ولكن خائنه قواه فذهب وهو يؤمل أن يجد واحدا ممن ورطوه في السياسة وسلبوا ما له واضاعوا مستقبله أن يمد له يد المساعدة لينشله من ضيقه فلم يجد الا ما زاده شغفا بانفاذ نيته الخبيثة . فعاد ظهر اليوم التالي (الاحد) وتربص في حديقة النظارة حتى اذا خرج الوزير الكبير افرغ فيه مسدسه فاصابه بخمس رصاصات واحدة اخترقت جنبه الايمن الى الجنب الايسر واستقرت تحت الجلد وثلاث منها في عنقه وواحدة في كتفه الايمن وعندها اقبل على صوت الرصاص رشدي باشا وفتحي باشا زغلول وعبد الخالق ثروت باشا والقوا القبض على القاتل الاثيم ونقلوا الجريح العظيم الى غرفة ناظر الحقانية حيث اجريت له الاسعافات الوقائية ثم نقل الى مستشفى فيكتوريا لمعالجته بعد أن بلغ خبر الحادث الى سمو الخديوي المعظم فظهر الحزن والكدو واوفد رجال السراى الى المستشفى للاستفسار عن صحته ثم زاره بنفسه وقبله في خديه باكيا

وطالبا له الشفاء العاجل فقابل الفقيد الكبير هذه العواطف الشريفة بالشكر الكثير ولم يكتف سموه بالزيارة بل كان يسأل عن صحته بين كل دقيقة وأخرى ثم وفد الأمراء والنظار والعلماء والعظماء وقناصل الدول وكل ذي حيشة ومقام رفيع على المستشفى يسألون عن صحته وكانهم اسف واجم أما السيرالدين غورست فكان في البدرشين ولما بلغه الخبر حضر مسرعا على قطار خاص وعلاصات الاضطراب والانفعال بادية على وجهه وزار الجريح في المستشفى حيث كان قد صدر التقرير الطبي الاول ونصه :

« أن عطوفة بطرس باشا غالي اصاب بعدة رصاصات اغلبها غير مهم ومرت واحدة منها في البطن ولكنها خطيرة . الحالة الآن حسنة . ربما عملت لعطوفته عملية جراحية » .

ملتون . خياط .

ثم صدر التقرير الثاني في منتصف الساعة الثامنة مساء ونصه :
« عملت عملية جراحية لعطوفة بطرس غالي باشا واستخرجت الرصاصة التي مرت في الكبد والأمعاء وقد تحمل عطوفته العملية متجلدا صابرا »
ملتون . خياط .

وقد قال رحمه الله عقب اجرائها « اني كنت افضل القتل فجأة عن أن اعذب بعملية » ثم قال « يعلم الله اني ما اتيت امرا يضر ببلادي » .
وظل متجلدا حتى الساعة العاشرة مساء وبعد ما تغير وانحطت

قواه وقضى ليله هادئاً .

وفاة الوزير الخطير

في الساعة السابعة والدقيقة ٤٥ من صباح يوم الاثنين ٢١ فبراير سنة ١٩١٠ حاول الدكتور خياط أن يغذي الوزير العظيم بانبوبة فلم يلبث الا بضع دقائق حتي شهق شهقتين وتوفي الى رحمة ربه في الساعة الثامنة والدقيقة ١٥ وعندما بلغ الحناب العالي خبر نعيه أجهش في البكاء وقال « واحسرتاه واحسرتاه عليك يا اعظم الرجال واقدر الوزراء وأكبر المخلصين » وفي الحال نشرت الحكومة بلاغا رسمياً قالت فيه .

« عطوفة بطرس باشا غالي رئيس النظار توفي الى رحمة مولاه في الساعة الثامنة والدقيقة ١٥ صباحاً »

ثم عقد مجلس النظار برئاسة الحناب العالي في سراي عابدين وقرر ما يأتي ؟

اولاً - تعطيل نظارات الحكومة وجميع مصالحها والمدارس الاميرية الى اجل غير مسمى .

ثانياً - تنكيس الاعلام على الثكنات العسكرية ودور الحكومة حداداً على فقيد مصر العظيم

ثالثاً - تشييع الجنازة في صباح يوم الثلاثاء بمعرفة الحكومة التي تتولى ترتيبها ويكون سيرها من المستشفى الى الكنيسة المرقسية الكبرى ومنها الى دير انبا رويس بالدمرداش

تشيع الجنازة

بكر الناس في صباح يوم الثلاثاء الى الاحياء التي تسير منها جنازة فقيد مصر العظيم حتى خلت المنازل والقصور من سكانها وتعطلت كل الاعمال والسيارات وعربات الترام واغلقت المصارف المالية والحوانيت التجارية ونكست الاعلام على جميع المباني الاميرية والقنصليات وفي كل مكان وجلال ناديا رعمسيس والنيل وكنيسة الاقباط الكبرى بالسواد وشارات الحداد وأخذت الاجراس تدق دقات الحزن والمدافع تطلق من القلاع بين التهنيدات الخارجة من الصدور والدموع المسيلة من العيون على اعظم رجل انبغته مصر. وفي منتصف الساعة الحادية عشرة شيعت الجنازة في موكب لم تر له مصر مثيلا حتى في وفيات ملوكها وامرائها وناهيك بالجموع المحتشدة داخل المستشفى وخارجه. وقد تقدم الموكب فرسان البوليس المصري فرجال المدفعية الانكليزية بموسيقاهم الجميلة بالسواد والعازفة بنغمات الحزن فلواء الفرسان فاورطة يوركشير منكسة البنادق فرجال الجيش المصري بموسيقاهم فالاي الفرسان فكبار ضباط الانكليز والمصريين في الجيش المصري فتلاميذ المدرسة الحربية بكساوي التشريفة فالمدفعية المصرية بموسيقاها فشمامسة الكنيسة المرقسية الكبرى حاملين الصليبان والاعلام فقسوس وقمامسة الاقباط الارثوذكس فالرؤساء الدينيون للطوائف الاجنبية فمندوبو الاقباط الكاثوليك وحاخام باشى اليهود وبطيريك الروم الارثوذكس وبطيريك

الروم الكاثوليك والمطران دريان النائب البطريركي للموارنة والقس جاردنر الانكليزي . ثم مطارنة واساقفة الأقباط الأرثوذكس فإبسطة الرحمة يحمل الاول سير الدون غورست ومحمد سعيد باشا وسعد باشا زغلول وفخري باشا والسير بول هر في المستشار المالي والمسيو سيمرنوف قنصل روسيا الجنرال ويحمل الثاني حسين رشدي باشا والمسيو موهل العضو الالماني في صندوق الدين والسير مكاريث المستشار القضائي والمسيو ريبو متولي أعمال الوكالة الفرنسية ويحمل الثالث اسماعيل سري باشا والمستر دناوب مستشار المعارف والمستر ديبوي مستشار الاشغال والمسيو دمرتينو قنصل ايطاليا الجنرال والمسيو زبلر متولي أعمال الوكالة الالمانية ويحمل الرابع حشمت باشا والمسيو روكاسير المستشار الخديوي والمسيو فان ليب قنصل هولاندا الجنرال والمسيو أوساريو قنصل اسبانيا الجنرال ويحمل الخامس المستر بوند وكيل محكمة الاستئناف الاهلية والمسيو موريندو رئيس محكمة الاستئناف المختلطة وباغوص باشا نوبار ثم نعش الفقيد الجليل على عربة مدفع يجرها أربعة من جياد الخيل ومجلا بالعلم المصري وعليه سيف الفقيد تحيط به كوكبة من الفرنسيان وحوله عشرة من حجاب الخارجية يحملون أوسمته وخلف النعش أولاد الفقيد وشقيقه وصهره فدولة الامير محمد علي باشا بالنيابة عن الجناب العالي والاسراء وحسين كامل باشا ورياض باشا ورجال المعية السنية وكبار موظفي الحكومة وأعضاء الجمعية العمومية ومجلس الشورى وقناصل

الدول والعلماء ورجال المحاكم الأهلية والمختلطة وونجت باشا والجنرال
مكسويل قائد جيش الاحتلال واللورد مانتر حاكم افريقيا الجنوبية سابقا
وبالاجمال جميع العظماء بين وطنيين وأجانب . ثم عقبهم أعضاء
الجمعيات ومستخدموا المصالح من الاقباط فطلبة مدرسة الحقوق
فالطب فاعضاء جمعية ثروة التوفيق فجمعية التوفيق المركزية فعمال
جريدة مصر فمندوبو جمعية الاخلاص في الاسكندرية والمنصورة فمدرسة
الاقباط الكبرى فالمدرسة الاكليريكية فجمعية المعارف الادبية فتلמיד
مدرسة المعلمين التوفيقية فمدرسة الصنائع القبطية بيولا فمدرسة الاقباط
بحارة السقاين فجمعية الرابطة المسيحية فجمعية الشبان المسيحية فجامعة
الحبة وغيرها من أعضاء الجمعيات القبطية وكل جمعية منها كانت تحمل علمها
مجللا بالسواد واكليلا من الورد وسار الموكب على هذا النظام مخترقا شارع
القاصد فشارع المدابغ مارا من البنك الاهلي فشارع المناخ فساحة الاوبرا
فشارع كامل فشارع نوبار وكان أول الموكب قد وصل الى محطة باب الحديد
وآخره عند البنك الاهلي . ولما أن وصل الجيش الانكليزي الى أول
شارع كلوت بك انقسم الى قسمين فسارت أشرطة المشاة الى العباسية
مخترفة شارع الفجالة وسار لواء الفرسان والمدفعية الى دير انبا رويس من
الشارع العباسي حيث اصطف أفرادهم ابتداء من كلية البنات الأميركية
الى المقبرة . أما فرق الجيش المصري فاصطف قسم منها في شارع كلوت
بك من جهة الفجالة والقسم الثاني في أول الشارع العباسي أما المشيعون فقد

حجزوا في أول شارع الفجالة ولم يبح لغير الاكليروس وحملة الإبسطة وكبار الموظفين بمرافقة النعش داخل الكنيسة ولذلك سار أعضاء الجمعيات وتلاميذ المدارس الى الدير صفوفًا منتظمة يحملون الاعلام وباقات الزهور بشكل مؤثر يملأ النفس حزنا وشجنا .

وقد استمرت الاجراس تدق حتى اذا ما ادخل النعش الى الكنيسة أوقفت مؤقتا وبعد أن تولى المطارنة والاساقفة صلاة الجناز وقف مطران قنا وحبيب افندي جرجس راثنين الفقيد بعبارات مؤثرة ثم خرج المشيعون في الساعة الأولى بعد الظهر الى الدير وكانت تتلو عربة المدفع الحاملة لنعشه عربة الموتى وعربته الخصوصية مكلمتين بالا كاليل والزهور ونحو عشرين عربة أخرى ممتلئة بالا كاليل التي أرسلها العظماء على مختلف أجناسهم وتتلوها عربات المشيعين وبعضهم سار على الاقدام الى الدير حيث دخل كنيسة كبار الاكليروس وبعض القناصل والنظار ولم تستأنف الصلاة عليه لضيق الوقت بل اكتفى الحاضرون بالزيارة ثم نقل الفقيد الى مقبرة العائلة فألقيت الا كاليل على جدرانها وذهب المشيعون الى السراشق المعد لاستقبالهم حيث عزوا آل الفقيد ثم وقف مرقص افندي حنا المحامي في وسط هذا المشهد المؤثر وذلك الموقف الرهيب مؤبنا الفقيد فقال:

أيها السادة :

كل مافي العالم عرض زائل وظل حائل لا جاه فيه يدوم ولا مال يبقى الا

الذكر الحسن والأثر الصالح

ليس البطل بطل الحرب والميدان فقط انما البطل أيضاً بطل الحياة والعمل .
كان فقيدنا بطلاً في حياته كما كان بطلاً في مماته .

ففي حياته نشأ عصامياً من أصغر الوظائف الى اسمي مركز في الحكومة المصرية .
فكانت له اليد الطولى في تسوية المالية المصرية وهي في انعس الحالات والقدح
المعلى في وضع القوانين المصرية وانشاء المحاكم الاهلية

عرفه الوزراء شريف باشا ونوبار باشا ورياض باشا ومصطفى فهمي باشا فاخاروه
في جميع وزاراتهم فكان لهم خير معوان

بذل الرجل كل ما يستطيعه مصري من الجهد في أيام رئاسته للسير بالبلاد
في سبيل الحكم الذاتي ونشر التعليم وتقليد الوظائف للأكفاء من المصريين .
قد كان الفقيد أيضاً بطلاً في مماته كما تشهد به تلك الحادثة التي ما شكوا ولا
أن من آلامها بل كان كل فكره وهو على فراش الموت في بلده العزيز دون سواء
وقد اشهد الله على نفسه بقوله يعلم الله أني ما أتيت أمراً يضر بلادي .

ولا يسعني في هذه اللحظة المحزنة أن أقوم حق القيام بما يجب من فروض
الشكر والاخلاص لسمو الخديوي الذي أظهر منتهى الانعطاف نحو الفقيد وعائلته
وبما يجب من الشكران لحضرات الأمراء والنظار والمستشارين والقناصل وأعضاء
مجلس الشورى والجمعية العمومية وسائر المشيعين

فتودعك أيتها النفس الطاهرة تودعك أيتها النفس الزكية تودعك الوداع
الاخير ونسأل الله أن يسكنك فسيح جنانه ونرجو العزاء لأهلك وبنيك ونتمنى أن
ينتفع بأعمالك مصر والمصريون .

ثم انقضى هذا الجمع العظيم يعزي بعضه بعضاً على هذا الخطب
الفادح وأخذ يتوافد صباح مساء على قصر الفقيد العظيم لتعزية آله

كما وفدت صاحبات الدولة والدة الجناب العالي وحرمة المصون وأميرات
البيت الخديوي معزيات آسفات لما للفقيده من المكانة السامية والقدر
العالي في خدمة البلاد

زيارة الجناب العالي

تفضل الجناب العالي في اليوم الثالث لوفاة الفقيده العظيم بزيارة
منزله معزيا آله الكرام وبعد أن استراح قليلا قال
« ان حادثة قتل المرحوم بطرس باشا قد أثرت في تأثيراً شديداً
لاني اعتبره أكبر رجال السياسة في مصر والشرق وأقدر أهل زمانه
على حل المضلات وأوفى وفي لبلاده فضلاً عن كونه كان أشد الناس إخلاصاً
لي ولبيتي حتى أنني كنت أعتمد على آرائه وأفكاره وأفوض اليه بأسراري
الخصوصية . ولذلك سأجعل أنجاله وأفراد عائلته تحت رعايتي الدائمة
فكما أنني لا أنساه فكذلك لا أنساه وبرهاناً على ذلك قد أنعمت على
نقيب بك برتبة الميرميران ورقبته الى منصب وكالة الخارجية لزيد في
نشاطه وأظهر مقدرته التي ستجعله أهلاً لاسم بطرس الكبير . واني
أعشم أن تظهروا أنكم رجال وأنكم حقيقة أنجال المرحوم بطرس باشا
بالقدوة الحسنة والتعقل والحكمة والنشاط والإخلاص التي لا أشك
في تحايكم بها فانصحوا لاخوانكم الإقباط أن يلزموا السكينة »

حفلة الاربعين

احتفلت الامة المصرية بجناز الاربعين في كنيسة الاقباط الكبرى التي كانت من عهد وفاة الفقيد موشحة من الداخل والخارج بوشاح الحداد وأثيرت التريات وأضيئت المصابيح نهاراً ونكست الأعلام على أكثر المباني والحوانيت وأقبل العضاء أفواجا الى الكنيسة يتقدمهم أحمد زكي باشا بالنيابة عن الجنب العالي الخديوي والسرالدين غورست والجنرال مكسويل والنظار وقناصل الدول والمستشارين والاعيان والعلماء وكل كبير وعظيم في مصر وبعد الصلاة رثاه نيافة مطران قنا ثم ذهب أكثر المدعوين الى دير أنبارويس حيث سبقهم اليه الموكب المؤلف من الجمعيات القبطية وقد سار بترتيب ونظام غربيين فكنت ترى كل جمعية تحمل علما مجللا بالسواد وفي وسطه صورة الفقيد محاطة بالا كاليل والزهور ثم تلاميذ مدارس الفرير والتوفيق والمرقسية الكبرى والسعيدية والقريية والتوفيقية والمهندسخانة والطب والحقوق ثم أعضاء الجمعيات الكبرى وكان يتقدم الجميع ويحيط بهم من الجانبين لمنع الزحام على طول الطريق رجال البوليس مشاة وفرساناً وقد أوقفت المركبات وتعطل سير قطرات الترام حتى انتهى الموكب الى السراشق وعندئذ قدم قليني فهمي باشا المؤمنين وهم وهي بك وجرجس بك انطون وفرغلي بك الانصاري وليب افندي حنا نسيم وتوفيق افندي عزوز فالقى كل منهم قصيدة أو خطبة مؤثرة جددت الحزان والحسرات.



قامت صيحة شديدة في الامة بعد ظهر يوم الاحد ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ بأن وزير مصر الخطير بطرس باشا عالي أصيب من يد مجرم أثيم بطلقات نارية فكثرت الاقاويل وانتشرت الاراجيف في طول البلاد وعرضها واجمع الناس في الحال انها مؤامرة من حزب الثورة وتحرير مصر من فئة المتمصرين وخرجت الجماهير التي لا يدرك الطرف لها حداً إلى الساحات والاحياء وهي ما بين اسف وجازع وبين مكذب ومصدق حتى انتشرت ملحقات الصحف معلنة نبأ المقتل الفظيع فعم الحزن والكدر وتوافد الاعيان والسراة من كل مكان وكل بلدة وكل قرية حتى امتلأت القاهرة وازدحمت فنادقها وقصورها ومجتمعاتها ولم يبق فيها مكان خال من التأثير الذي كان عاما ومن الحزن الذي كان شديداً وذهب بالناس كل مذهب حتى باتوا ليلتهم ساهدي الطرف دامي العين كثيري الهواجس لا يقر لهم قرار ولا يشغلهم سوى أخبار الوزير الحكيم الذي أنساهم كل حادث وكل موضوع وكل نبأ .

انقضى ذلك الليل الرهيب بحادثه المفجع وبالاقاويل المختلفة فيه فبكر الناس يستفسرون عن صحة الجريح وملء قلوبهم الامل بشفاؤه ولكن لم تكن الا بضع دقائق حتى علا صوت أجراس الكنائس بدق دقات الحزن وينى الى الامة رجلها العظيم فارتجفت رعبا

وانفطرت غماوخم السكون على مجتمعاتها وبيوتها حتى صارت المدينة أشبه بمقابر الاموات وحتى خيل للانسان انه في عالم الابدية لولا التهنيدات المتصاعدة من الصدور والتاوهات الخارجة من القلوب والدموع المنهمرة من العيون وكأن الطبيعة شعرت بهول الموقف فلم تطلع شمس صباح يوم الاثنين ٢١ فبراير ولم تتر ذلك اليوم المظلم نعم يوم مظلم لم تر الامة أشد منه حلكة وحزنا فيه رحن الى عالم الابدية فقيدوها العظيم وفقيد الوطن وفقيد الحكومة بل فقيد الشرق والغرب لانه كان رحمة الله عليه صلة التوفيق بين المشرقين والمغربين في مصر. ولو كان القاتل الاثيم والذين دبروا معه هذه الفعلة الشنعاء من أصحاب الاكباد الغليظة الذين فطروا على شرب الدماء من المصريين حقيقة أولهم وطنية كما يدعون لما اثكلوا الامة المصرية في أنجب ابنائها واقدروهم على خدمتها بجد واخلاص ولا ثلموا صيتها باشنع ما يمكن أن يثلم به صيت أمة تحت الشمس ولا جعلوها عرضة لاشد الاخطار السياسية وأعظمها وقعاً على الامة والبلاد ولكنهم ارتكبوا جرمهم الشنيع بيد أثيم منهم ضجت من حياته الشقية الارض ومن اعماله الشريرة السماء وهم آمنون مطمئنون لا يؤخزهم ضمير ولا يؤلمهم شعور انساني. ارتكبوا هذا الجرم وتركوا الامة كلها باكية تركوها تتوجع على رجلها العظيم من كل مكان حتى لم تشغل الاسلاك البرقية والتليفونية في القطر المصري كما اشتغلت في خلال هذا الحادث

ودلت على المكانة العظيمة التي يشغلها المرحوم بطرس باشا غالي في نفوس الشعب المصري ونفوس أجبانه

مات رجل مصر العظيم فمات بموته سرور امة وامل امة فعملت ملاهيها وسارحها وجلت صحفها بالسواد وملا أثبار ثائه بين نظم وثر حتى لم يبق شاعر مسيحي الا ورثاه رثاء مؤثراً وحتى لم تبق كنيسة في وادي النيل من الاسكندرية شمالا الى بحيرة فيكتوريا نيازا جنوبا ومن الصحراء غربا الى أرض الحبشة شرقا الا واقامت القدايس ووزعت الصدقات على روحه وأنشأت المراثي تعدد فيها مناقبه وحسناته وخدماته الوطنية الخالصة لبلاده

واي رجل ظهر في مصر اعظم من بطرس باشا غالي. اي رجل مات تاركاً أحسن ذكرى من بعده كبطرس باشا انه ترك اعمالاً خالدة تشهد بها الامم الراقية والقاصي والداني انها اسمى ما وهبته يد القدرة لحكيم بين الناس ترك بنين من افضل الابناء وانجهم وأحسنهم تربية واستقامة ترك بنين ما كادوا يشيعون والدهم البار الكريم الى مقبره الاخير حتى نفحوا الانسانية والمروءة والخير بالف ومائة وثمانين جنيهاً وحتى أعلنوا عزمهم على منح قصرهم للكلية أو الملجأ المراد انشاؤه فاين ذلك الشعور الوطني والانساني العظيم من أوثك الذين يحتكرون الوطنية في حين أنهم يعيشون عالة على البسطاء والسذج من الناس وفي حين أن الواحد منهم يموت فلا يرى الفقير ولا اليتيم من ورثائه درهما

يتصدقون به عليه بل يرى من حسنات الورثة على روحه التقاتل حول قبره ورفع القضايا والخصومات المتنوعة المتعددة وبذل الصدقات في رسوم القضايا واتعاب المحاماة .

أجل ان كبراء اخواننا وصغارهم وكتابهم وأميوهم جزعوا أشد الجزع على مقتل الوزير الخطير وبكوه كما بكاه الاقباط لان الفقيه فقيد الكل حتي ليستحيل على أي انسان كما قالت الجريدة الغراء ان يعتقد أن الاقباط وخدمهم انفردوا بالجزع من هذه الحادثة دون اخوانهم المسلمين بعد ما قام امامنا من الادلة المحسوسة على أن الجميع في الشعور سواء

نعم أن شعور الجميع واحد لانهم ادميون والفاجعة فاجعة للجميع لان الرجل رجل الجميع الا أولئك المتمصرين^١ المتهيجين الذين يرون النور ظلاما والباطل حقاً والسلب واجباً والقتل شريعة والعدل ظالماً والرحمة ناراً والطياشة زانة والتفريق سياسة والله من ورائهم رقيب عليم أولئك قوم طمس التعصب عقولهم وقلوبهم فلا هم يبصرون ولا هم يتركون العامة تسير على هدى العقلاء ولا هم يستطيعون التغلب على عواطفهم حتى في اخرج المواقف وأحزنها . رأيناهم كما رأتهم الامة ورآهم الاجانب قوماً بلهاء يزدادون تطيراً كلما زادت اللسنة تقيحاً لاعمالهم . أفلم ترهم قد نفثوا ما في صدورهم من غل ومن حقد عقب الحادث المفجع . أفلم ترهم قد عمدوا الى دس الدسائس واذاعة الا كاذيب ظناً

منهم أنها توصلهم الى نيتهم السوداء في تشويه ذكري فقيد مصر العظيم. نعم نفثوا وعمدوا والأمة عليهم حاققة والحكومة صابرة والازكائز مترفعون عن التدلي اليهم أو النظر لما يعملون من الاعيب صبيان وطياشة متمصرين ولكن ماذا كانت النتيجة انها كانت شرأ عليهم ووبالا وهكذا المكر السيء لا يحيق الا باهله.

قوم رأوا الاخفاق غالبا على أمرهم والحبوط ملازما لسعيهم فاتخذوا من جهل العامة سلاحا لترويج خزعبلاتهم وأحلامهم الصببانية. عاموها نشيدا قبيحا في مدح القاتل الاثيم وجرمه فزجوا كثيرا منها في ظلمات السجون وألصقوا بالامة الضعة والحطة واتهموها بما هي بريئة منه اتهموها امام العالم المتمدن بانها لا تعرف أقدار الرجال العاملين ولا توقر موتاهم والله تعالى أمر بلسان أنبيائه اجمعين بوجوب توقير الموتى

يكفينا دليلا على صحة هذه التهمة التي ألصقوها بالامة ان اثنين من اليونانيين أوقعهما سوء الحظ في وسط جماعة من الرعاع ينشدون نشيد المجرم فكان نصيبها السجن شهرين ونصيب الامة المصرية المسكينة المتهمه بلا ذنب ولا جريرة تلويث سمعتها . واليك ما قاله قنصل اليونان في العاصمة عقب الحكم على اليونانيين المذكورين .

اني اتهم هذه الفرصة لاظهر لكم جميعا أن القنصلية تأسف اشد الاسف على ن جماعة من رعاياها يرتكبون مثل هذه التصرفات الشائنة المعيبة التي لا يرتكبها الا رعايا الامم المنحطة الضعيفة التربية القليلة التهذيب المعروفة بنكران الجميل .

« تصرفات كهذه لا يجب قطعيا أن يرتكبها أبناء الأمة اليونانية الذين هم في مقدمة الأمم احتراماً للموتى واعترافاً بجميلهم ولا سيما أن فقيده مصر المكرم المرحوم المغفور له بطرس باشا غالي انبع رجل ظهر في الشرق وليس من الواجب على أمم الشرق فقط احترامه وتبجيله بل على جميع الأمم الغربية أن تحترمه وتذكر مناقبه العظيمة الكثيرة وكفائته النادرة المثال بالشكر والثناء .

وان القنصلية تأسف أشد الأسف على وجود مثل هذه القضية في دائرة محكمتها لأنها تحط من كرامة اخلاق الجالية في القاهرة وتأمل أن تكون هذه الحادثة التي وقعت من اثنين من رعاياها هي البداية والنهاية »

وليت أولئك المتمصرين ا كاتفوا بذلك كله وبما جلبوه على مصر والأمة من المصائب وما ألصقوه بها من التهم بل حرصوا شقيا من غلمانهم على وضع كتاب أطلقوا عليه اسم وطنيتي وملأوه بقصائد القححة والطعن فصادره البوليس على ما المعنا وحكم على صاحبه بالسجن سنة مع التشغيل وعلى مقرظيه الأول بثلاثة اشهر والثاني وهو الزعيم الاكبر المناادي بالدستور في مصر بستة اشهر على حين ان الدستور لا ينال بالسباب والطعن . ومما يستوجب الذكر هنا أن هذا الزعيم بكاء سكاء صرا عند صدور الحكم عليه وكان أحق به أن يبكي حينما وجه اليه توفيق بك نسيم رئيس النيابة الكلمات الآتية :

« اقرأوا حضراتكم مقدمة كتاب وطنيتي وبقية منظوماته تبينوا فيها صدق صوت رئيس الحزب في مقاله وهما وان اختلفا لفظا فمتفقان معنى في هذا التوافق الذي يدل على اشتراك في الحس والوجدان .

« هل لا تكون الوطنية الا بنظم قصائد الطعن والهجو . »



المرحوم المغفور له بطرس باشا غالى
Boutros Pacha Ghali

هل لا يكون نصر البلاد الا بان يطلعوا في دياجى الخطوب من حياتهم فجرا
الوطنية الحق لا تسمح للانسان أن يسلك بامته مسالك الردى ويسير بها في
طرق وعرة ثم يقعد بها حيران اسفا .

الوطنية منهج قويم وليست كما فعل صاحب كتاب وطنيتي ويفعل اضرا به
اولئك الذين يشتمون الناس باسم الوطنية ويملاون الفضاء صياحا بدعوى خدمة
البلاد ولو صدقوها الخدمة لصدقهم الجزاء

انا لا اريد أن تكسر اقلام الكتاتين وتكم افواه المتكلمين بل فليكتب
الكتابون ما رغبوا وليتكلم المتكلمون ما شاؤوا ولينتقدوا الشؤون ما ارادوا ولكن
على أن لا يشتموا ولا يحقدوا ولا يضلوا السذج من الناس الذين لا يقدررون أن
يميزوا بين من يكتب ليرشد الى السبيل السوى ومن يكتب ليضلل العقول
ويستهوي البسطاء .

اقول ذلك وانه لا يؤلمني أن اقله ولكنه الحق اعضل الامراض ومن كتم
داه قتلته فلتكن لك ايها المائل اليوم امام القضاء عبرة ونذيرا للمستقبل وليكن اليوم
عظة للغد ليكيفيك الله بعد هذه شر ما يأتي من الخطيئات .

واذا كانت هذه هي الوطنية الحق التي يعلمها القضاة لمحتكري
الوطنية اليوم ويعلمها لهم كل عاقل محب لبلاده فهي تكفيها على أن كل
دسائس أولئك المتمصرين ومفترياتهم لا تشوه قطعيا ذكرى فقيد مصر
الذي سيدوم بالرغم عنهم رجلا عظيما مخلدا ليس في مصر وحدها بل وفي
المشرقين والمغربين لانه بنى لامته المصرية بوجه الأجمال مجدا عظيما
ولامته القبطية بوجه خاص أسس الأصلاح . وقد مات وهو في أوج
مجده فكان له ما يتمناه كل رجل عظيم لنفسه وظل الى آخر حياته وهو

يردد في انفاسه ذكرى مصر واخلاصه في خدمتها قائلاً « اشهد الله
 أنني لم أعمل ضرراً للبلادي » انه اشهد الله على ذلك وكان له أن يشهد
 أيضاً كل المصريين ماعدا المتمصرين ومن والاهم من المجانين فيسمع في
 جوانب القطر كله تأميناً على قوله بل يسمع صوت التاريخ مؤمناً بل
 يسمع صوت سمو ملك البلاد وأحكم الناس فيها وهو يقول لا أنجاه
 « ان الشئ الناصع لا تشوبه شائبة فان عمل المرحوم بطرس باشا
 مسجل في التاريخ لا يمسه شيء »

بل يسمع صوت العلامة الجليل شيخ الجامع الازهر الشريف يقول
 في اليوم التالي لوفاته الفقيه .

« ان ذلك المسيحي عمل من الخير للمسلمين ما لم يقدر على عمله
 كثير منهم »

بل يسمع صوت رياض باشا وهو يندبه وصوت كل عظيم في مصر
 وهو يتوجع على فقدده . يدموته مصيبة جلى على البلاد بل يسمع اساطين
 السياسة وفلاسفة الغرب الشرق وهم يبكونه ويقولون مات سياسي الشرق
 الوحيد الذي انبتته ارض الفراعنة من نحو الف وثلثمائة عام .

ويكفيه أن يذكر في أي بلد اسم بطرس غالي باشا
 ليحيوه هوذا أحكم المصريين وانبع ابناءهم
 ومختصر القول اني لا أستطيع أن أعبر هنا عن شعور الامة

المصرية كلها نحو ققيدها فاقصر على ما تقدم من البيان واذكر أقوال الصحف الوطنية والاجنبية ومرآتي الشعراء لتستدلوا منها على مكانة الفتييد في قلوب امته.

أقوال الصحف

قالت الجريدة - انا لله • انتقل اليوم الى الدار الباقية ذلك الرجل العظيم الذي كان من اخريات كلماته قوله : « الله يعلم أنني ما أتيت بشيء يضر بلادي ». انه كان يفكر في خدمة بلاده فتى وشيخاً سليماً ومريضاً بل وفي سكرات الموت يرى لبلاده حقوقاً عليه فاشهد على نفسه الله والناس أنه أدى هذه الحقوق ألا فرحة الله عليه .

دخل بطرس باشا غالي في الأعمال العامة فرفع مقام العصامية . اذ خرج من الطبقة الوسطى فعمل وجد فنال الجاه الرفيع استحقاقاً بل نال قلوب الناس بالأحسان والخدمة الجليلة لبلاده كما يستطيع المصري أن يخدم امته.

كان بطرس باشا غالي قوي الجسم متناسب الأعضاء ذا نظرات مهيبة حسن الاستماع اذا حدث متروياً متأنياً . اذا حدث حديد الذكاء كبير العقل شريف النفس طاهر الاخلاق واسع الخيلة يسهل عليه ما يصعب على غيره فكان داهية وسياسي الدواهي في الظروف الصعبة ألا فرحة الله عليه

ولم يكن بطرس باشا غالي قعيد عائلته ولا كما يظن بعض قصار النظر قعيد الأقلية ولكنه قعيد الامة جميعها . فإذا كنا نقدم العزاء لتجيب بك وأمين بك غالي وبقية أسرة غالي الكريمة مرة فانا نقدم العزاء للامة المصرية مراراً كثيرة تتناسب مع مصيبتها في ققيدها العظيم ألا فرحة الله عليه

كان أمس رئيس الحكومة المصرية واليوم موضع أسف للامة المصرية وغداً يحمل نعشه المهيّب الى الجداث الضيق الذي كلنا له سائرون فان الله وانا اليه راجعون.

عظم الله أجر الأمة في فقيدها العظيم فرحة الله عليه
وقال المؤيد - أما أهل العاصمة فقد تلقوا خبر هذا الحادث الجلل بالكدر العام
وقد عطلت الدواوين جميعها

وطلب المحامون في المحاكم الأهلية تأجيل المرافعات حداً على الفقيد العظيم
المذي كان من أكبر مؤسسي النظمات القضائية في البلاد وأوقفت جلسات المحاكم
المختلطة ورفعت القنصليات الأجنبية منكة. حداً عليه أيضاً لأن الفقيد كان خير
ناظر خارجية عرفته القنصليات خلال المشكلات . وأن الحزن المستولي على كاتب
هذه السطور يقف دون وفاء حق الفقيد اليوم من الرثاء والتأبين لعظم النازلة من
جهة ولما كان بينه وبين الفقيد من علائق المودة الشخصية لهم الله جميع المصابين
به جميل الصبر والسلوان. وعزى الأمة المصرية خير عزاء .

وقال المقطم - وانما نقول أننا قد شاهدنا حوادث وفواجع كثيرة في هذا القطر
ولكننا لم نشاهد فاجعة أحزنت الجميع على السواء من أصدقاء وغير أصدقاء كهذه
الفاجعة الأليمة وهاجت خواطر الناس جميعهم على اختلاف مللهم ونحلهم هيجاناً
شديداً لأسباب أولها أن الفقيد الكريم المجني عليه رجل لا كالأرجال بل من
أعظم أعظم مصر الممدودين بسعة العقل وسعة الصدر والحكمة والفطنة وبعد النظر
في عواقب الأمور فخسارته أعظم خسارة أصابت مصر في هذا العصر وفي كثير
من العصور .

ثم تكلم عن بقية الأسباب وأظهر غرور القاتل وشر كائنه وأبان ما جلبوه على مصر
من الأخطار والمصائب مما لا يختلف فيه اثنان من أهل النظر البعيد والفكر الثاقب .
وقالت البرجريه - ان فقيد مصر العظيم لم يكن يظن أن كره المتصمرين لكل
مسيحي يدفعهم الى تنفيذ وعيدهم وتهديدهم فتابع سير حياته البسيطة وهو مملوء بالمحبة
والأنس والخير العام يخترق شوارع المدينة بدون حرس ويقابل كل من يطلب
مقابلته ويسير للنزهة وحده

وكان على فراش موته في الدقائق الاخيرة التي بقيت لانفاسه المحدودة يفكر في الغير اكثر مما يفكر بنفسه فقد سأل عن قصد القاتل من فعلته وهو في خطارة حاله لانه قال انه كان يود أن يكون قد قتل حالا عوضا عن احتمال العذاب ولكنه لم يلفظ كلمة واحدة تدل على حقه على القاتل ولا قال كلمة تزيد حزن آله وذويه هذه كانت صفاته في كل حياته روح شريفة عالية رغما عن تواضعه الظاهر ووداعته المشهورة ولم يكن يعرفه حق المعرفة سوى خالاه الاخضاء الذين كانوا يقدرونه حق قدره اما الباقون فلم يكونوا يرون فيه سوى ذلك النظر الهادي الذي كان يدل على علو مكانته

والا ن فقد مات بطرس باشا غالي . مات في اوائل شيخوخته كما يموت الجندي في معترك النزاع . مات من اجل واجباته ومن اجل وطنه .

وقالت جريدة البورص — بمعنى ما تقدم وزادت عليه أن الجميع يعرفون ولكنهم لا يتجاسرون على الاعتراف بان بطرس باشا قتل لان بطرس باشا مسيحي . أن بطرس باشا سار في طريق الحرية وكان القتل يترقبه منذ بداية ذلك الطريق مع أن نورين ضيلين كانا يضيئان وجهه وهما الحزب الوطني ووريقته .

وقالت جريدة الاجيت — فقاتل بطرس باشا غالي في الوقت نفسه قصير العقل ومريض وهو مثل كل الذين يرون رأيه في أن عملا جنائيا كهذا يكلل الفلسفة الاجتماعية المزعومة وينهي الشقاء الشخصي .

وبينا نظهر الاسف الشديد على رجل الحكومة المصرية الذي اختطفته يد الاقدار التي لم يسبق أن فعلت مثل هذا الفعل بمصر وبينا نشاطر الحزن لعائلة الفقيد تبقى لنا تعزية وحيدة وهي اننا في هذه الظروف لا نعجب بفلة من فلتات الحزب الوطني ولا نخاف من تعصبه الهائل

وقالت الغازت — مهما يكن من الاقويل التي تقال في فاجعة يوم الاحد فان سببها لا ريب فيه هو السبب الذي احيا الثورة في الهند واخذ يحياها في مصر اليوم

وهو اعطاء الحرية المطلقة للصحافة المتمصرة الهائجة ولم ينس القراء بعد ما كان من اطراء وريقة لدنجر قاتل السير كرزون وتسميته بالبطل وكيف انها لم تحسب فعلته هذه الشنعاء جريمة بدعوى أن كل انسان يجب أن يكون مستعداً للموت في سبيل وطنه ولعلمهم لم ينسوا ايضاً ما نشرته وريقة احدى ذبول الحزب في ١٣ يونيو سنة ١٩١٠ حيث ذكرت المصريين بمذابح الاسكندرية الوحشية وقالت بصراحة « ليدكر المصريون ذلك اليوم ولا ينسوه » وفي ذلك اليوم عينه قام عضو من اعضاء هذا الحزب والتقى خطبة قال فيها بوضوح أن مطالب الحزب الوطني يجب أن تؤيد ولو بسفك الدماء « وختمت الغازيت قولها بأنه يجب على الحكومة أن تضرب هذا الحزب وأعوانه بيد من حديد والا هدمت ما بنته في مصر بشق النفوس .

وقالت النوفل - لقد اخمد بطرس باشا غالي بموته اخر شعلة لحزب التعصب والثورة والجرائم في مصر والمصريون يوافقوننا على ان جريمة يوم الاحد انما هي جريمة الحزب الوطني - نعم جريمة هذا الحزب وليست جريمة سواه .

وقالت الديلي بوست - يجب أن يكون الحادث الفظيع الذي ذهبت فيه حياة الوزير الكبير بطرس باشا غالي ضحية الطيش والغرور سبباً من الاسباب المهمة الداعية الى ضرورة الرجوع الى تلك السياسة القويمة التي اثمرت في مصر في الزمن الماضي وهي سياسة الشدة والعنف مع اولئك المتطرفين الهائجين لانها وحدها تأتي بالفائدة المقصودة من حيث اسعاد البلاد واهلها .

مراثي الشعراء

لهف الرياسات على راحل	قد كان ملء العين والمسمع
لهف العلى قد عطلت من سنا	بدر هوى من اوجها الارفع
تبكي المروءات على بطرس	ذاك الهمام الماجد الاروع

فتشت - لما لم اجد مقلتي كفؤات عن الفضل ليكي معي
 قتل لي قد سار في اثره يوم دفناه ولم يرجع
 يا مجريا دمع الملا ابجرا ادركهمو يا صرقت الادمع
 عيني فيك اليوم قبطية تروى الاسى عن مسلم موجه
 يهيم من وجد ومن لوعة في الجانب الايسر من اضلي
 وياخذ البر وآي الوفا عن الكتاب الطيب المشرع
 يامن سقاني الجم من وده هذا ودادي كله فاكرع
 يا حامل القلب الكبير الذي لم ينقض الميثاق قم واسمع
 اسماعيل صبري باشا

جاهدت في اعلاء مصرك جاهدا

ابداً ترامي غيرها وترادي اكذا اعادي الا كرمين تعادي
 ابانت بليل لا يرجي صبحه والحق ابلج والامور بواد
 قلب عليها الفادحات فاصبحت ذلل الكواهل رخوة الاعضاء
 ياسنة قدح الحمام زناده من أي كف أم باي زناد
 لما اصبت فؤاد بطرس فادى ظلما اصبت بمصر كل فؤاد
 لبستها من بعد فقد حبيبها ثوب الحداد وأي ثوب حداد
 مجد تجلله الضريح بليلة هذا بياض راح تحت سواد
 لله أي دم اراق مغرر رابي الضغائن كامن الاحقاد
 روى صوادي انفس سبعة تلك النفوس الى الدماء صواد
 حيا على الافساد في اشباحها وتموت حين تموت بالافساد
 تأوى الى الاجساد لا لمساءة وتسيئ حين تحل في الاجساد
 سكن الهوى فيها فليس يهيجه انه ناح بك أو ترنم شاد
 « اعلمت من حملوا على الاعواد رأيك كيف خبا ضياء النادي »

جمع تساقوا كأس حزن بينهم
 يتطالعون اذا خطوا فكأنهم
 يسعون نحو منازل حجراتها
 متشابهات لا تغاير بينها
 بين الرئاسة والضريحة مهيح
 يتشايعون على مواقف بينهم
 ما مثل هذا اليوم يحى ذكره
 لا ينكروا الجرم الذي قد اجرموا
 وعصاة حلت مكان عصاة
 يقتادها وهي العزيمة ظالع
 ثبت اللجاجة لا يدين لحجة
 أن سيق للانصاف جد جرانه
 هوي الدعاء فلا يمل دعاءه
 خافي المراد فلا يبين مراده
 هي فتنة قد كان اكنها المدى
 جادت مواسمها ووصوح نبتها
 كاد النهم نزع الهوى لكنما
 انا لفي زمن تساوي خيره
 ارخوا قياد معاشر فاسترسلوا
 فليبرأ الالباء من اولادهم
 تبكي لوادي النيل اعين امة
 لهفي على آمال قوم اخطأت
 هم طاردوا العاصين حتى اجفلت

مالت رؤوسهم على الاجياد
 يخطون في الاغالل والاصفاد
 مغشية بمواكب القصاد
 خافي المعالم عندها كالبادي
 تجتازه الامجاد بالامجاد
 فكأنهم ابداء على ميعاد
 هو مثبت بصحائف الابداد
 أن العصور له من الاشهاد
 مثل الجراد اتى بأثر جراد
 متواصل الابرار والارعاد
 صعب العناد اذا اتحن لعناد
 واذا يقاد فليس بالمتقاد
 الف النداء فلا يزال ينادي
 واطنه يحيا بغير مراد
 واليوم تلك النار تحت رماد
 والان آذن عامها بمحصاد
 درس النهم وعدت عليه عواد
 بالشر أن مضله كالهادي
 ما مثلهم يمشي بغير قياد
 ياشقوة الالباء بالاولاد
 جادت مواطرها فعب الوادي
 قد كان يعرف رأيهم بسداد
 عنه نعمائم بطول طراد

يا مصر قربك زاد قلبي حسرة
ما كنت أوثر أن ترى بك بعد ذا
أو كما راحت خطوب أو غدت
سبع وعشرون انقضت اعيادها
ورأيت رواد الجمال تكاثروا
ان كان اغضى الدهر عنك لغاية
أو نامت الاحداث عنك لياليا
تفدى ابن نيروز اعاديه اذا
يا قوم رميس الاولى سادوا الورى
متفرد حيا وميتا هكذا
حسدوه في عليائه حتى هوى
أمت سماء العز غير منيرة
هيات تدرك غاية هو سنها
طرف تقاصر كل طرف دونه
سيف تاللا ثم عاد لغمده
قل للذي يرتاد مثل سبيله
يزداد حسنا ما تكرر ذكره
اعدى العداة على الكرام حمامه
يوم أعاد لمصر ماضي حزنها
أحد أطاف على البلاد بشوئومه
نزل العيون قدمها متابع
أربت شكايات الانام فجاورت
وتألفت فيه النفوس على الجوى

يالتني عنك استطال بعادي
كنس الظباء مرابض الاساد
بكرت عليك روائح وغواد
وملت انت تعاقب الاعياد
فسئمت فرط تكاثر الرواد
فستقضي ويظل بالمرصاد
فلرب نوم ينتهي اسهاد
عن الفداء ولم يجد من فاد
لم يوث سوءدهم سوى اجدادي
فرد الثناء يخص بالافراد
ثم استراحت انفس الحساد
بنياب ذاك الكوكب الوقاد
قد جاز آمادا الى آماذ
وجواد فضل فات كل جواد
فلترجع بهم الاسياف للاغماد
اعيت بهالكها على المرتاد
ما كل حسن الذكر بالمزداد
وليومه اعدى على الاكباد
لولاه لم يك حزنها بمعاد
لما أطاف بواحد الاحاد
وثوى القلوب فبها متماد
فيه مدى الارقام والاعداد
اليوم زال تخالف الاضداد

أعزز على أنداده ان ينكبوا
أبكيت مثل بكاء قومك نائيا
ووفاءهم لك في وفائي مثله
ما كنت أغفل عن أبيادي طوقت
الحر حر في الشعوب جميعها
والمجد ليس مقيداً بمعاشر
جاهدت في اعلاء مصرك جاهدا
اثني عليك ولا يظن انني
ان يرمنى هذا الزمان بكبرة
ركب سعي بك للفناء وانني
فاذهب كما ذهب الربيع وقد كسا
ان ينفذ الحزن الدموع فان لي
ولي الدين بك يكن

قل لحادي النوى ترفق قليلا
واسبحي اليوم يا عتيق وفائي
فلقد عز في الوزير عزائي
وخليق بنا ولست أداجي
اغالبتنا الاقدار كرا وفرا
واستطالت على أولي الفضل منا
ما لكيد الزمان أصمى فادمي
ثل فينا عرش الذي كان ركننا
صرمت حبله المتايا فأودى
اذ به قد تعمد السوء باغ

فعلل الوداع يشفي الغليلا
في بحار البكاء سبحا طويلا
وأراني أمسيت نضوا ضئيلا
أن نرى العيش بعده مملولا
واستبقنا فسابقتنا ذميلا
فذهلنا عن الصواب ذهولا
ان كيد الزمان كان وبيلا
لبناة العلي وظلا ظليلا
بعد أن كان حبله موصولا
بحياة الوزير حالا حوولا

فرأينا وجه العلا مكفهرًا
 ووددنا لو كان يندي ولكن
 شغلته عنا المنون فامسى
 حادث زعزع الممالك الا
 واذا ما قضى المهيمن أمرا
 ومن الخطب ما يسر عدوًّا
 من لمصر من بعده بهام
 من لمصر من بعده بامام
 شد ازر القضاء ماشاء حتى
 أين للفضل منه ند كريم
 يابني القطر ويحكم فاذا كروه
 وذروني وما أنا بضنين
 ودعوني وأين مني خناس
 وسلوني من قبل أن تفقدوني
 ما رأينا كمثله من وزير
 أنشأته كنانة الله شهما
 نازعتنا فيه الليالى وودت
 اصطفاه العباس للملك ذخرا
 وارتضاه اذا لم يجد من سواه
 كان يوحى بما يشاء اليه
 ومن الناس من يعد بالف
 ياحليف الشقاء دنيا وأخرى
 لست منه ولا قلامة ظفر
 ورأينا سيف العلا مقلولا
 ما استطعنا الى الفداء سبيلا
 بعد أن كان شاغلا مشغولا
 ان مصرًا ماتت ومالت مميلا
 في الورى كان نافذًا مفعولا
 ومن الخطب ما يسوء قليلا
 قد أجاد المعقول والمنقولا
 يتوخى لكل فرع أصولا
 بات فينا على القضاء دليلا
 عدم الفضل صورة وهيولى
 بمعاليه بكرة وأصيلا
 أنفق الدر في بقاء الطلولا
 اذ نكت صخرها اوال العويلا
 تجدوني به زعيما كفيلا
 بلغ القطر سعيه المأمولا
 دايد في سياسة الملك طولا
 لوبه جادت القرون الاولى
 فامتطى غارب المعالى ذلولا
 في صعاب الأمور قط بديلا
 وهو أقوى وأقوم قتيلا
 ومن الناس من يوازي فتिला
 كيف حلت قتله تحليلا
 فلك الله خائناً مرذولا

علم الله أن بطرس غالي
لم يحاول أمرا يضر فريقاً
فلنطاول بالصبر دهم الليالي
ولنر المرجنين في مصر أنا
ولنهن شق القلوب عليه
وليصننا سهم الليالي العوادي
ولنساجل بماله من خلال
ولنفخر بمثل هذي المزيا
ولنردد تأبينه وكأننا
ولنرتل في كل آن وأين
ولتجامل فيه الممالك مصرنا
ولتخر الاهرام بعد التعالي
وليديم مطرقاً أبو المرسول يينكي
ولنزر دائماً مقاماً حواه
وليضع كل عارف بعلاه
ولنعول على الامير المفدى
فاذا اقتص فالقصاص حياة
ياأبا يوسف وما كنت أعني
ما حسبنا من قبل نعشك أنا
أو نرى شمس دولة قد أصابت
مشهد لا يكاد يرتد عنه
لو نعاها النعاة للصبر يوما
قد تركت الاذل فينا عزيزا

كان فيما يلي قوؤلا فعولا
أو يسوم البلاد وقرا ثقلا
فمن المستحيل أن لا تحولا
لأنوالي منا ظووا جهولا
ولنسجل على الردى تسجيلا
بعد أن ضللت بنا تضليلا
ولنفصل اجمالها تفصيلا
وليطالع جيل بذلك جيلا
منه تلو التوراة والانجيل
ما حيننا أعماله ترتيلا
وليعز الفرات فيه النيا
ولتكن بعده كثيامهيا
وسط منفس راحلا مخذولا
ولتقبل رفاة تقيلا
من بني مصر فوقه اكلينا
في دم بات مهديا مطلولا
وهو نص لا يقبل التأويلا
بندائي يعقوب اسراييل
سنلاقى طود العلى محمولا
في ضحى العدل والسلام افولا
كل طرف الا حسيرا كليلا
لأبي الصبر ان يكون جيلا
وتركت الاعز فينا ذليلا

علمتني علاك نظم القوافي
ولئن كنت مقصرا في رثائي
يا نسيم الصبا ولست اداجي
أبلغ الراحل العظيم سلامي
ثم أنشد بين القبور وأرخ
سنة ١٦٢٦ قبطية
عظم الله فيه اجر المعالي
وأرانا نجيب باشا وزيرا
وجزى الله عن بني القبط خيرا
فعساه بالعهد ان شاء يوفى

فأجدت التشبيه . والتمثيلا
فلقد كنت في ثنائي مطيلا
يا نسيم الصبا سواك رسولا
وولائي ولو رددت عليلا
مات وامصر بطرس مقتولا
٤٤١ ٣٣٧ ٧١٢ ٥٧٧
وحباه منه ثواباً جزيلا
وأمینا عما قريب وكيلا
رب مصر حفيد اسماعيلا
انه كان عهده مسؤولا
وهي بك

يا بطرس الخير قضيت شهيدا
نالتك ايدي الحاسدين ولم يزل
لا بدع ان سحت عليك مدامع
ولكم مددت يدا لعاف معدم
آثار مجدك ان عفت لم يعفها
حزم وعزم قد بلغت مداها
لم نفقد الرجل العظيم وانما
كم وقفة شهدت بانك لم تقف
فاذا الرجال تألبت وتحزبت
غالوك غدرا يا بن غالي بئس ما
هل بعد قتلك نستلذ مطاعما
الدين يبرأ من اثم قاتل

أبقيت ذكرا ما يزال جديدا
رب المكارم والعلی محسودا
فلکم مسحت من الكتيب خدودا
وفككت اغلالا له وقيودا
قدم وزادت جدة وخالودا
حتى غدوت الواحدا المنشودا
أضحى بفقدك بدرنا مفقودا
الا لتنصره عأرا منكودا
فرقت شملهم وكنت وحيدا
صنعوا وكنت السيد الصنديدا
أونستطيب مع الظلام رقودا
قد خالف الاسلام والتوحيداً

فكأنه قتل الجميع بقتله
 ماذا تريد من الطعام وذوقه
 هل في السياسة ان تكون جهنم
 هل في السياسة ان تسير ضغائنا
 هل في السياسة أن تسيء لامة
 ياليت امك لم تلدك ولم تكن
 خطت يمينك في حوادث مصرنا
 يا آل بطرس قد مضى هذا الذي
 هيا نعزي بعضنا بعضا فقد
 يكفيكم فخرا بان مليكنا
 زار الشهيد مسلما ومودعا
 جل المصاب فلا مصاب بعده
 نم واحي في كنف الاله معظما
 هذا الذي لم يلق منه صدودا
 والله أعطاك الطعام صديدا
 مأواك أو أن قد تكون طريدا
 كنت وتصبح غادرا وحقوقا
 قد كنت فيها يانعا ووليدا
 الا هواء في الحشا اودودا
 صحفا حوت غدرا فباتت سودا
 قد كان لكل أبا وعميدا
 عم المصاب مواليا وعميدا
 قد كان بين جموعنا معدودا
 وأتى اليكم ساعيا محمودا
 يجري الدموع ويحلب التسهيدا
 يا بطرس الخبير قضيت شهيدا
 محمد بك عفت

طال ليل الاسى فأين الضياء
 ومشى الدهر بالاساءة لما
 وظنناه ضاحكا فاذا في
 نجمت ثورة وزالت وقلنا
 وبنينا بالسلم بيتا رفيعا
 فاذا حادث خطير فظيع
 حادث ازعج النفوس وأصمت
 رحم الله مصر من شر قوم
 لا يحسنون بالمصائب ما لم
 واستحال الصفا فكيف العزاء
 قد وثقنا من اننا سعداء
 ضحك الدهر خدعة ورياء
 ناروا مصرهم لها اعداء
 وانتهى الامر واستقام البناء
 ضل فيه الحجا وضاق الفضاء
 كل قلب نباله الصماء
 هم بمصر رجالها جهلاء
 تتوال الهموم والارزاء

فتكوا بالوزير بطرس فتكا
انبسوه من الدماء لباسا
قتل الطيش خير شهم عظيم
ولو أن المصاب كان عليه
غير ان المصاب في جسم مصر
يوم قتل الوزير يوم قبيح
ماجت الناس كالفراش وأمسى
فأتى الصبح قائلاً أن افيقوا
فبصكت مصر من كرا كان فيه
ونعت حظها المولى بصوت
وأحلت شأن الفقيد محلا
فاقامت له احتفالا مهيباً
نال بالحزن والسواد جلالاً
ومشى الشعب مطرقاً وعليه
يتجلى موكب الشهيد يناجي
دفنوا جثة لبطرس لكن
ادفنوه فقد بقي منه فضل
هي اخوانه التي ليس تنسى
ذهب الاروع الوزير فحلت
تأكل القطر نارها ان تولت
رب فارحم من بعد بطرس مصر
رب شخص جنى فلايك فيما

مجت الارض وقعه والسماء
منه في مصر محنة وبلاء
قد أقرت بفضلها العظاء
قاصرا كان في العزاء رجاء
طعنة في فؤادها نجلاء
صبح شوئم وليلة ليلاء
أمل الكل للوزير الشفاء
أيها النائمون حم القضاء
خير كفء اذ قلت الا كفاء
سمعته الاكابر والعقلاء
شأن أم يهملها الابناء
قصر المدخ عنه والاطراء
ليس يعطي بيانه الشعراء
هية من فقيده وحياء
ذلك الروح قومه الشهداء
أيها الناس فاتكم ذا الضياء
وعلو وهمة ومضاء
حين ينسى الاخوان والاصدقاء
بدلاً منه فتنة عمياء
أمر اطفائها يد عسراء
لا يكدر لها بلطفك ماء
قد جناه بطيشه الابرياء

واملاء النفس بالعزاء فانا رب عن حمل رزئنا ضعفاء

أحمد برهومة

واتا لنا العزاء الجليل

ها وخطب له العزيز ذليل

ه سيأتي ورده مستحيل

ونبي قد راح وهو قليل

غالهم ذلك المصاب الويل

ح لدامت نوادب وعويل

رجل الحزم والرجال قليل

وأضلوا يا ليتهم لم يقولوا

للهام يا بئس هذا السبيل

ما لا هل التفريق فينا تحول

ناقم أو تعصب أو ذهول

انما الخضم ذو الضلال الجهول

لا تضار ولا اعتداء يصول

مثل ما كان أبوك الجليل

نيل وما كان في نهاء غليل

وباehl هم للوفاء اصول

ب نصحه فهو عاصم لا يحول

حوم والحر السبيل دليل

نحن في حاجة الى الوحدة الشاء (م) ان الوفاق نعم المنيل

غاء ان الغوغاء بئس الخليل

في شباب تثني عليه الكهول

سار للخلد بطرس فله الله

نازل حل في القلوب فادما

كل ما قدر الاله وامضا

أهل غالي كم من رسول كريم

كم مليك وكم مليكة عرش

نحن لولا حسن التأسي بمن را

نحن في حسرة على فقد غالي

أسرف البعض في المقال وضلوا

جعلوا الاقتيات والتم غما

نحن عشنا على الوفاق قرونا

ليس فينا وليس فيكم عدا

ليس قبطي ومسلم في خصام

كل جان يلتقى الجزاء وفاقا

يا نجيب افتده باصلاك واعمل

كان يسدي التوفيق بين بني ال

وتعزز باخوة و بعم

واقبل يا ابن بطرس من مح

هكذا كنت في قريضي للمر

نحن في حاجة الى الوحدة الشاء

أنت أعلا فكرا واسما عن الغو

يا نجيبا في رأيه عن تليد

والمعالي الى الاعلى تميل
فاقتبله والسعود قبول
شؤون تحار فيها العقول
فيه بيت تاريخه يستميل
ليدم نجله نعم الوكيل
سنة ١٣٢٨

في موقف عن فيه الحادث الجلل
موفق الرأي لا يهفو به الزمل
صبح باسباب علم الغيب متصل
الى السلام فلا خب ولا دخل
وقد تباينت الاغراض والحيل
خطب ولو كان في غشيانه الاجل
لوراقب الله ما ضاقت به السبل
به الظنون وارخت حبله الهمل
مصر بما كان أم دامت له القلل
يتمت شعبا جرى عن حلمه المثل
نم آمنا فالليالى ريهما غلل
صدق الوزير بما قالوا وما نقلوا
واثر القاتلان الجهل والخطل
أمضي اليأس وانتابتي العلل
أبكي على أمة قد فاتها الرجل
الا واسرع في تبعيده الامل
عن المصاب الذي ارتجت له الدول

رتبة اقبلت بمجدك تزهو
ولك المنصب العالي تجلى
وتهنأ بعد العزاء فله
والعليك صفت أحكام نظم
جاور الله بطرس فأسفنا
اسماعيل بك عاصم المحامي
يغني عن الغيث ما جادت به المقل
سالت نفوس ابيات على ندس
كانه والليالى فوق ما عرفت
يريك في السلم وجها مال صاحبه
ويضرب الدهر ان اوفى بمحادثة
قلب كقلب (سنير) لا يزله
صراه عن حادث يعزي الى حدث
والطفل يضرب في الديجوران لعبت
يا حادثا ذهل الافلاك هل جهلت
قحل للذي برئت من ديانته
وانت يا خير من ساروا بموكبه
اخلصت للدين والدنيا فما عرفوا
ويل لا بطل مصر ان طويت بها
يا ناشر العلم يا باني دعايمه
وغير الحزن من حالى وغادرني
ما قرب الامل المنشود طالعه
كدنا مع العلم بالايام نسلها

في علمه كتباً جاءت بها الرسل
اثني على نعمتيه السهل والجبل
والنفس خائفة والدمع منهمل
محمد اما العبد

لما نعتك العجم والعرب
ورمت به في مزلق العطب
ولرب جد جاء من لعب
والسهم طاش به فلم ينجب
ما تلعب الاطفال باللهب
لا لاح بعدك لائح الشهب
فالיום عندك كل مطلب
من صبية ضلت ولم تثب
تأتي من الارهاق والرهب
وأشدهم حرصاً على الارب
ان الاثيم رماه عن رعب
عليه تلك النفس لم يصب
في هذه الدنيا لمقرب
لولا الجنون وثورة الغضب
من كفها ولسانها الدرب
اصبحت دار الحرب والحرب
اضحى بساحك ملتقى القضب
آلت ربك لشر منقلب
ان السكناة أسكن الرحب

في ذمة الله يا من كدت أحسبه
في جنة الخلد يا من جود راحته
بتنا وفي كل قلب ما يخامره

مللت على مذاهب الادب
شلت يد طاعت لصاحبها
قد مدها لعباً فجد بها
طاش الفؤاد به فخييه
قد يحرق الشرر الكحول اذا
يا امة في النعش قد حملت
ضاقت بك الآمال مطلباً
(غالى) المأثر قد جنى رجل
مثل العبيد رأيت طاعتهم
قد كنت اسكنهم اذا اشتجروا
لا تسألوا عن رميه أحداً
تالله لو يدري الذي طويت
والنفس والشيطان مقرب
ما كان مفتونا بفعلته
امناضل عن جوض بليته
يا مصر يا دار السكينة هل
يا مصر يا دار السكينة هل
يا مصر يا دار السكينة هل
للفوضويين الذين نسوا

جروا علينا الويل واتركوا
اني لا ابرأ من فتى ضربت
من بعدهم كرا من الكرب
على حجاج اسواء الطنب

عبد الحليم المصري

أي بدر خبا وأي بناء
قل لنا عي الوزير للعلق مهلا
ومر الشمس ان تغيب عن الافق
ومر السحب ان تمر جهاما
ومر الليل ان يدوم طويلا
بلد خانه الزمان فأمسى
ذهب اليأس بالنفوس فمن لى
أين عهد الوفاء ان كنت لم تد
اين شمس الجلال سر المعالي
اين من هذب الزمان واحيا
اين زهر الرياض غالي فتاها
غاله خائن يرى القتل دينا
اضمر الشر للرئيس المفدى
واطاع الذين هم شر قوم
لودرى بالذي طوته الليالي
وتمنى ان تغوص به الار
ايها القطر قد فقدت عظيما
نور عيسى في وجهه يتجلى
دق ذاك الناقوس حزنا عليه
وجرى الحزن في الصليب فأمسى

قوضته في الدهر أيدي القضاء
وترفق بتلكم الاحشاء
فلسنا في حاجة للضياء
كم سحاب ارسلته من بكائي
لنرى مصر في ثياب الشقاء
كيتيم أوفى على لوءاء
برجاء بعد احتجاب الرجاء
ربمخطب الوزير رب الوفاء
صاحب القدر واحد الوزراء
سننا أعجزت نهى الحكماء
ومناها عند استماع النداء
وطريقا الى مراقي العلاء
بنفوس الاعاظم الرؤساء
بين أهل النهى وشر بلاء
لبكي من جزاء يوم الجزاء
ض اذا كان فيه بعض حياء
اين منه مكانة العظماء
كهلال يلوح فوق سماء
دقة القلب من جرى البرحاء
مطرقا بالعلامة السوداء

كم له أثر جليل ينادي انه الرجل العظيم الالباء
 قوله عند موته عظة با لغة نطقت بدون مراة
 « علم الله لم أضر بلادي » ولها كنت أخلص الاوفياء
 بطرس الحزم من يذل صعبا ان دهتنا الخطوب بالارزاء
 بطرس الخير قد تيم شعب بعد فمك يا أبا البؤساء
 بطرس العقل من يسد رأيا ان بدا مشكل عسير فحائي
 كنت حلال معضلات فبرهنت بانك آية في الدهاء
 كم وسام حملته فوق صدر يتللا من بهجة الملألاء
 نلت مانلت عن جدارة حق به آمن كل دان ونا
 سرت بالقطن نحو دستور الم جو تبرزه بدون ونا
 نت سر القانون في أرض مصر رلك الفضل شاهد بالذكاء
 أنت أدخلتنا النظام النيابي أنت أول مستحق الشاء
 أنت بيت المقصيد قائد مصر في سبيل رقيها والرخاء
 كنت للعرش مخلصا وأمينا ووفيا للسدة الشاء
 ذائدا عن حياضها بفؤاد أكبرته الاسود في الهيجاء
 كنت تقزع كل خصم عنيد بسديد البرهان والآراء
 عجز الكل عن مباراة فكر ثاقب حده سريع المضاء
 حسدوك جهالة وضللا ورأوا منك ملجأ السفهاء
 فأرادوا أن يطفئوا نور رب به في الوجود للنعماء
 فاسنابحوا قتل البرى بعمد يالها من جريمة شعاء
 أن فنجوا من عقاب حكاه ارض كيف ينجون من عقاب السماء
 ويلهم يوم يطلب العدل منهم دم بطرس غالي الاصفياء
 قد طواك الردى فغبت كريما عن عيون في الجنة الفيحاء

حملته الآباء وهو حزين
 ان قتل الوزير فينا فداء
 عرف المالك المحب فينا
 فمشى للعزاء وهو كئيب
 وملوك الوجود تعلم بالقدر
 نبأ روع الخلائق جمعاً
 كاد ينسي الآباء ذكر بنينهم
 نبأ أحزن المكارم والمجد
 نبأ فادح وخطب جسيم
 هز رمسيس حزنه فسمعنا
 وأتت في الرئيس كتب تعاز
 رب ماهذه الحياة حياة
 وقلوب الانام شتى فن لي
 انما الدين لاله وهذي
 ضلت الخلق بعد هذا سبيلا
 يا حياة اليتيم كيف تلاشى
 يا مجبر الضعيف في كل خطب
 لك فينا مائر ليس تخفي
 شدت للعلم في البلاد بناء
 ان تار يخك المجيد لباقي
 ان بطرس عاش شهماً أميناً
 كم من الداء قد ألم بمصر
 كم مجالس أنشأها يداه
 فسرى الحزن بعد في الابناء
 للبلاد أكرم به من فداء
 قدر من كان أوحد الا كفاء
 وعزاء الملوك خير عزاء
 ووقدر العظيم بادي البهاء
 ليته لم يكن من الانباء
 ويرد العقول مثل الهباء
 وأبكى العلى بسكا الخنساء
 ترك النيل في احمرار الدماء
 ضجة في وسيع ذاك الفضاء
 من ملوك الزمان والروضاء
 بين قوم لم يأنسوا للولاء
 بقاوب صفت كراح وماء
 كتب أنزات على الانبياء
 فاهدنا ربنا سبيل السواء
 ظل هذا الجلال من غير داء
 كل حين وملجأ الفقراء
 كيف يخفى الضياء في الظلماء
 كاد يعاو على على الجوزاء
 شاهداً بالصحيفة البيضاء
 لك يامصر قاهر الاعداء
 فانبرى شافيا بخير دواء
 لارتقاء البلاد سبل العلاء

في مقام الكرام والشهداء
باحتوائك قدوة الفضلاء
مهجة صاغها الالاسى برثاء
رب دمع بين الرثا والهناء
جرجس بياضى

رثا ياليتك كان المديحا
دما حتى غدا جفنى قريحا
ولا أمسى فؤادي مستريحا
عيا حيث أعهد فصيحا
فما أرضى محمد والمسيحا
ودين كليهما وافي صريحا
وما فيه الهدى قد جا مبيحا
لدى التمهيص لا يلفي صحيحا
لكان جميعنا لبس المسوحا
فلم يك بيتنا أحد قبيحا
ترى تضليلها سوقاً ربيحا
براه الله للدنيا مليحا
بقدر ذكاء فكر قد أتيحا
وقد أمضى الحياة لها نصوحا
امام عيوننا استلقى طريحا
فأيدهى الغدركم دكت صروحا
بعزم عاش للعليا طموحا
بان صفاته كانت فتوحا

نم عزيزا في دار رب كريم
ياضريحه نلت عزا ومجدا
وتقبل يا أنجب الناس مني
ان بكيتا على أبيك بدمع

الى روح الذي سكن الضريحا
لعمري لو تبدل دمع عيني
لما انطفأت لواعج نار حزني
لهول مصابه اضحى يراعي
جنى المفتون بالالوهام اثما
وكل لا يرى في الغدر عدلا
يحرم ما يرى فيه ضلالا
ولكن شاءت الجهل انزاعا
ولولا كلمة البارئ تعالى
أو الاسلام عم الكل دينا
سخافات تروجها عقول
أما علموا بان الكل خلق
وقيمة كل مرء في البرايا
فوأسفا لفقد وزير مصر
ووأسفا على طود عظيم
ولا عجب اذا أخذ اغتيا لا
وما تقموا عليه سوى ترقى
ونبل مواهب شهدت اليه

ذكاء نادر وحجى كبير
وجأش ثابت ما روعته
فراح شهيداً وقضى عظاماً
وشيعه الى جدث عظام
وقد شهدوا بمشهد جلالا
يحق لكل قلب ذا رشاد
على من كان نبراساً مضيئاً
فقدناه وحاجتنا اليه
ولكن القضا نادى فلما
فقد الكل ان شئنا عزاء
ويركب كل عقل ضد عقل
لحادثة جرت فينا شذوذا
بل الاولى بان ننسى جميعا
وان لا نغمر الاحقاد جهلا
وننهج للعدو لنا طريقا
أفيقوا يا بني مصر أفيقوا
فان الحزم يأمرنا جميعا
وأن تصفوا ضماثنا بصدق
فلو وسع المقام هنا مقالا

ورجه لم يزل أبدا صيححا
جروح أعقبت فيه قروحا
على رغم الالى عابوا سجيحا
تمنى كلهم ذاك الضريحا
يكاد على الملوك يري شجيحا
ادامة دمع أحزان سفوحا
لساستنا وميزانا رجيجا
كجسم للحياة يرد روحا
نداء الله مرتاحا مريحا
فخير عزائنا أن لا نطيجا
جوادا في مهارة جموحا
فأبقت في عواطفنا فلوحا
ونأسف للمصيبة أو ننوحا
فننشل كلنا في مصر ريحا
نضحى فيه ذاك لذا ذبيحا
وكونوا كلكم شعبا سموحا
بان نبدى الى السلم جنوحا
من الاضغان كي تكفي الفضوحا
لكنت أطلت في النصيح الشروحا

محمد فرغلي بك الانصاري

هل كان يومك الا عبرة الامم
يوم تلفت فيه الدهر من فزع
ماذا جنيت وماذا كنت فاعله
وآية الله في مستعظم الهمم
فما تمالك حتى ضج من ألم
حتى أصابك منا سهم مستقم

نبني وتهدم أيدي الجهل دائبة
سطر من العار خطته أنامله
يا ويح مصر أما تنفك ثائرة
يا أمة القبط والاجيال شاهدة
لا كان منا امرء باتت جوانحه
هذي مواقفنا في الخطب ناطقة
ان يختلف منكوا في الخطب مختلف
ان بسكينا فلم نترك للأئمة
لا تظلموا الدين ان الدين يأمرنا
فينا وفيكم رجال لا حلوم لهم
أنتم لنا اخوة لا شيء يبعدنا
ليس اللجاج بمدن من رغائبنا
يا ويح مصر خلف لا ركود له
مثل البراكين في الحالين ما هدأت
ولوتألف أهلونا لما بقيت
يا قوم ماذا يفيد الخلف فاتفقوا
صونوا اليهود وكونوا أمة عرفت
يا قوم لا تغفلوا ان العدل له

فمن لنا ببناء غير مهدم
لو استطيع له محو بدات دمي
لحادث مجلل أو نكبة عجم
بما لنا ولكم من صادق الدم
لفقد سيدكم الا على حرم
فاستنبؤوها تر يحونا من التهم
فما لنا اليوم غير الدمع من حكم
حقا علينا ولولا الدين لم يلم
بما علمتم من الاخلاق والقيم
ولا يفيئون للأديان والحزم
عنكم على عنت الاقدار والقسم
ولا الشقاق بمجدينا سوى الندم
الا ليصف بالاقطار والامم
الا لتقذف بالنيران والحمم
من حاجة في ضمير النيل والهرم
وقوموا أمركم بالحزم يستقم
سبل الحياة فلم تعسف ولم تهم
عين تراقب منكم ذلة القدم

أحمد محرم

وهناك قصائد أخرى تبعد بالملئات عدا عن مرثي الكتاب الثرية التي لا تحصى
وأقوال الخطباء وغيرها من الرسائل البرقية التي انتهت على الصحف ولبثت تنشرها
بإختصار نحو شهرين من الزمان أدلة حسية على وكل ذلك فضل فقيده مصر وعلى رفيع
منزلته العالية في قلوب أمته .



المرحوم المغفور له بطرس باشا غالى

Boutros Bacha Ghali

اخذت هذه الصورة وهو في اوروبا

طير البرق حادث مصر المفجع الى سائر انحاء الارض فاكبرت الامم المتمدنه وقوعه وعدته أعظم حادث وقع في أرض الفراعنة منذ عهد التاريخ بل عدته حائلا في سبيل استقلال المصريين واسرعت الصحف الكبرى في أوروبا وأمريكا بنشر صورة الفقيد وترجمة حياته مظهره فضله وأعماله العظيمة ونبوغه وخسارة مصر والشرق كله بفقده وقد اهتزت عاصمة الخلافة في فاروق على الخصوص لوقوع الحادث ونشرت عنه صحافتها المقالات الضافية مثبتة وطنية الفقيد وأعماله الجليلة ذاكرة المشاكل السياسية الخطيرة التي حلها بفكره العويص ورأسه الكبيرة مظهره النتائج الوخيمة التي تعقب الحادث ناصحة للمصريين أن يتخذوا غير سبيل الارهاب لتمدينهم ولم تكن الصحف العثمانية وحدها هي الضاربة على هذه النعمة والتأثرة من وقوع الحادث بل الامة العثمانية كلها وفي مقدمتها جلالة السلطان الاعظم محمد الخامس الذي أرسل تلغراف تعزية الى الحكومة المصرية كما أرسل الوزراء ورئيس مجلس المبعوثان ومجلس الشورى التلغرافات العديدة الى الحكومة والى عائلة الفقيد

أما صحف بيروت فقد ظهرت مجللة بالسواد مشاركة للامة المصرية في أحاسيسها وعقبت جريدة الوطن البيروتية على الجناية بقولها

« نعى بطرس باشا غالى فاصابت وادي النيل سكتة من الاسى
بل تجاوز الاسف أرض الصعيد وألم بكل ذي شعور حي. على أن هناك
بين تلك الجماهير العاقلة المتأثرة من أجانب ومصريين بعض شرادم من
المتمصرين أكل الجهل عليهم وشرب يتهامسون سرّاً بفوز الوطنية وهم
لا يفهمون من الوطنية الا الحزب الوطني الذي أصبح عبارة عن بضاعة
يتاجر بها قوم يحسبون أنفسهم من الزعماء الوطنيين وهم في الحقيقة
متمصرون وتجار يسخرون أنفسهم ويسخرون العامة فيقودونها من
هاوية الى هاوية ومن بلية الى بلية كأنما كتب لوادي النيل مع توفر
أسباب المدنية فيه ان تبقى فيه فئة متعصبة من غير ابناء البلاد تجر عليها
أشكالا وأنواعا من العناء

ويسوئنا والله أن نرى وطنياً تفتك به يد وطنيه! يقتل الوطني
أخاه في الوطنية ثم يدعي انه عمل لاجل الوطنية . بئس الوطن الذي اتخذ
المتعصبون فيه اسم الوطنية وسيلة للفتك بافاضل بنيه وبئس ما اتخذ
ذلك الجاني الاثيم حججاً على صوابية الفتك برجل أدرى من القاتل وامثاله
الجهلة بما يفيد مصر بل وأعلم بادارة دفعة السياسة في مركزه وابصر بعواقب
الحوادث وأخبر بما يستطاع ومالا يستطاع

ومن الجهل الفاضح أن يتصور بعض التهورين أن أصحاب
المراكز السياسية قيد اهوائهم الذميمة ورهن تصوراتهم القاصرة
خصوصاً في مثل موقف مصر الحالي. على أن العقلاء الواقفين على

أسرار السياسة انما هم الذين يشعرون بحرج تلك المواقف
فكان الدم البرئ الذي سفكته يد الجهل والتعصب بدعوى الانتقام
للوطنية هو الدم المنادي بان لا وطنية في مصر
وان أرضاً لم يذكر لها التاريخ منقبة مجد في أيام استقلالها لهي
الارض التي لا تنبت الا الذل والهوان في أيام استعبادها «
وعلى هذا النحو كتبت بقية الصحافة العثمانية والسورية في الشرق
وفي أمريكا وصحافة بقية الممالك المتمدنه. ولا نبالغ اذا قلنا أن الحكومة
الانكليزية وعظماؤها ونخبه رجالها لم يضطربوا لحادث كما اضطربوا لقتل
فقيد مصر لانه كان الرجل الوحيد الذي يمكنهم أن يعتمدوا عليه وان
يتفاهموا معه في كل الشؤون المصرية وفي كل ما يؤهل المصريين الى
الحكم الذاتي. وقد أسرع السرا دوارد جراى وزير الخارجية الانكليزية
بارسال تعاير العزاء بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن حكومته الى الجناب
العالي وعائلة الفقيد كما اصدر أوامره الى الجيش المحتل بان يسير في
موكب الفقيد وأرسل اللورد كرومر تعزية رقيقة أشفعها با كليل
من الازهار وضع فوق قبر الفقيد ذلك عدا عن تلغرافات الوزراء واعضاء
مجلس البرلمان. وناهيك باسف الفرنسيين وتألمهم من وقوع الحادث
حتى أن صحافتهم كتبت عنه أكثر مما كتبت الصحافة الانكليزية وأشد
كما أظهرت حكومتهم منتهى الانعطاف نحو عائلة الفقيد مبدية لها
أجل التعازى بلسان وزير خارجيتها المسيو يدشون الذى أشفع

التعزية با كليل من الازهار وضع فوق قبر الفقيد العظيم وعلى مثال ما تقدم ابدى ملوك وحكومات روسيا والمانيا والنمسا وايطاليا وامريكا وسائر الممالك أسفهم وفي مايلي من أقوال الصحف الشبيهة بالرسمية والتي تنطق بلسان حال الوزراء والمجالس النيابية ما يدل على شعور الاوروبيين ورفيع احساسهم وعلى تقديرهم لخدمات فقيد مصر العظيم حق قدرها ولاعجب فهم أهل حضارة وعلم يعرفون اقدار عظماء الرجال ونوابغهم ويوفونهم حقهم من التكبير والتعظيم وبمثل هذه الحضارة التي لا تعرف ديناً ولا مذهباً امتلكوا ناصية العالم وملاؤه حياة وعمرانا وتمديننا وعلمنا الى آخر ما هنالك من ضروب الرقي التي نراها في كل أرض يضعون فيها اقدامهم او يرفرف عليها علمهم .

أقوال سير غورست

افتتح سير الدن غورست المعتمد البريطاني في مصر تقريره عن الحالة العمومية لسنة ١٩١٠ بقوله:

حدث في الايام الاخيرة من المدة التي تنطوي تحت هذا التقرير جريمة من الجرائم العظيمة العديمة الجدوى التي تشوه محاسن عصرنا من حين الى حين والتي لم تكن معروفة في مصر من قبل لحسن الحظ ففي يوم الاحد الموافق ٢٠ فبراير بينما كان المرحوم بطرس غالي باشا رئيس النظار السابق خارجاً من مكتبه جرح جروحاً مميتة من يد شاب لثيم ضعيف الادراك مبلبل الافكار من الذين يورطهم مجرمون أكبر

منهم بتحريضهم اياهم على اتخاذ وسائل العنف والقوة التي لا يجرأون
هم على اتخاذها بانفسهم

أما الباعث على ارتكاب الجريمة فسياسي ولم يكن للقاتل تأثر شخصي
على القتل ولا كان مدفوعا بعامل التعصب الديني الى ارتكاب جريمته
ولما دافع عن نفسه سرد التهم التي اعتادت الصحافة الوطنية أن تعزوها
الى بطرس باشا في كل زمان ومكان مفرغة في قالب الطعن والوعيد
ومع أن القاتل الشقي المغرور الذي أضلته أقوال المحرضين سيلقى
جزاء ما فعل فلست أتردد في أن أقول أن زعماء الحزب الوطني مسئولون
أديبا عن قتل بطرس باشا فانهم قضوا السنين وهم يطعنون ويقدحون
ويهاجمون عالمين حق العلم أن أقوالهم الموجهة الى الشباب الجهلاء
الشديدي التهيج لا تلبث أن تحملهم على ارتكاب الجنايات التي يتظاهر
أولئك الزعماء الآن بالاستياء من وقوعها

ومن غرائب الاقدار أن تقع الضربة التي نجمت عن تحريض
أولئك الذين يلقبون أنفسهم بالوطنيين على أول رجل من صميم المصريين
بلغ أرفع منزلة في خدمة بلاده

ولد بطرس غالي باشا سنة ١٨٤٦ وبعد أن خدم الحكومة خدمة
طويلة ممتازة تقلد منصب الوزارة في سنة ١٨٩٣ فعين ناظراً للمالية وفي
السنة التالية عين ناظراً للخارجية وبقي فيها الى يوم وفاته

ولما اعتزل مصطفى فهمي باشا رئاسة مجلس النظار في نوفمبر سنة

١٩٠٨ كلفه الخديوي فالف الوزارة التي انتهت على غير انتظار بوفاته وأراني في غنى عن تعداد الخدمات الجليلة التي خدم بلاده بها ووصف الولاء والامانة اللذين أظهرهما في أحوال صعبه وما زق حرجة فان ذلك كله معروف ومشهور فموته الآن خسارة على مصر لا تدوز. وسينقضي زمان طويل قبل أن يجد الخديوي وبلاده خادما يفوقه اخلاصاً ومقدرة وولاء

أقوال الاورد كرومر

انني عاشت أثناء اقامتي في مصر المرحوم بطرس باشا واشتركت معه في الاعمال وكنت أقدر كفاءته ومقدرته كثيراً وأعجب به وقد نكبت مصر في موته بخسارة عظيمة لانه بدون ريب كان أعظم كفاءة من جميع الوزراء المصريين الاحياء فضلاً عن انه كان مصرياً صادق الوطنية فسكان يعمل باخلاص وأمانة لما فيه مصلحة وطنه الحقيقية وهذه الجريمة التي قطعت حياته قبل أوانها هي أفظع جريمة عرفت قبل الاوان

أقوال التيمس

أن رئيس نظار مصر هو آخر من فتكت به يد القاتل السياسي وقد مات بطرس باشا أمس من الجراح التي أصابه بها يوم الاحد ابراهيم الورداني أحد أساطين الحزب الوطني والظاهر ان الجريمة هي من نوع تلك الجرائم التي أصبحت مألوفة في الهند أخيراً. ارتكبها المجرم بما الفناه من الوقاحة وعدم الاعتقال

أما القاتل فكان له نصيب عظيم في مؤتمر الشبيبة المصرية الذي عقد في جنيف في شهر سبتمبر الماضي وبلغنا انه كان كاتماً لاسرار المؤتمر وانه كان مكاتباً لجريدة الحزب الوطني المرذولة . وقد مضى أحد عشر شهراً منذ بدأت هذه الجريدة في توجيه المطاعن الشديدة على الخديوي ونظاره .

ولم تبد حتى الآن ادلة تبين ما اذا كانت تلك المقالات قد اثرت على الورداني فصيرته قاتلاً . ولكن لا يوجد مجال لأريب الكثير في ان الجريمة نتيجة طبيعية لثتحيضات التي طالما فاه بها زعماء الحزب الوطني دفعاً الى استعمال الشدة فان الخطاب الذي القاه رئيس هذا الحزب في مؤتمر جنيف قول باستحسان لم يصادف مثله خطاب آخر . هذا الرجل ما لبث بعد ان عين رئيساً للحزب المذكور ان خطب في قومه في القاهرة ولانتكرانه اوصاهم بالابتعاد عن كل ثورة مسلحة ولكنه في الخطاب نفسه ردد الى خواطريهم امثلة كثيرة من قتل الملوك والجرائم السياسية الواردة في تواريخ انجلترا وفرنسا وايران . ربمانه لم يقصد الاذى بترديد هذه التذكارات المقرونة بالخطر ولكن مصر كانت منذ مدة في حالة تجعل مثل هذه الالهجة من الامور المنكرة . والراجح ان بعض الانكليز لم يعلموا أن جرائد الحزب الوطني جاهرت بسرورها وابتهاجها عند مقتل السير كيرزون ويلى ولم يعلم نوابنا ذلك عند ما ساعدوا مؤتمر جنيف والقوا الخطاب فيه ووعدوا أعضائه أن يساعدهم واحزابهم

في البرلمان على التهيجات الصببانية الطائشة . ولكن هذا الجهل لا يخليهم كما أنه لا يخلي غيرهم من سياسي الانكليز والارلنديين من المسؤولية العظيمة التي تعرضوا اليها في اشتراكهم بمثل هذه الامور . لانه جهل كان يسهل ازالته لو انهم تكلفوا قليلا من الاستفهام والبحث في الموضوع وأما اذا أهملوا ذلك الاستفهام الواجب ثم وجدوا ان بين رفقاتهم جماعة من المجرمين فانما اللوم على انفسهم .

والظاهر أن جريمة القتل كانت بلائدة قدر ما هي فظيعة فان اعطاء المصريين جميع الوظائف الادارية هو طلب ظاهر بوضوح في برنامج الحزب الوطني جنبا الى جنب مطالبتهم بمجلس نيابي مصري

ولقد كان بطرس باشا المصري الوحيد المولود في مصر الذي تولى وظيفة نظارة منذ ثلاثة عشر قرنا فابدى احد الوطنيين استحسانه لارتقاء مصري الى هذا المنصب بقتل السياسي الذي أدرك تلك الغاية التي لا مثيل لها في سنة واحدة من بعد ارتقائه . ولا نصدق اذا قلنا ان بطرس باشا كان سياسيا عظيما ولكنه كما قال اللورد كرو في مجلس الاعيان أمس كان عاملا نشيطا ومستقيما في خدمة وطنه ثم أن اللورد كرو صر الذي تمكن في أحوال خارقة من درس أخلاق الرجل وكفادته كتب الينا رسالة اثني فيها ثناء عظيما وابدى حزنه الحقيقي عليه وفي رأي هذا الحكم الكفو كان بطرس باشا كفا الوزراء المصريين الاحياء كما كان مخلصا في وطنيته عاملا

باستقامة واخلاص لما فيه مصلحة بلاده الحقيقية فوته الفجائي نكبة عظيمة لمصر وقد كان ناظرا للمالية ولكن ظهرت مزاياه الخاصة في أكمل مظاهرها عند ما جعل ناظرا للخارجية قبل ان صار رئيسا للنظار وقد امتاز في أنه كان يلبس لكل حالة لبوسها وهي مزية ذات قيمة عظيمة في نظارة الخارجية خصوصا في بلاد مثل مصر ولكن هذه المزية كانت مقرونة بأكثر مما يوجد غالبا في السياسيين الشرقيين من الصراحة والشجاعة ولا بد ان نظن ان هذا القاتل الذي حرم بلاده من اعظم سياسي فيها كان يهمل النفس بتطيل أعمال الحكومة الحاضرة اذ ياقم الرب في قلوب الذين يجسرون على خدمتها بدون موافقة أصدقائه والا فما الباعث الوحيد الذي نظن انه دفعه الى ارتكاب تلك الجريمة حسب معلوماتنا حتى الآن انما هو الجنون او الانتقام . فانه ليس اشد حماقة من الذين يتهورون ان في الامكان قلب الحكومات المتمدنة أو مضايقتها في هذه الايام بمجرد الفتك برؤسائها ومثل هذه الفكرة وولدها دليل قاطع على عدم اهلية هؤلاء ليس للوظائف المالية نقطيل لامتتع بالحقوق السياسية العادية على أنه يقضي مرور زمن طويل قبل ان تتبين هذه الحقائق للذين يرتكبون الجرائم السياسية في الشرق وكل ما نستطيع ان نفعله ريثما يتعموا تلك الحقائق هو ان نحمي الذين يتعرضون لذلك الاعتداء بكل ما في وسعنا وان نعاقب القتلة وشركائهم عقابا شديدا وان نبذل جهدنا لوضع حد لنشر الكتابات التي توجد القاتل

السياسي أو من شأنها تولده

اقوال الديلي جرافيك

نخشى ان يكون قتل بطرس غالي باشا رئيس الوزارة المصرية المحترم وأكبر سياسي الشرق وانبع من انبثته مصر بدء تاريخ دخول الحركة الوطنية المصرية المتطرفة في دور الخوف والتهديد . وقد أدرك الكثيرون من الذين يلاحظون تلك الحركة بدقة سوء العاقبة من زمن بعيد والتأثير السيء الذي تحدثه هذه الحركة على نفوس الطائشين . والظاهر ان الظروف على صحة ما توقعه أولئك البصيرون من الخوف وأهم شيء مخيف في هذه الجناية هو انها لم ترتكب بواسطة فرد قد ساء تصرفه او اصابه جنون . ولكن الجناية كانت نتيجة ما تمليه جمعية من المتطرفين المتمصرين التي أنشئت لغرض وحيد وهو نشر مبادئ الحزب الوطني بطريقة التهديد الدالة على ان الشر قد تأصلت جذوره بين مثيري الفتن في مصر لحد أصبح معه استئصال تلك الجذور من الصعوبات بمكان ولا يمكن ان نحلى ولاية الامور من المسؤولية عن حالة الادارة السيئة الموجودة خصوصاً وقد قدمت لهم الظروف شواهد كثيرة على تهور المتطرفين ولم تتخذ الحكومة الاحتياطات اللازمة لايقافهم عند حدهم . فقد اطلق سراح الجرائد السيارة فاخذت تزرع بقلها الفتن ولم تتمكن الحكومة من كبح جماحها ولذا اقدار جانا الوقت لاستعمال القوة التي لا تفيد في الشرق غيرها

قالت الطان-ان الحادث الجلل الذي وقع في مصر أخيراً وراح فيه اعظم بنيتها وأحكامهم لم يكن جديداً لاننا اذا راجعنا التاريخ لوجدنا الجنرال كليبر الذي استخلفه نابليون على مصر قتل بواسطة أحد المتعصبين المتمصرين والمهاجرين للورداني الذي اغتال بالامس حياة بطرس باشا ولا شك ان جنايته هذه يجب ان تؤخذ بعين الاهتمام لانها تكشف الستار عن وجود روح الشر في مصر ونرى من الواجب على الانكليز استئصال تلك الروح الشريرة بتعليم الذين يهاجرون من الاقطار الاسلامية الى مصر كيف يكون السلام والوطنية

كان بطرس باشا قبطيا بمعنى انه كان مصريا من السلالة القديمة ومسيحيا وقد يجوز ان الاوربيين الذين لا يالفون الشرق ولا يعرفون آراء الذين يمتزجون بالقوة من المسلمين في الجنسية المصرية وتقاليدهم يعتقدون ارتقاء الفقيده الى المناصب العالية كان من البراهين الساطعة على مراعاة العدالة في حكم البلاد التي تحت الاحتلال انكليزي ولكن الحقيقة ان ارتقاء رجل من شعب لبث عدة قرون يرسف في قيود الاستعباد ذلك الاتقاء هو الذي دفع الورداني الى التحمس لقتل بطرس باشا

ولا شك ان تقليد بطرس باشا اكبر المناصب لم يرق في أعين الفئات المتطرفة التي تعيش في بلاد الشرق باسم الدين ولا يوجد لها

و أن خاص فاعتبرت هذا الارتقاء من أكبر الاثام وقد فاتها الحقيقة
الناصعة وهي انه وان كان رئيس النظار قبطيا ومسيحيا الا انه من جهة
أخرى وطني ومشارك لا خورانه المسامين المصريين في الجنسية والدم
اما الجريمة فيجب علينا ان نتعلم منها شيئا واحدا وهو خطأ من
يقول باستعداد المصريين للحكم الذاتي أو للاستقلال طالما يوجد فيهم
من يميل لأولئك المتطرفين ويناصرهم وقد يظهر بعض رجالنا ميلا
وانعطافا نحو مطالب أولئك المتطرفين كما فعلوا أخيرا في مؤتمر جنيف
الذي اشترك فيه الورداني والحقيقة ان هؤلاء لا يدركون معنى الوطنية

الصحافة الألمانية

قالت جريدة برلينرتاجبلاط اذاعت الانباء البرقية من مصر قتل
أعظم رجل نبغ من أبنائها منذ زمان طويل ألا وهو المرحوم بطرس
باشا غالي رئيس الوزارة المصرية الذي أشغل مركزه بكفاءة وانخلاص
تامين وقد يعرف الالمانيون الذين عاشروا هذا الوزير كفاءته النادرة
ودهائه الكبير وفكره الثاقب الذي يقل وجوده بين سياسي الشرق
بوجه الاجماع ولكن كل تلك الصفات العالية والخدمات الوطنية الجليلة
التي قدمها لبلاده لم تحول عنه تهيجات الحزب الوطني ولا مطاعنه التي
انتهت بالقضاء على حياة الوزير بيد أحد أفراده . ولا شك ان هذا
الحادث سيؤدي الى استعمال الشدة في معاملة أولئك المتطرفين
الذين يثيرون الافكار في مصر ضد المسيحيين عموما ويتخذون الحرية

التي منحتها لهم امة اوروبية سلاحا لمحاربتها ومقاومتها .

الصحافة النمسية

قالت جريدة التاجبلاط النمسية أدهش دوائرنا السياسية اليوم خبر قتل المرحوم بطرس باشا غالي رئيس الوزارة المصرية لانه من احاد السياسيين الذين يظهرون بين حين وآخر في بلاد الشرق وقد كانت صلة التوفيق بين الحكومة المصرية والحكومات الاجنبية حتي ان كل قناصلنا الذين اختلطوا به لثناو عليه وامتدحو اقتداره العظيم في كل عمل ولم تصلنا الى الساعة تفاصيل جدية يمكن الاستناد عليها في معرفة أسباب القتل الا انا عامنا من بعض المصادر الخصوصية الشبيهة الرسمية ان الحزب الوطني المؤلف في مصر من بعض الاقوام الكارهين للاجانب اكثر في الزمن الاخير من التعرض للوزير المسيحي حتى هيج أحد اعضاءه لقتله ولكن مهما كانت النتائج المضرة التي جلبها أولئك القوم على مصر فقد حانت الساعة لصيانة المصالح الاجنبية والاهلية في تلك البلاد .

الصحافة الايطالية

قالت جريدة التريبونا قتل رئيس الوزارة المصرية اليوم المرحوم بطرس باشا غالي بيد عضو من أعضاء الحزب الوطني الذي يجول كل عام في اورويا مناديا بطلب جلاء الانكليز عن مصر ولا شك ان ذلك الحادث وقع أسوء وقع في النفوس الغربيين عموما لانه أفقدهم اعظم

الوطنيين المصريين شأننا ومقامنا وادراكا ودهاء ودلهم من جهة اخرى ان الوطنية في مصر عبارة عن حركة دينية يقصد بها معا كسة السحيين عموما ومقاومتهم وكل مطلع على أحوال الديار المصرية يؤيد أراءنا التي أثبتناها مرارا بضرورة معاقبة المتطرفين في مصر عقابا شديدا حتى لا تقوم لهم قائمة .

ثم قالت وقد خدم المرحوم بطرس باشا بلاده اصدق خدمة وكل الايطاليين الذين عاشروه في مصر أو قابلوه في أوروبا اكبروا فضله ودهاءه وعدوه اورويا في أعماله واقواله ومبادئه وآرائه وعلى هذا الشال المتقدم كتبت بقية الصحف الاميركية والاروبية . اما الصحافة الروسية واليونانية فكتبت رسائل عديدة على مثال ما كتبت الصحافة الانكليزية وأشد أقوال المستر رزفلت في مصر

وتصادف ان المستر رزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة الاميركية زار الديار المصرية عقب الجناية الكبرى فاعلن أسفه وحزنه على مقتل رزيرها الكبير والقي الخطبة الآتية في الجامعة المصرية بناء على طلب لجنة ادارتها عبر فيها عن شعوره نحو الفقيد العظيم وعن خسارة الامة المصرية بفقده ناصحا في الوقت نفسه المهثورين بالتزام السكينة والسلام

نص الخطبة

يشق علي ان يكون كلامي الان بالانكليزية ولو كنت من أهل العلم ما تكلمت الا بالعربية لاني وان كنت مسروراً بمشاهدة كل الحاضرين هنا اليوم الا ان خطابي هذا هو لطلبة الجامعة والذين لهم علاقة بها أولاً (ثم أشار الى الاوربيين الحاضرين وقال) ولا توءأخذوني اذا قلت اني أوجه كلامي الى الجامعة خصوصاً ومما يسرني على الخصوص ان أخطب اليوم في هذه الجامعة الوطنية تحت رعاية سامية مثل رعايتكم يادولة البرنس فوءاد . ومما يعد فآلاحسناً للتعليم العالي في مصر ان يكون قد نال عناية رجل ممتاز سامي المقام مثل دولة البرنس

أنتج العالم العربي جامعة قرطبة العظيمة التي زهت واينعت منذ ألف سنة من الزمان وكانت مصدراً للعلم والعرفان أيام كانت بقية أوربا في غسق من العلم أو في ظلام دامس . وفي القرون التي تلت انشاء هذه المدرسة العربية في اسبانيا قام من العرب رجال علم ورجال رحلات وأسفار وجغرافيون كابن بطوطة الرحالة الافريقي الشهير الذي رأيت نسخة من كتابه في مكتبة الازهر أمس وكانوا من المعلمين الذين لا تزال مصنفاتهم تدرس بشوق ولهفة . والرجاء اننا نرى هنا بمصر تجدد (بل واكثر من تجدد) تلك الاحوال التي تفحت العالم بمثل ما تقدم لانماء الحضرة وترقية التمدن

ان هذا المشروع أي انشاء جامعة وطنية تنم ما لا يحصى من وجوه النفع الذي يمكن لبلادكم . ولكن أمامكم صخور كثيرة لاغنى لكم عن تسيير سفيتكم بينها وبأمن منها . ولما كنت صديقاً صادقاً لكم ومحبا لخيركم أردت ان ادلكم على واحد او اثنين منها لتجنبوها خصوصاً . فأولاً ان هناك امراً اذكركه واوجه الانظار اليه في بلادكم وفي بلادكم وفي كل البلدان وهو

ان الامانة والاستقامة هما الاساس الوحيد الذي يوءمن ان يبنى عليه . فأول امر واجب لا بد منه هو ان كل الذين يكونون مسئولين عن الجامعة في بدء انشائها يثبتون

للجميع ان الجامعة تدار في أمورها المالية وغير المالية على محور الامانة والاستقامة . ولا بد من جمع مال كثير وصرفه على هذه الجامعة حتى تصير كما يمكن وما يجب ان تصير لانني اعتقد انها اذا احسنت ادارتها تصير من اعظم بل ربما صارت أعظم وسائط الخير في كل جهات العالم التي يتغلب الدين الاسلامي فيها واعني بها الاقطار الشرقية التي تشمل شمال افريقية والجنوب الغربي من اسيا ممتدة من الاوقيانوس الاطلانتكي الى اقاصي حدود الهند وما يليها من ولايات الصين . والواجب ان يكون للجامعة تأثير شديد في كل تلك الاصقاع في جميع الشؤون التعليمية والاجتماعية والاقتصادية والصناعية لان مصر ذات مركز ممتاز في الشرق (يحكي ما يعبر عنه بالموقع « البستراتيجي » في عبارة (علماء الحرب) بسبب موقعها الجغرافي وباسباب اخرى ايضا ومن حسن الحظ ان مصر الان في حال يتيسر بها للجامعة ان تتجمع بحرية لم يسبق لها نظير في البحث والتحصيل وفي امتحان جميع المسائل الجوهرية اللازمة لمستقبل اهل الشرق ولا تنحصر اهمية هذه الجامعة في الشرق وحده اذ لابد لمصر من الان فصاعدا ان تكون ذات « مركز ممتاز » بالنسبة الى شعوب الغرب ايضا لانها قائمة على قارة طريق من الطرق الكبرى التي تجري المتاجر فيها على ازدياد دائم بين أوروبا والشرق فعلى القائمين بشؤون هذه الجامعة ان يجعلوا نصب عيونهم غرضا ساميا جدا لا يقتصر فقط على ترقية الشعوب الاسلامية والشعوب المسيحية وغيرها من سكان البلدان الاسلامية بل يبلغ ايضا في العلم والعمل غاية من الكمال توءدي الى جعل الجامعة واسطة من وسائط تعليم الغرب في آخر الامر لانه متى كان التلميذ على درجة كافية من الكفاءة وقبول العلم وعلى درجة كافية من الذكاء والاخلاص وجد أمامه دائما من الفرص ما يمكنه من اعانة المعلمين الذين استعان بهم في بادئ الامر وأنا اشتاق الى رؤية ذلك اليوم الذي تبلغ فيه الجامعة تلك الغاية

ولكي يكون الابتداء على ما يرام لادراك تلك الغايات السامية قطعيا يجب أن يكون احترام الناس لكم عظيما واثمانهم لكم تاما فدعوهم يشعرون انكم لا تسمعون

لاحد بالخروج شعرة عن السراط المستقيم في جمع المال وفي صرفه حتى أن الذين يريدون أن يهبوا المال على قدر ما يجب أن تكون هبته يتقنون تمام الثقة أن الاموال التي يهبونها تستعمل استعمالاً حسناً بالأمانة والاستقامة

وثانياً أظهروا من حسن النية والحكمة والاخلاص في مقاصدكم التعليمية ما تظهرون في تدبير امور الجامعة المالية . اجتنبوا الباطل والادعاء الفارغ والتعصب الديني والجنسي والسياسي . أن في كليات أوروبا وكليات بلادنا أموراً كثيرة تستفيدون منها ولكن فيها أيضاً أموراً كثيرة يجب اجتنابها . فاقبسوا عنها ما كان حسناً ولكن انتقدوه قبل اقتباسه حتى تتقوا بانكم انما تقتبسون ما هو الافضل والاصح لكم وأهم من اجتناب التقصيرات التعليمية اجتناب التقصيرات الادبية . فانكم ترسلون الطلبة الى أوروبا لكي يدرسوا فيها ويستعدوا لان يصيروا اساتذة . وهذا الاستعداد لازم اذ من الامور الجوهرية أن تكون الجامعة مطلعة على أحسن ما يجري في معاهد أوروبا وأميركا العلمية . ولكن ليعتن الشباب الذين يرسلون باقتباس كل ما هو حسن وحيد وواجب لارقي أنواع التقدم الحديث . وليجتنبوا الغير ضروري في تمدن هذا العصر ولا سيما رذائل الامم المتمدنة الحديثة ولكن أذهانهم مفتوحة اذ من الخطأ العظيم أن تأبوا اقتباس مارق الغريب في مراقبة القوة والعدل والعيشة الطاهرة وان تقضوا به حاجاتكم ولكن من الخطأ العظيم أيضاً أن تقتبسوا ما كان رخيصاً أو مبتذلاً أو رديئاً . ليعلم الذين يرسلون الى أوروبا أن فيها أشياء كثيرة يجب أن يتعلموها وأخرى يجب أن يجتنبوها . فليأخذوا الحسن ولينبذوا القبيح

واعلموا أيها الخلاق ان كان عندي شيء أقوله لكم فذلك الشيء هو أن الاخلاق أهم من العقول بكثير وانه يجب على كل جامعة عظيمة بالفعل أن تسعى في تربية الصفات التي تكون منها الاخلاق أكثر من تربية الصفات التي تقوم بها العقول المثقفة . نعم انه ما من رجل يبلغ الطبقة العليا بين الرجال اذا لم يكن عاقلاً ذكياً بنفسه

ولم يكن مثقفاً بعقل وذكاء اذ التثيف لازم كالذكاء ولكن الذكاء وحده لا يجدى
ما لم يسترشد بقلب مستقيم وما لم تكن وراءه قوة وشجاعة . فالآداب والحشمة
والعيشة الطاهرة والشجاعة والمروءة واحترام الانسان لنفسه كلها صفات أهم في
تربية الامم من ذكاء العقول . فاجعلوا هذه الجامعة بحيث تساعد أمتكم على
الارتقاء دواما

واخذروا خصوصاً من نقص واحد في التربية الغربية فقد كثرا الميل في مدارس
الغرب العالية الى تعليم الشبان حتى يكونوا رجال علم وأدب ورجال صناعات وموظفين
في وظائف رسمية كأن لا تربية حقيقية غير التربية العلمية ولذلك سررت بانكم
شرعتم في انشاء المدارس الصناعية والزراعية في مصر اذ التربية العلمية نوع واحد
من أنواع التربية المختلفة وليس من الحكمة أن يقتصر عليها وحدها سوى جزء قليل
من أهل كل بلاد . أما بقية الامة فيجب أن تستبدلها بغيرها وتقرن على أعمال
أخرى . ان سمو الخديو في أعماله الكثيرة التي تتناول جميع وجوه العيشة المصرية
اظهر حكمة عالية وبعد نظر وأدرك حاجات بلاده بما يظهره من الاهتمام بتربية
وتحسين الزرع والضرع

فهذه البلاد كسائر البلدان تحتاج الى عدد معين من الرجال تؤهلهم تربيتهم
للاقطاع الى العلم أو التعليم في المدارس أو تقلد مناصب الحكومة . ولكن ليس
من مصلحة أي بلاد أن ينصرف الى هذه الامور سوى جزء صغير من ذوى
العقول الكبيرة فيها

ويجب أيضاً ترقية الميل الى الصنائع وتدريب الاهالي حتى يحسنوا الزراعة
وينبغوا فيها كما ينبغ أمر المحامين والموظفين وحتى يخرج منهم المهندسون والتجار
وأصحاب الأعمال الأخرى التي لا غنى عنها في بلاد متقدمة .

ان وجود سياسي شجاع مستقيم بعيد النظر مفيد في كل بلاد . ولكن فائدته
تتوقف خصوصاً على استطاعته التعبير عن مشيئة أمة للسياسي النصيب الأصغر في

قيادتها والتاجر والزارع والمهندس وأهل الفنون الأخرى النصيب الأوفر . كل أمة لا يكون لها من القادة إلا الكثرة والساسة والمحامون لم تدرك شأواً يستحق الذكر أساس الحياة الصحيحة في كل بلاد واجتماع انما هو الرجال الذين يعملون الاعمال المختلفة من حراثة وصناعة وتجارة ولا فرق بين أن يشتغلوا بأيديهم أو بعقولهم . وخيرا للانسان ان يشتغل برأسه ويديه معاً . فهو لاء هم الذين يعملون الاهمال الكبرى في حياة المجموع وما المشتغلون بالعلوم والمعارف والسياسة والقانون وموظفو الحكومة سوى مكملين لهم

على ان الامر المهم ان يقوم العمل على الامانة والكفاءة مهما يكن مركز العامل من اكبر كبير الى احقر حقير . وما أقوله هنا على ضفاف النيل هو نفس ما قلته على ضفاف أنهار المهندسون والمسيحي والكولبيا

واذكروا دائماً انه لا الفرد ولا الشعب يترى ان التربية الجوهرية بمجرد فعل يفعلانه وانما يترى ان بطريقة تتعاقب فيها الافعال كطريقة النمو فانك لا تجعل الانسان متربياً ومتعلماً تعليماً حقيقياً بمجرد اعطائه دروساً معينة وكذلك لا تجعل أمة صالحة لان تحكم نفسها بنفسها بمجرد اعطائها دستوراً على الورق . بل تربية الفرد وتعليمه حتى يصير صالحاً للعمل في العالم يستغرقان أعواماً طويلة وهكذا تربية الامة واعدادها حتى تنجح في قضاء واجبات الحكومة الذاتية لايتأتيان في عشر سنوات أو عشرين بل يلزم لها اجيال متعاقبة . فان بعض الدجالين الجهلاء يزعمون ان مجرد اعطاء دستور على الورق ولا سيما اذا جعلت له مقدمة ترن الفاظها في الاذان يجعل الامة قادرة على الحكم الذاتي . وليس الامر كذلك ابداً فما من انسان في العالم يقدر ان « يعطي » أمة « الحكم الذاتي » كما انه ما من انسان يقدر ان « يعطي » آخر « المساعدة الذاتية » (التعويل على النفس) . فالمثل العربي يقول « قم يا عبدي اقم معك » والطريق الوحيد التي تجدي في مساعدة الفرد هي ان يساعد في مساعدته لنفسه . وهذا من الامور التي يجب على جامعكم ان

نرسخه في الازهان والعبرة هي بالنمو البطيئ الذي تنموه اخلاق هذا الفرد فعلى ذلك المعول في التفضية التي نحن بصدددها . ومثل الامة مثل الفرد من هذا القيل فقد رأينا انما تقوم وتنجح كثيرا في اميركا الشمالية واميركا الجنوبية ورأينا انما اخرى تبندى في أحوال مماثلة لأحوال تلك على قدر ما يستطيع شعب ان يجعلها مماثلة لها أي بحرية مثل حريتها اسما وحقوقا وضمانات مثل حقوقها وضماناتها كذلك ولكننا رأينا مع ذلك انما تفشل اسوأ فشل وتسقط الى الدرك الاسفل من الفساد والفوضى والظلم وذلك لان هذه الامم التي أعطيت الدستور لم ترتق فيها الصفات التي تمكنها وحدها من الارتفاع بذلك الدستور . فالامر الجوهري الذي يجب على كل أمة ان تظيره ليس هو الاسراع للحصول على سلطة لأسهل من سوء استعمالها وانما هو ترقية الصفات الكلية التي يسمو بها الانسان ترقية دائمة مستمرة وان تكن بطيئة كصفات حب العدل وحب الانصاف والتعويل على النفس والاعتدال . فهذه هي الصفات التي تجعل الامة قادرة على حكم نفسها بنفسها . وانا اعتقادي ان جامعكم يكون لها اليد الطولى في تربية الامة بهذه الطريقة الطويلة الشاقة اذ هي الطريقة الجوهريّة التي لاغنى عنها . لا تنسوا القول المأثور ان الله مع الصابرين اذا صبروا

ومن خصائص هذه الطريقة وجود الروح الذمي يقضي بذم كل شر وكل محرم وكل نوع من أنواع الحسد والبغض وخصوصا البغض المبني على اختلاف في الدين والجنس . فكل أهل الاصلاح في العالم وكل الذين يحرض الناس على اعتبارهم واحترامهم في كل أمة قد اعتراهم مالا يوصف من الكدر والالم بسبب قتل بطرس باشا فقد جنى القاتل على مصر أعظم مما جنى على المقتول .

فان الانسان الذي ينشأ القاتل منه هو الانسان الذي تكون صفاته أبعد الصفات عن الصفات الممدوحة في أهل الوطن الواحد - هو الانسان الذي ينشأ منه الجندي الرديء أيام الحرب والوطني الذي هو أردأ منه في أيام السلم . هو

الانسان الذي يجلس على قمة النذالة والعار . ويشاركه في ذلك كل من يحاول الاعتذار عن عمله هذا أو يغضي عنه أو يحرض عليه قبل وقوعه أو يدافع عنه بعد وقوعه سواء كان راساً أو بالواسطة

ولا فرق في ذلك مطلقاً سواء كان القتاتل مسلماً أو مسيحياً أو رجلاً لادين له وسواء كانت الجناية قد ارتكبت في خصومة سياسية و مازعة صناعية وسواء كان غنياً قد استأجر عليها أو فقيراً قد ارتكبها وسواء كان ارتكبتها بحجة المحافظة على النظام أو بحجة الحصول على الحرية . فإنها مكروهة على اختلاف اشكالها في عيون جميع المحترمين وعاقبتها وبال على ما يدعي القتاتل انه ارتكبها لاجله . ورجائي ان هذه الجامعة تكون في طليعة الذين يوجدون رأياً عاماً يقضي من نفسه بحط شأن كل من يصير قاتلاً وكل من يدافع عن القتل وكل من يغضي عنه بعد وقوعه

ان جامعتكم جامعة وطنية بهذا الاعتبار لا تعرف عقيدة دون اخرى وهذا كما يجب ان يكون اذ ذكرت المساواة بين المسلم والمسيحي فانما اذ كر ذلك على اعتقاد انه حينما يكون المسيحي هو الاقوى فالواجب عليه ان يعامل المسلمين بالعدل والانصاف وكذلك حينما يكون المسلم هو الاقوى فالواجب ان يعامل المسيحي بالعدل والانصاف . ففي بلادنا مسلمون ومسيحيون في بلاد فلبين ولسنا نسمح مطلقاً لفريق منهم ان يظلم فريقاً آخر والحكومة لا تميز بين فريق وفريق ولا تفرق في العدل بينهما بل تعامل كل انسان كما يستحق بحسب ذاته وتسلك معه بحسب ما يقتضيه سلوكه ويستحقه

والخلاصة اني ارجو ايها السادة من المسؤولين منكم عن هذه الجامعة التي نوئل ان تصير من أعظم واقوى أسباب التعليم والتثديب في العالم كله ان يشعروا انه يجب عليهم مقابلة كل شر بوجوده بأسرة سواء كان ذلك الشر ظالماً او رشوة وفساداً او تعدياً على القانون وان ينصروا مبادئ العدل والرحمة بين الناس ويؤيدوها بثبات وفطنة وشجاعة عالمين انه لا يمكن لامة التقدم في التمدن المحمود بغير تلك المبادئ اه

على ان هذه الخطبة لم ترق في اعين المهيجين فلاًوا صحافتهم طعنا عليه
وسبا فيه وألقوا موكبا من الرعاع وتلاميذ المدارس الذين يتركهم غالبا
أباؤهم بلا بحث في امرهم وتظاهروا ضده هذا الرئيس الكبير وصاحوا
مرارا تحت فندق شبرد الذي كان نازلا فيه ليسقط رزقت ومن
الصدف ان سفير المانيا في الاستانة كان مقيما بهذا الفندق فلما ان رأى
تلك المظاهره ووقف على حقيقتها قال « ان امة تتظاهر بهذا المظهر
وتشتغل فيها الاحداث والرعاع بالسياسة لمي أمة لا تستحق الا ان تعامل
بالشدة لتتهذب اخلاقها » اما المستر رزقت نفسه فلم يحفل بهذه الصغائر
وبرح الديار المصرية واصوات عقلاء الامة تتجاوب أصدائها من كل
مكان « ليحي رزقت » فجاءت دليلا بينا على ان مصر الحقيقية تقدر
كبار الرجال حقا قدرهم

أقوال المستر رزقت

في جلد هول بلندن

السودان ومصر

(اخرجوا منها أو احكموها)

السودان - تستحق بلاد السودان نظرة خصوصية يلذ للباحث
النظر اليها لانها تقدم أفضل ما يمكن من البراهين الدالة على الحكمة
في عدم الاكتراث بتلك النظرية البعيدة عن كل حكمة وروية
نظرية المتطرفين القاضية بوضع المثرات في سبيل نشر المدنية على ربوع

الهمجية (ضحك واستحسان)

واني أذكر بملء الدهشة كيف كان كثيرون منكم في انكلترا
ومنا نحن أيضا في اميركا يتسائلون من ربح ترن مضي ان ما الذي
يقصده الانكليز من تلك البلاد هل هم يريدون تدريب اهلها السود
على الحكم الذاتي والاستقلال وبمعنى آخر تدريبهم على دستور اساسه
ما يريدونه من التعصب الديني والمتاجرة في الرقيق فان المشهور هو ان
الغرض الاكبر الذي كان اولئك السودانيون يرمون اليه باستقلالهم
وحكم أنفسهم بانفسهم لسوء الحظ هو القضاء على كل الاديان الاخرى
ما عدا دينهم واتخاذ الحرية التامة في المتاجرة بالعبيد (استحسان وضحك)
هذا كل ما يريده القوم من استقلالهم ولا عجب في هذا فانهم لا يستطيعون
ان يريدوا اكثر من ذلك . لكن هذا لا يعد نجاحا انما النجاح الحقيقي
في ما انتهى اليه حكمكم لتلك البلاد بعد ان دالت منها دولة المهدوية
ذلك النجاح المدهش الذي لا اظن مطلقا ان بلدا من بلاد العالم كله نال
مثله اذا انتقل من منتهى الشقاء والفساد الى اصبح انواع الحياة القومية
ولم يكن ذلك الا في اثنتي عشر سنة فقط منذ دخل تحت حكم السلطة
الانكليزية ولا حاجة الى القول ان تلك البلاد السودانية كانت الى ذلك
الحين مستقلة وحاكمة نفسها بنفسها فليس كل استقلال ولا كل حكم .
فقد كان استقلالها من قبيل استقلال الذئب في حظيره واحدة ينحصر
همها في نهش بعضها بعضا والسطو على الغير . لنا في تلك البلاد مثال

حي أي فرق بين استقلال واستقلال فقد كانت وهي ذات حكومة وطنية مستقلة منبع الجرائم الوحشية بشكل فظيع . كانت ظلمة فسادها وجرائمها كثيفة تكاد تلمس باليد فكان ليلها الاسود يكاد يكون سترا لما يرتكب فيه من الفضائح والمنكرات (اسمعوا اسمعوا) فانها في مدة الخمسة عشر عاما التي سارت فيها المهدوية مارست كل شكل من أشكال القسوة والهمجية وكان تعطشها للدماء عظيما فكانت عوامل الفساد والخراب الناجمة في عظامها أعظم من ان يتصوره شعب متمدن . ولا عجب في هذا فقد كان حجر الزاوية في بناء المهدوية مزيجا من التعصب الديني والاستعباد مع نوع من أقسى أنواع القتل فضلا عن القساوة والوحشية . ولهذا مرت مدة حكمها المشؤوم حتى كان قد فني ثلثا سكانها على الاقل أو نحو سبعة ملايين الى ثمانية ملايين نفس وذهبوا كلهم ضحايا القتل والظلم والجوع .

بعد هذا جاء الحكم الانكليزي ف قضى على ذلك الاستقلال المفقوت والحكومة الذاتية الفاسده . قضى على تلك الحكومة التي طالما أخفت مظالمها تحت ستار الاستقلال فخل النظام محل الفوضى وأمن الناس على انفسهم وما يملكون ونال كل فرد حرته الشخصية واستراح الوطنيون من كل ذبح وفتك بفضل الحكومة الاجنبية (استحسنان) وما كان أصعب على نفسي من يوم رأيت فيه تلك القرى السودانية وقد تمثل امامي أطفالها وصغارها المساكين حين كانوا يقدمون فيها

للذبح على مذبح تلك الحكومة المستقلة الظالمة فمن كان ينجو من القتل منهم لم يكن لينجوا ابداً من الجوع واباءهم وامهاتهم تحت حكم الموت في كل يوم وكيف باتوا بعد مرور ١٢ عاماً آمنين على نفوسهم واجسادهم متمتعين بأفضل حكومة غنية عادلة (استحسان) هذه الحكومة التي يدير دفتها السردار وموظفوه كبار وصغار بمنتهى الحكمة متقاسمين صعوباتها باذلين مجهوداتهم في الادارة والتهذيب وضبط الامن ممثلين في الادارتين المدنية والحربية أفضل ما يمكن للعالم المتمدن تقديمه من الرجال العاملين . فلا ريب ان من الجنالية الكبرى ان لا تبقى ادارة كهذه يسير بها اوطانيون ولا يمكنهم ان يبقوا عليها بأنفسهم بلا قيادة من الغير (استحسان)

وقد قابلت بعضاً من الناس يشكون فيما اذا كانت السودان تفي بما يبذل فيها من الجهد والتعب . اما انا فيغلب على ظني ان ذلك في الامكان ولكنني أضيف على هذا قولي أنه بات من واجب الانسانية ان تبقى انكلترا فيها فان الامة العظيمة لا تكون امة عظيمة الا بأن تتم واجبها العظيم وقد شعرت بهذه الحقيقة معكم بأزاء السودان شعوري بمثلها معاً بأزاء بنامافانه لما آل الينا المشروع المختص بقنال بنامافانه كان بعضهم يأتيني متساءلاً ترى هل يفي القنال بما سينفق في سبيله من وقت ومال . أما جوابي فكان ان المشروع عظيم بل من أعظم اعمال الارض ولهذا بات من واجبنا كأمة ان نقضيه بغض النظر عن كل ظرف

آخر وان لا نتردد في اتمام ما ابتدأنا به من هذه الاشولة العظمى وهذا
عين ما أشعر به بازانكم في بلاد السودان (استحسن)
حالة مصر

والآن لنطرق باب مصر. فعن مصر لم يكن لمثلي أن يقول فيها
قولاً لا مثالك ولا لكم أن تسمعوا مني شيئاً عنها لولا اني أشعر بان
لي فيها كلمة يقضي علي الواجب بان أقولها واني اذا تكلمت عنها الآن
فانما أتكلم كالنسان نفى يديه من الاعتبارات السياسية الدولية ورأى
من واجبه الانساني فقط أن يقول قولاً لفائدة الانسانية العمومية
وأرجو أن لا يرح من الذهن اني لأريد بهذا أن اتدخل في ما لا يعني
من مسائلكم الداخلية ولكنني وجدت نفسي في ريب مما اذا كان
انشغالكم العظيم بهذه المسائل الداخلية يسمح لكم بمعرفة ما هو بعيد
عنكم في الخارج فرأيت أن أقول شيئاً عما خبرته فيها بالذات لحض
الصالح الانساني العام ومهما يكن من الامر فارجو أن يسع حلمكم
رجلاً يخلص فيما يقول ويتمنى كل خير للمملكة الانكليزية ثم أنه لا ضرر
من سماع أقوال لا يقصد بها غير الرغبة في خير الجنس البشري عامة
ورفع راية المدنية الحقيقية ولا سيما اذا كانت من رجل مثلي لا يعد فقط
اميريكيا مخلصاً لكم بطبيعة الحال بل راديكيلياً أيضاً بل راديكيلياً حقيقياً
يجعل وجهة حياته خير الناس عامة ويشير ما استطاع من كل حرب
عوان على كل شدة في الحكم وظلم في المعاملة كيفما وجدت وانما كانت.

أريد أن أقول ما يتفق على المبادئ التي كنت أعامل بها الفيلبين يوم كنت رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية

وبعد فإنكم لستم فقط خفراء على مصالحكم في مصر بل خفراء على مصلحة المدينة عموماً والذي أراه أن المركز الذي آلت إليه مصر اليوم إنما هو مركز شديد الخطر على مملكتكم وعلى المدينة معاً. فقد قدمت لمصر أفضل حكومة رأتها منذ ألفي عام وربما أفضل حكومة رأتها من بدء التاريخ لأنه لم يذكر مطلقاً أن الفلاح المصري كان يعامل مثل ما عومل به منذ الاحتلال الإنكليزي من العدل والرحمة تحت حكومة خلت من كل فساد وهمجية (استحسان) غير أن الحوادث الأخيرة ولا سيما حادثة مقتل بطرس باشا غالي بما تقدمها وما رافقها وما جاء بعدها من الحركات والنزعات دلت دلالة واضحة على أنكم أخطأتم في بعض تقط حيويه بحيث تصنعون حسناً إذا اصلحتموها. وما كان هذا الخطأ لأنكم أفدتم المصريين قليلاً بل لأنكم أفدتموهم كثيراً ولكن مصلحة المدينة تقضي لسوء الحظ علينا جميعاً بأن نعامل الشعوب الغير المتمدنة ولا سيما الشعوب المتعصبة معاملة غير مألوفة عندنا متذكرين على الدوام بأن معاملة الرفق واللين والضعف في مركزكم في مصر يضر باكثر مما تضرر معاملة الشدة والظلم (استحسان) وليس بين العصي المرضوضة التي يتوكأ عليها العدل والحق ما هو أضعف ولا أسهل كسراً من عصا اللين (استحسان)

حركة الوطنيين المصريين

هذا وقد أطلقتم الحرية للإديان في مصر وحسنا فعلتم ولكن بدلا من أن يؤول هذا الى شكركم آل الى استخدام معاه لتكم الحسنة فرصة لا يجاد حركة تعصب بين الوطنيين ضد الا جانب تلك الحركة التي دلت الحوادث على أن القتل سيكون ممن مبادئ حزبها القائد لها. وقد كان بطرس باشا أفضل وأقدر موظف مصري وأرسخ مساعد للإصلاح الانكليزي مع مراعاة خير وطنه اذ كان أفضل عامل على خير مواطنيه وما مقتله في الحقيقة الا لانه كان على هذه الصفات. نعم ما قتل الرجل الا لانه قام بواجباته قياما حكيما محمودا باستقامة وشجاعة أدبية بلا خوف (استحسان) وقد دلت علاقة القاتل بذلك الحزب المسمى بالحزب الوطني على أن هؤلاء الوطنيين لا يريدون حتى أبسط انواع الحكم الذاتي وان أرادوه لم يستطيعوه الا أن يكون خاليا من كل شيء ما عدا السخافات المهلكة والمجون السخيف (استحسان) على هذه المبادئ التي يعضدها موظفوك لتدريب المصريين على الحكم الذاتي كما يقولون قامت مساعي أولئك القوم وكأها كما رأيتم لا رغبة في رفع شأن وطنهم ولا لإصلاح أمواهم بل لإفساح المجال للقتلة المجرمين. لهذا كان أهم واجب على الحكومة المسؤولة في مصر أن تعيد النظام الى ما كان عليه وان تسرع الى ما يجعل نهاية لهذه الرواية المحزنة

عدل الاحتلال الانكليزي

ومعلوم أن احتلالكم لمصر كان منذ ٢٨ عاماً ولا يزال مقصوداً به تقرير العدل وحفظ النظام . وعلى هذا المبدأ حسب الاحتلال عادلاً . والآن أما أن يكون لكم الحق في احتلالكم مصر أو ليس لكم هذا الحق . وأما أنه من واجبكم حفظ النظام هناك أو أنه ليس من واجبكم . فإذا كنتم تشعرون بأن لاق لكم في احتلال مصر ولا في حفظ نظامها فاحلوا منها . وأما إذا كنتم كما أرجو تشعرون بأن واجبكم في تمدين الجنس البشرى والجري على تقاليدكم القديمة العظيمة يقضي عليكم بالبقاء فعليكم أن تتوا هذا الواجب كما يجب مبرهنين على استعدادكم لعمل كل ما من شأنه أتمامه . وإذا كنتم ترغبون في البقاء لتقرير العدل والنظام فاعملوا على تقرير مبادئها ولا يكون هذا التغيير ما تجرون عليه الآن من سياسة اللين فان واجب العدل وحفظ النظام يقضي بالاسراع في قصاص القتاتل والذين يعضدونه مباشرة وغير مباشرة بكيفية ظاهرة . ولا ريب أن كل شعب يرى القتل ذريعة الى الحصول على الحكم الذاتي لهو أقل الشعوب استحقاقاً للحكومة الذاتية (استحسان) وأخيراً فانكم موجودون في مصر لأسباب كثيرة من أهمها مراعاة خير المصريين وقد اتقذتموهم من الخراب والدمار ولكنهم اذا لم يستمروا تحت احكام الغير عادوا الى ما كانوا فيه . ولهذا فلا بد لمصر أن تحكمها أمة أخرى . وأنا آمل واعتقد بانكم تبرهنون بأنه بات من واجبكم أن

تكونوا هذه الامة (استحسان) انه .

وقد أيدت صحف المحافظين والاحرار في انكلترا ماذهب اليه المستر روزفلت حتى ان المستر روبرتسن نفسه الذي كان عضدا المهيجين في مصر تنصل منهم واعترف بجنونهم . ولقد حدثت مناقشات هامة في مجلس النواب الانكليزي عقب تلك الخطب . كان مدارها على حالة مصر وما ستصير اليه بعد الجناية الكبرى واليك تفصيل تلك المناقشات (مصر في البرلمان)

فتح المستر برد أحد الاعضاء باب المناقشة بقوله انه لم يتعرض الى الان للسردن غورست في ما تعلق بمصر ولا يجد مسوغا لمثل هذا التعرض لانه لا يعلم مبلغ العلاقة بين سياسته في مصر متي لم تسفر عن النجاح المطلوب والامور الصادرة اليه من وزارة الخارجية الانكليزية ولكن مما لا مشاحة دوائه بدأ يجرب انموذجا مشوشا مضطربا كان من نتائجه قتل رئيس الوزارة المصرية وقيام فئة من طلاب المدارس بسب معتمد الحكومة الانكليزية في وجهه على محطة مصر السردوار جراي - لا صحة لهذا على الاطلاق

المستر برد - يسرني جدا ان أسمع ذلك ولكنني أطلب مع هذا من الحكومة ان تغير السياسة الحاضرة في مصر تغييرا فعلا وتستنبط طريقة جديدة تكفي لحفظ الثقة المتبادلة بين الانكليز والديار المصرية المستر روبرتسن - ان المستر روزفلت من بلاد قتل فيها ثلاثة

من رؤساء الجمهورية في مدة لا تزيد عن نصف قرن ولكن هل أخذ هذا دليلا على عجز الحكومة الاميركية حينئذ عن ضبط النظام كما قال جنابه في خطبته وكما يريد حضرة العضو المحترم ان يقول وهل اقترنت تلك الجرائم هناك لان الحكومة الاميركية منحت الشعب منحا كثيرة كما قال عن مصر . لقد تغالى حضرة العضو المحترم في قسم كبير من أقواله المضطربة بالنفك ككلمة الاجزاء ... (الاعتراض من جانب النظام)

الرئيس - ارجو ان لا يعود المستر روبرتسن الى استعمال الفاظ سيئة مؤلمة كهذه .

المستر روبرتسن - اذا كنتم ترون لفظة « مضطربة » التي قلتها تعبيراً سيئاً مؤلماً فاني أؤكد لكم بانى لن أعود اليها
الرئيس - أرى ذلك يا حضرة العضو المحترم فان هذه اللفظة ترمي على ما اظن الى الرغبة في الايلام

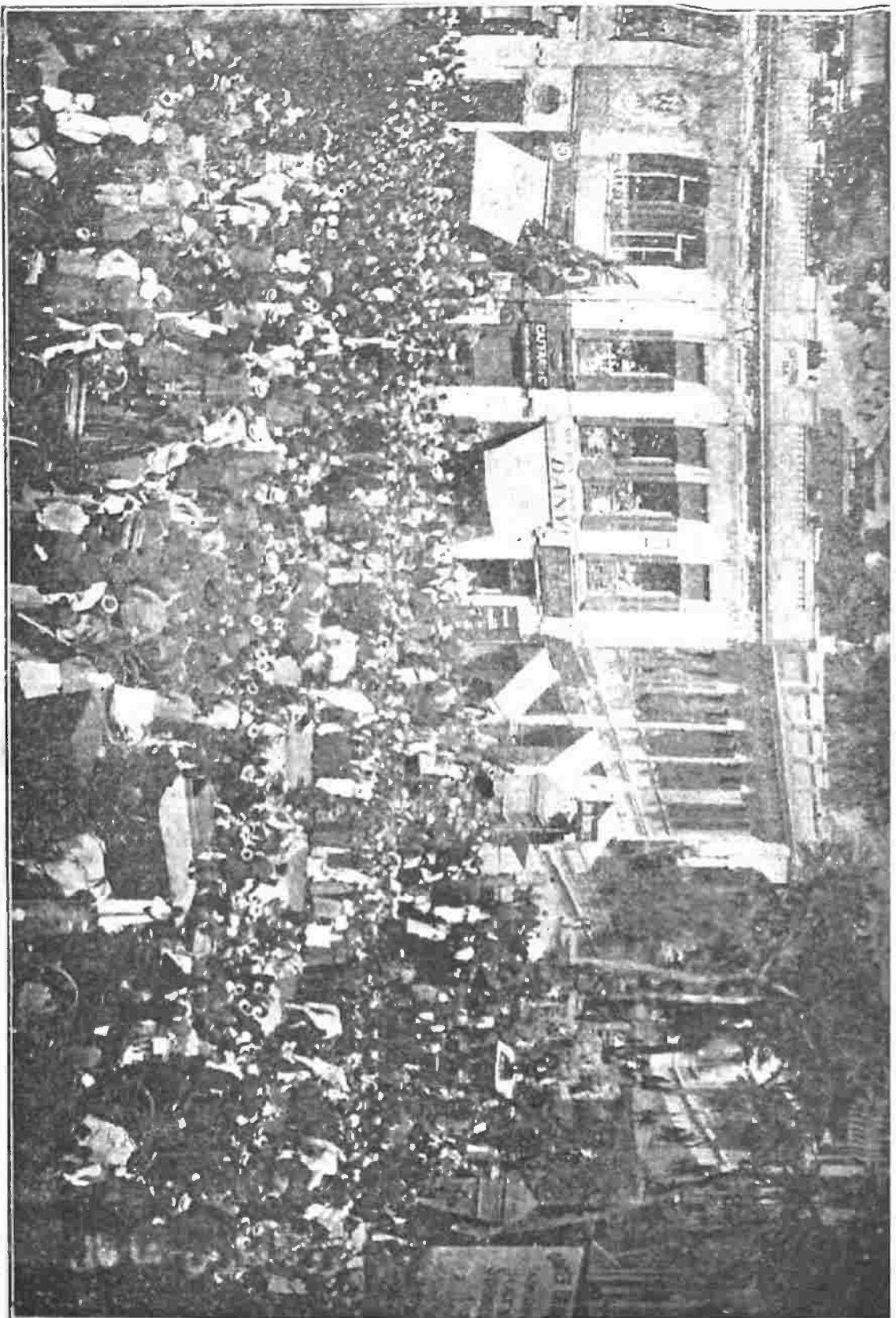
المستر روبرتسن - اما انا فلا اظنها اشد ايلاماً وتجرىحاً من التعبيرات الكثيرة التي صدرت عن المستر برد ولكني مع هذا لا أرى مندوحة من احترام النظام على أننى لا استطيع السكوت قبل ان اطلب العمل على تسهيل الوسائط الهامة في الديارة المصرية فان ذلك وحده كفيل بحفظ نظامها بعد أن اصبحت مبادئ الوطنيين جنونا وعثرة في سبيل الاصلاح .

السير كرياك - ان الفلاحين في مصر لم تعوزهم تلك الوسائل ولا هي ضرورية لهم ومع هذا فقد نفذت الحكومة ما في وسعها لنشر التعليم وهذا يسرني جدا وان لم اكن على يقين من سيره على النسق الاوروبى

المستر لويد - كفى كان الامر فالذي أرجوه هو ان نعلم الحزب الوطنى في مصر باننا لا نسمح ابدا بان تكون مناهضته للموظفين مخربة للعمل المجيد الذي اقمنا على بنائه هناك من ربع قرن

المستر جريتون - لقد شجعت الحكومة جماعة المهيجين في مصر باطلاقها السراح لصحافتهم ذلك مع شعورها بان حرية كهذه مطلقة تعطى لصحافة تعبر عن آراء شعب كالشعب المصري انما تؤول بلا محالة الى طامة كبرى وليست مصر الا مركز من اهم مراكز العقيدة الاسلامية فهي جدرة حتما بان تكون مركز التعصب لهذا لم يكن بد من وضع المسألة الدينية في مصر موضع نظرننا الدائم وقد بات من الضروري ان يشعر كل ساكن في مصر بان الكلمة الفاصلة هناك انما هي لمعتمد انكلترا وحده حتى في ما تعلق بداخلى البلاد نفسها وبان القوانين المصرية يجب ان تصان بالقوة الانكليزية

المستر وود - لقد ثبت ان الدعوى القاضية بأن البشر متساوون في كل مكان وزمان دعوى سخيصة باطله لا تؤيدها نظرية علمية على الاطلاق . فاذا اقمنا في شعب غير راق وجب ان تكون مساعينا موجهة



بنوع خاص الى صيانة الحقوق المختصة بالشعوب الراقية الممتزجة به لا ان نعلق هذه الحقوق على مشيئة ذلك الشعب ونجعلها تحت رحمة التجارب التي نعملها لترقية البلاد وتأجيله لحكم نفسه بنفسه ولا سيما اذا لم يكن الغرض البقاء معه على الدوام . والذي أراه هو ان تشجيعها لمثل هذه الشعوب الثانوية في طريق الحكم الذاتي مع أطفال السياسة لا يؤول الى جلب المصائب على رؤوس الموظفين الذين تحت امرتنا فقط بل الى ما هو أعظم من ذلك ايضا وهو اذلال الاجناس الراقية وتعميرها لاشد الاخطار بازاء تلك الشعوب .

ثم قال وعندي انه لا يوجد شبه بين مقتل المرحوم بطرس باشا رئيس نظار مصر ومقتل مكسلي رئيس جمهورية امريكا أو مقتل قيصر روسيا فان العالم المتمدن يعتبر مقتل رئيس جمهورية امريكا او قيصر روسيا عملا مفردا شاذا . واما رئيس نظار مصر فهو احد اعراض القلق العام السائد على تلك البلاد وهذا هو وجه الاهمية فيه .

المستر لنكلن (من المتطرفين) اهزأ بالتعليم القاضي بمعاملة الشرقيين معاملة تختلف عن معاملة غيرهم من بني الانسان لان السيد المسيح كان شرقيا ولم يهطنا نسقا جديدا في معاملة الشرقيين ومع هذا كله فالذي أراه هو ان استمرار وزارة الخارجية الانكليزية على اظهار الرغبة في منح البلاد المصرية حكومة ذاتية خطوة بعد خطوة فانه قد بات من الواجب ان تعلن مصر صريحا بأنها لا تنتظر منا الجلاء

عن مصر « فان اعلانا كهذا يقطع كل امل لمصر في الجلاء فيدعوها الى السكوت

خطاب المستر بلفور زعيم المحافظين

ثم وقف المستر بلفور المشهور وقال : لم يقل المستر روزفلت قولا واحدا ضد انكلترا يغضب له أشد الانكليز تطرفا في حب انكلترا. ولا اكاد أصدق ان المستر روبرتسن يرى ان الحكم الذي ينفع مصر في بلاد راقية كانكلترا ينفع في بلاد كمصر. نحن نعرف مصر ونعرف من تاريخها أكثر مما نعرفه من اي تاريخ اخر. ونعرف بانها بلغت في المدينة شأواً بعيداً بينما كانت بلادنا هذه تتخبط في ظلمات الهمجية. ولكن مما لا ريب فيه هو انها مع بلوغها ذلك الشأو البعيد فانها ككل بلاد شرقية أخرى محكومة بحكومات مستبدة مطلقة وفي ظل هذه الحكومات أينعت وبنّت مدنيّتها . ولم تظهر البلاد الشرقية كفاءة على الاطلاق في الحكم الذاتي بينما تجد البلاد الغربية من اول عهدها بالارتقاء اظهرت فعلا كل استحقاق لذلك. انظر الى الشرق في كل تاريخه فلا تجد فيه أثراً للحكومة الذاتية انظر اليه في كل أدواره الراقية وقرونة المتطاولة فلا تجد فيه أثراً لذلك ولا لما يشبهه. وقد توالى نصراته في حروبه وتعاقبت دوله الراقية وتغير الراقية وهو على هذه الحال لم ينكر مطلقاً في ما كانت الشعوب الغربية تفكر فيه فطرة عند أول أدوار ارتقائها (استحسان) فهذا هو الواقع وهو لا يتوقف على ارتقاء أو انحطاط بمعنى

أن الشرق لم ينل حكومة ذاتية ولن يصلح لها سواء كانت مرتقياً أو منحطاً

وبعد أن وضح ذلك بكلام طويل وفند دعاوي المستر روبرتسن ومن جري مجراه في حكم الشعوب الشرقية قال ما مؤداه بالاختصار: أن شعباً كالشعب المصري لم يتقدم من نفسه في سبيل الحكومة الذاتية خطوة واحدة في مدة ثلاثة آلاف سنة إلى خمسة آلاف سنة فليس بغريب أن لا ننفع فيه وسائط الحكم الانكليزي الموجهة إلى ذلك في مدة ٣٠ عاماً. ومع هذا فإن مصر نالت على يد هذا الحكم الانكليزي ما لم تنله من أرقى أنواع الحكومات. والاختبار يؤيد ذلك فلا يسمع أحد إنكاره. ذلك الاختبار الذي دل على أن حكمنا في تلك البلاد لم يفد الوطنيين فقط بل أفاد العالم اجمع كله. ولا حاجة إلى القول أننا لم نوجد في مصر لفائدة المصريين فقط وإن كنا أفدناهم ونفيدهم أيضاً بل لإفادة أوروبا كلها

هذا وقد أرسلنا إلى تلك البلاد كثيرين من نخبة ابنائنا وقد وجدوا في ظروف صعبة مملوءة بالواجبات الشاقة فجدير بنا أن نشد أزهرهم ونعطف عليهم ونظهر لهم أن في بلادهم من يقدر أعمالهم قدرها ويساعدهم على القيام بآعبائها. أن الموظف الانكليزي قد يوجد هناك بين عشرات الألوف من مختلفي الاجناس والاديان والعوائد والاخلاق فليس أقل من العطف عليه وشد أزهره ليشعر بأنه ليس مهمل من

الذين يقدرّون الاعمال قدرها. وقل من زار مصر وعرف شيئاً من أحوالها الا قال ان الحالة هناك لا ترضي أحداً وفي اعتقاري ان الحكومة قادرة على اصلاح هذه الحالة.

خطاب السير جراي

ثم قام السير ادوارد جراي فقال: كنت افكر قبل وقوف العضو المكرم بلفور ان اشتكي من سلوك بعض النواب في هذه المناقشة او ان انتقد سلوكهم فيها حيث جعلوا التحزب وضيق الصدر مدار كلامهم على ما ارى . ولذلك لم تبلغ المناقشة بوجه الاجمال شأنها رفيعاً لا حتوائها على أوصاف ونعوت منهم مجردة وجهت الى الحكومة بلا ادنى تثبت من صحتها ولكنني اعترف بان خطبة جناب العضو المكرم (بلفور) بلغت من جلاله الشأن غاية ما يرام وفي الجوهر غاية ما يحتاج كل عقل مفكر الى الاستعانة به على حمل القضية المعروضة الان على هذه البلاد. فليس عندي كلمة اسف ابدىها على شيء قاله في خطبته بل اني ساتوخى رفع خطبتي الى منزلة خطبته ما استطعت الى ذلك سبيلاً وكذلك في ردي على بعض الامور التي وقعت المجادلة فيها

سرفني امر واحد في هذه المناقشة وهو انه لم يحمل أحد فيها على السير الدن غورست فقد رأيت في جريدة اوجز يدين حملات عليه غير صادقات لخلوها من كل أساس وأنصاف وصحة (استحسان) فان كان المراد من تلك الحملات الطعن على السياسة فالواجب ان يكون الطعن على سياسة الحكومة (وزارة الاحرار) وان كان المراد استحسان السياسة بالذات واستهجان عدم النجاح في تنفيذها فالواجب الطعن على الحكومة أيضاً في البرلمان لا على موظفيها الذين ينفذون سياستها (اسمعوا اسمعوا) اذ البرلمان لا يعلم ابداً اين يقول الموظف لحكومته الان يجب يعمل كذا وكذا لتنفيذ سياستك وأخرج فكرتك من القول الى الفعل

أما من جهة حالة مصر الآن فاقول انه ان كان المراد ذم السياسة بالذات فليعلم ان تلك السياسة هي سياسة الحكومة وانما هي التي امرت السير الدين غورست بتنفيذها ولا أقدر على غير ذلك ولا ابرع منه فيه

وقبل ان انتقل الى الكلام عن مسألة السياسة بالذات اذكر امرا اخر فقد انتقد بعضهم خطبة المستر روزفلت وقال النائب عن رجبي (بيرد) اقوالا عن انتقاد روزفلت لم تخطر لي ببال قبل سماعها منه فقد قال ان المستر روزفلت لم يكن ليخطب تلك الخطبة لو لم يكن ابلغ آراءه للحكومة البريطانية قبل ذلك وانه وان كان ذلك قد حصل فليس من العدل كتماننا عن الجمهور فانا استنتج من هذا القول ان التأثير الذي وقع في نفس قائله وفي نفس غيره أيضا هو انه ان كان المستر روزفلت قد خطب خطبته من غير أن يطالع الحكومة البريطانية على آراءه فيها فقد جنى على بلاده أكرمت مثواه في عدم مجاملته لها . ان كان هذا قصد حضرة النائب المكرم فاني دفعا لذلك الوهم أقول صريحا ان المستر روزفلت ابغني آراءه عما لقيه في اسفاره في الاراضي البريطانية بأفريقية وأخبرني بآرائه في ما شاهده في شرق أفريقيا والسودان ومصر وكنت أصغي الى ذلك بسرور ينذر نظيره (استحسان) ولو قلت له ان مجاهرتك بالامور التي كنت اعلم انه عاجز على المجاهرة بها تلقيني في الارتباك لكنت لا اشك في انه يتمتع عن المجاهرة بها ولكني لم أر فيها شيئا يوجب الارتباك (اسمعوا اسمعوا) فلم اطلب عدم اذاعة شيء للجمهور بل سمعته يلتقيها في دار البلدية بمعنى ما قالها لي واصفيت الى خطبته بمزيد اللذة (استحسان) ولكن اظن اولا ان قصد الصداقة والمودة فيها لا يخفى على احد (اسمعوا اسمعوا) وثانيا أن الخطبة كانت بجملتها أعظم مدح مدح به ابن بلد من البلدان عمل أهل بلاد أخرى (استحسان) ولكن لم يشر أحد الليلة الى ما قيل في تلك الخطبة عن شرق أفريقيا وأوغندا والسودان ولا أدري لماذا أغفل ذكر ما قيل من البلدان في الكلام الذي يقال الان .

أما مصر فقد علمت لما سمعت الخطبة أن قوماً سيحاولون أقساءاً منها لما رب حزبهم ولكن ذلك لا يهم « ضحك » ما دام جوهر الخطبة صحيحاً فقد تضمنت أولاً أننا عملنا في مصر أحسن الأعمال التي عملت فيها من أول عهد الناس بالتاريخ وتضمنت ثانياً رأياً بأن زيادة حاكمنا وورقتنا في معاملته الذين يعارضون الاحتلال البريطاني في مصر ألقت عملنا هذا في الأخطار وتضمنت ثالثاً أننا في مصر بمثابة الأمناء المقامين من قبل الأمة المصرية ومن قبل الأمم الأجنبية التي لها مصالح في مصر وأنه لذلك يجب علينا قبل كل شيء أن نحافظ على النظام فيها فإن لم نفعل ذلك فبقاؤنا بها عبث . وتضمنت رابعاً أنه إذا لم تحكم مصر أمة خارجة عنها عادت مصر تترغم في حماة الفوضى وإن روزفلت يرجو ويعتقد أننا نحن نقوم بعمل تلك الأمة . فليس في هذه الأمور الأربعة امر واحد لاوافق عليه حتى ولا امر عدم زيادة الحلم في معاملة المعارضين للاحتلال .

إن حالة مصر الآن قد أوجبت النظر إليها بمزيد الاهتمام لكنها ليست بقدر ما أوهم بعض الخطباء « المعارضين » هنا من الخطر فليس في مصر اليوم ما يوجب القلق ولكن ظهرت عليها أعراض وعلامات شغلت البال وحوات إليها انتباه الحكومة والذين ينفذون سياستها هنا . فقتل رئيس النظار كانت حادثة مفردة ولكنه كان مما يستوجب مزيد الاهتمام وليس عندي أكثر مما قاله السير الدون غورست في تقريره عن الذين يجب أن تلقى عليهم مسؤولية قتله ولا غرابة في ما قيل من الانتقاد عن طول المدة التي مضت على عقاب القاتل بعد ما القى القبض عليه ويده مصبوغة بدم المقتول ولكن ليس في ذلك ما يؤخذ به القضاة الذين نظروا قضيته لأنه كان يلزمهم أن يبحثوا ليعرفوا ما إذا كان هناك أشخاص آخرون يسألون عن تلك الجناية غير الشخص الذي ارتكبها فعلاً . ثم إن إجراءات القانون المصري المبني أصلاً على القانون الفرنسي تقتضي مدة مضي الاستئناف ونحو ذلك من الإجراءات التي حرت في هذه الجناية كما جرت في غيرها عادة على أنني أشعر مع ذلك أنه إذا

حدثت جناية من هذا القبيل وضبط الجاني ويده حمراء من أثر الجناية وعلم كما سيعلم في المستقبل ان الجناية وقعت على موظف مصري بدعوى انه ينفذ سياسة الحكومة الانكليزية ويتم مقاصدها في مصر فنحن مسؤولون ويلزمنا ما دما محتان لمصر أن نظهر لسوانا انه يجب علينا أن نستعمل قوتنا لحماية الموظفين المصريين الذين يديرون مصر بمشاورتنا والذين هم مذمومون أن يقبلوا نصيحتنا حتى لا تصيبهم جنائيات مثل هذه الجناية (استحسان من المحافظين) وقد كنت في هذين الاسبوعين أشاور السر ألدن غورست في التدابير التي يمكن اتخاذها لجعل العقوبة تتلو الجناية حالا بحسب الاجراءات القانونية والا تتولى نحن أمرها بانفسنا نظرا الى كوننا نحن المسؤولين عن حماية حكومة مصر ونجعل جيش الاحتلال يقضي في هذه الجنائيات (استحسان) أما من جهة مسؤولية الجناية فلست اقول عنها سوى أن سير القانون فيها كان بطيئا ولكن القضاة حكموا حكمهم فيها والحكم سينفذ بعد ما يتم سير الاجراءات القانونية .

أما من جهة أحوال مصر العمومية فقد قل اعتراف القوم بالتقدم الذي تقدمته بعد ذهاب السر ألدن غورست اليها كما زاد وصفهم للحالة التي نحن بصدددها بسواد أشد مما يقتضيه الواقع . فقد ذكر بعضهم القانون والنظام وقال نائب منهم اننا أخفقنا في ادارتنا الاحكام بمصر كل الاخفاق .

وهنا ذكر الخطيب تحسين حالة الامن العام وتقليل الجنائيات بعد قانون النفي الاداري و ذكر حسن أحوال السودان ومدح السردار ورجاله مدحا عظيما قائلا أنهم يستحقون أعظم مدح وثقة على تذييلهم الصعوبات واتمامهم عملهم مع قلة وسائلهم وعلى المهمة التي يبذلونها في وقضا وظائفهم . والا أن تأتي الى سياستنا العمومية فقد قيل اننا قوضنا أركان كل سلطتنا في مصر ولو صح هذا القول لكان خطبا عظيما ولكني لا اسلم بصحته . على ان توهم صحته يستوجب محوه عن الاوهام لانه مصيبة بذاته فسياستنا لم تكن السبب في شيء من ذلك ولكني مع ذلك

أشرحها لهذا المجلس فاقول اننا سعيانا أولا في السنوات الثلاث الاخيرة أن نزيد دخل النظار والموظفين المصريين في حكومة بلادهم فانا من حين احتلتنا مصر الى الان ونحن ندرجهم في صناعة الحكم فيقتضي طبعنا ان نزيد الاعتماد عليهم في الحكومة على مر الايام . وقد خطا اللورد كرومر خطوة من هذا القيل بتعين زغالول باشا ويحتمل ان اللورد كرومر يرى الان بعد ترك مصر اننا عجلنا كثيرا من هذه الجبة ولكن السعي في ذلك ليس بدعة جديدة منا على كل حال ولا يصح أن يقال انه قوض أركان سلطتنا في مصر

ثم اننا سعيانا ثانيا ان نبتدى ببناء الحكومة المحلية من اساسه بتوسيع اختصاص مجالس المديرية ولم يمض عليها بعد ذلك زمن طويل فلا يتيسر الحكم منذ الان في ما اذا كان نجاحها ممكنا ولكني ارى ان هذه الخطوة التي خطوناها في محلا وقد اظهر السير الدن غورست براعته ودراية فيها ومن الصواب اذا شئنا تدريب أهل مصر على تحمل المسؤولية أن نبدأ بتدريبهم على امور محلياتهم ومديرياتهم وذلك لا يمكن أن يحدث اضطرارا في مصر .

ويجب علينا ثالثا ان نزيد اعتمادنا في الامور على مجلس الشورى فهو والجمعية العمومية جزآن من النظام الدستوري في مصر ومن الصواب زيادة الاعتماد عليهما وقد سألنا بعض النواب مسائل عن امور جزئية كالصحة والنظافة والامور الادارية الجزئية فنظارة الخارجية والتقنصل الجنرال في مصر يسألان عن السياسة العمومية وعن متانة المالية المصرية وصحتها وعن كون السياسة العمومية على ما يرام ولكن اذا كلفنا الاهتمام بالامور الجزئية التي يسأل عنها في هذا المجلس احيانا اهملا الامور الاله كالسياسة العمومية وصحة المالية .

ولكن يقول قائل اذا كاناها لا يستطيعان ذلك فلماذا لا يعين له مجلس عمومي يسأل دواوين الحكومة ومصالحها عن المسائل المختصة بها وهذا ما جرى به زيادة الاعتماد على مجلس الشورى من هذا القيل وقد وصفه السير الدن غورست

في تقريره السنوي فلا أطيل الكلام عنه وإنما أقول ان ذلك لا يوجب اتهامنا باحداث الاضطراب في مصر .

على ان عندي انذارا عظيما عن مصر وتحذيراً مهما فنحن مسؤولون عن ادارة الاحكام فيها ونحن نديرها بواسطة نظار مصريين ومستشارين بريطانيين ولكننا مسؤولون عنها اجمالا وعن السياسة العمومية ولذلك يلزم النظار أن يقبلوا نصيحتنا ولو تفاوتت مراتب المسؤولية من حين الى حين وفي مسائل خصوصية لان شكل الحكومة المصرية شكل شاذ عن القياس وقد اضطررنا اليه بقوة الظروف الناتجة عن احتلالنا الخارج عن القياس ايضا . ففي ذلك مشقة عظيمة وهو يقضي براءة زائدة في دقة التصرف وحسن السلوك والاساءات عاقبته . فلا يمكن والحالة هذه ان هذا النظام يقضي العمل المطاوب منه على ما يرام ان كان كلما أظهر النظار المصريون احتراماً لنصيحتنا واتباعاً لخطة الحكمة والسياسة الرشيدة - أما في الحقيقة أو في الظاهر - تقوم عليهم جرائم الحزب الوطني ويقوم عليهم قوم من الوطنيين في مصر ويحسبون ذلك منهم جنائية تستحق الذم والتشهير ويسلقونهم بالسنة حداد لانه اذا دام الامر على هذا المنوال كان دوام الحكومة ضرباً من المحال .

ثم انه لا يمكن استعمال مجلس الشورى والجمعية العمومية لاصلاح امور الحكومة المصرية اذا اظهر من الميل شبه ما اظهرها اخيراً الى ان يصير آلة لما يسي بالحركة الوطنية الموجهة ضد الاحتلال وإنما يسمى بالحركة الوطنية لانها محصورة في قوم ليسوا من اهم الاقوام في مصر ولا اتصال لهم باهل مصر الذين هم خارج المدن المصرية وغاية معظم تلك الحركة الوطنية ابطال الاحتلال بمعلمهم قضاء مهمتها في مصر أمر غير ميسور (اسمعوا اسمعوا) فهم يفعلون ذلك بالتداول على الموظفين الانكليز في مصر وبشتم كل مصري لا يعارض المراقبة البريطانية وبالتحريض على الاخلال بالنظام كلما سنحت لهم فرصة لذلك فالنتيجة التي استتجتها من ذلك هي

انه لا يمكننا ان نرقى حكومة مصر على يد المصريين اذا دام ذلك التحريض وختم خطبته بقوله ومن الضروري أيضا تغيير حقوق المعاهدات القديمة بما يجعلها عصرية ويجب ان يستمر الاحتلال البريطاني وقد اصبح ترك مصر الان بلا سقوط مستحيلا عن كل زمان اخر .

ولا يوجد ما يبرر الالتجاء الى طرق غير مألوفة بالرغم من وجود علامات متقلقة وقد هدا المياج أثناء الاسابيع الاخيرة ولكن الانذار الجدي كان ضروريا فاذا ما استمرت الظواهر الحالية وجهت الحكومة البريطانية اول عنايتها نحو تأييد سلطتها وكبح جماح المتهيجين .

في مجلس اللوردة

أما مجلس اللوردة الانكليزي فقد جعل بحثه عقب الحادث على حالة القوات الانكليزية في البحر الابيض المتوسط والقطر المصري مؤملا ان توجه الحكومة الانكليزية اهتمامها الى هذه النقطة حتى لا يكون هناك باعث على زيادة القلق في الديار المصرية

وكل هذه التصريحات دلت على تقدير العالم المتمدن لفضل فقيد مصر العظيم بطرس باشا غالي وعلى انه أعظم خسارة خسرتها مصر وعطلت مستقبلها واستقلالها وصيرت الاحتلال باقيا الى ما شاء الله . ولوثبت للمتمدنين ان الجناية فردية لما وجدوا سبيلا واحدا الى تشويه سمعة مصر كل هذا التشويه ولكن حكمهم فيها حكمهم في كل حادثة حدثت من نوعها في أوروبا وأمريكا ومع ان الصحف الوطنية علمت بخطارة هذا البرهان والضرر من تأييده فأكثر من اقامة الادلة على عدم صحته معلنة بانه لم يشترك أحد في الجناية ولا هي قوبلت بالاستحسان لتفند بذلك ما قاله المستر بيرد أحد أعضاء مجلس النواب الانكليزي وكل صحافة أوروبا من مشرقها الى مغربها ولكن استحسان وريقات الحزب الوطني المتمصر للجريمة وامتداحها للمجرم الاثيم وتلقيه بالافندي وبشيد الوطن والوطنية ونحو هذا مما يعرفه

الجميع دل أولئك الرجال الذين يراقبون على مصر ودل كل أمة متمدة لها في مصر
مصلح ورعايا على أنها صورة صريحة لما يجول في عقول وافكار المصريين وبناء
عليه أصدروا حكمهم هذا المشهور

الحادث والقضاء

٩

تقل المجرم الاثيم عقب ارتكاب جريمته الشنعاء مكبلا بالقيود
الحديدية الى سجن عابدين حيث أخذ في التحقيق معه حسين رشدي
باشا ناظر الحقانية والسير مكاريث المستشار القضائي وعبد الخالق
ثروت باشا النائب العمومي واحمد فتحي باشا زغالول وكيل الحقانية
ورجال البوليس فادعى أن أسباب قتله للمرحوم بطرس باشا غالي هو
لانه وقع على اتفاقية السودان وترأس على محكمة نشواي وأصدر قانون
المطبوعات وانه كان عازما على ارتكاب جريمته من اسبوع ولم يدفعه
اليها أحد ولا شاور فيها صديقا الا ان التحقيق الدقيق أثبت انه رئيس
جمعية سرية غرضها قلب نظام الحكومة فالقى القبض على أعضائها وزجوا
في السجن كما زج بعض من لهم علاقة بهم وممن كانوا يمدونهم بالمال
وفتشت منازل دعاة الوطنية فوجدت فيها خطابات وصور شتى تدل على
الصلات الحبية الشديدة بينهم وبين المجرم وان خلّت من ظروف
واقعة الحال

نعم ان الامة اسفت اسفا شديدا لان البوليس اهل في تفتيش منازل

دعاة الوطنية عند وقوع الحادث على اعتقاد منها انهم ربما حرقوا أو هربوا
بعض أوراق مهمة تدل على اشتراكهم في الحادث أو في أمور أخرى
لقلب نظام الحكومة ولكن لو فرض وقتشت تلك المنازل في الوقت
المعين فقد لا يمكن أن يوجد فيها أكثر مما وجد لان من يدبر
جريمة كبرى كهذه مثلاً لا بد وأن يكون قد اتخذ التحوطات اللازمة
للمحافظة على نفسه خصوصاً اذا كان ممن يعتقد أن الوطنية هي مقاومة
وقتل الذين يخدمون بلادهم بامانة واخلاص . ومع ذلك كله فيمكننا
القول أن المهمة التي بذلها رجال البوليس والنيابة في تلك الحادثة مما
يذكر بالثناء العظيم ويدل على أن المحققين الوطنيين أظهروا منتهى
الاخلاص وشدة التدقيق في التحقيق .

وقد جرت هذه الحادثة الى السجن نحو ٣٠ شخصاً بعضهم من
كبار المتطرفين والمتهورين وتلاميذ المدارس الذين يشتغلون في
السياسة ويظنون أن مقاومة الانكليز والاجانب هو الطريق الوحيد
الموصل الى استقلال مصر ورفع شأنها . واذا كان هذا الاعتقاد الفاسد هو
منتهى الطيشة فان وجود تلك الفئة بين الامة المصرية سواء كانت من
ابنائها أو تنسب اليها بالقوة تتعلم وتترقى على ايدي الاجانب ثم تجازيهم على
حسناتهم بالطعن لهُو منتهى العقوق والكفران بالنعمة .

على أن وجود نوع من هذا الفريق القسير العقل قد لا يجب أن يتخذ
دليلاً على كل الامة التي تعطي كل ذي حق حقه وتحفظ في صدورها

الجميل لكل من يمد اليها يد التقدم والحضارة.

وبعد فأنرجع الى ما كنا نبحث فيه فنقول أن سجن هؤلاء المتهمين أدى الى تخوف محتكري الوطنية فانكمشوا مذعورين وأخذ بعضهم يتجسس الاخبار عما تم في التحقيق وعما سيحصل وكلمهم بين واضع يده على قلبه وبين منقلب على أعمال الحزب ناظم على متطرفيه الثائرين حتى انتهى التحقيق وأحال ثمانية مع المجرم على قاضي الاحالة فعاد الى محتكري الوطنية روعهم وأكثروا من النعيق والصياح شأن كل جبان اذا خلا بنفسه طلب الطعن وخذه والنزال

نظر قاضي الاحالة في هذه القضية فبرأ الثمانية واحال المجرم الاثيم على المحاكمة. ولما كان بعض أولئك المبرائين من موظفي الحكومة وتلاميذ المدارس رأيت الحكومة ان تطردهم من خدمتها ومن مدارسها وعليه اجتمع مجلس النظاري في يوم الخميس ١٦ ابريل سنة ١٩١٠ وقرر ما يأتي: حيث ان التهم الموجهة الى المتهمين ليست من الجرائم المقررة في قانون العقوبات وانها بناء على ذلك لا تستوجب توقيع العقوبة القضائية الا انها لا تخلوهم من المسؤولية والمواخذة

وحيث أنه قد ثبت من التحقيق ومن الاوراق المعروضة على المجلس أن هؤلاء المتهمين انتظموا في سلك جمعية الغرض منها أحداث قلاقل سياسية في القطر وان هذه الجمعية لم تتردد في اتخاذ القوة وسيلة لتنفيذ اغراضها ولو أدت الى ارتكاب الجنايات كما يتضح ذلك من الخطابات التي ضبطت عند أحدهم فانها ترمي بصريح العبارة الى شراء الاسلحة وارسالها الى مصر برسم أعضاء الجمعية والى التمرن على استعمال

الديناميت والمواد السامة

وحيث ان الحكومة يحق لها مثل كل انسان أن تطلب من مستخدميها
الاخلاص التام في خدمتها

وحيث انه ليس من المسلم ان تستمر الحكومة على دفع المرتبات لاشخاص
في خدمتها لم يكتفوا باتخاذ خطة معادية لها بل يسعون ايضاً لاحداث المشاكل
لها وتكدير الامن العام

وحيث ان مثل هذه التصرفات من قبل الموظفين تخالف على خط مستقيم
ما يرتبطون به بطبيعة الحال عند طلبهم الاستخدام وقبولهم من التعهد بالقيام بواجب
الخدمة بكل استقامة وامانة

وحيث ان نظارة الاشغال العمومية في وسعها اجراء ما يلزم مباشرة فيما
يتعلق بالمهندسين الاثنين المستخدمين أحدهما بصفة ظهورات والاخر تحت التجربة
وحيث انه لم يبق لمجلس النظار سوى النظر في أمر المهندس الاخير فقد قرر
ناء على الوقائع الثلاثة الموضحة أنفا فصله من الخدمة

واصدرت نظارة المعارف العمومية بعد موافقة مجلس النظار ايضاً قرارا برفت
اربعة من التلاميذ الذين كانوا من ضمن هذه الجمعية اثنان منهم من مدرسة الحقوق
وواحد من المهندسخانة وآخر من الطب كما رفقت طالباً خامساً كان من ضمن ارسالياتها
العلمية في لندن حيث اتضحت علاقته بهذه الجمعية . وقد اشغعت هذا القرار
بحرمانهم من الامتحانات العمومية مدة سنتين كاملتين

على ان هذه القرارات زادت تطير الحزب الوطني فأخذ ينادي ويصبح على
الامة بان تمديد المساعدة للذين نكبهم هو في مستقبلهم معتقداً أن عملهم هذا شورى
دستوري فلم تحفل الامة بندااته وايقنت ان التسليم بتلك المبادئ السخيفة التي
ينشرها انما هو بمثابة حرمان لها من الهدوء والسكينة وما يتاوهما من الرقي والعمران

محكمة المجرم الاتيم

عقدت جلسة الجناية الكبرى في محكمة الاستئناف الاهلية يوم الخميس ٢١ ابريل سنة ١٩١٠ لمحكمة المجرم الاتيم قاتل فقيده الامه المصرية . وقد عطلت الحكومة جلسات هذه المحكمة ومحكمة مصر الاهلية في ذلك اليوم كما حشدت جنودها على طول الطريق الموصل اليها منعا للازدحام . وفي الساعة التاسعة والدقيقة ١٠ فتحت الجلسة برئاسة المسيو دلبروغلو وعضوية امين بك علي وعبد الحميد بك رضا وبحضور محمد افندي توفيق كاتب الجلسة وجلس على كرسي النيابة عبد الخالق باشا ثروت النائب العمومي . وقد حضر عن الاتيم ثلاثة من المحامين كما حضر ابراهيم باشا نقيب محافظ العاصمة وجلس خلف القضاة اما المجرم الاتيم فلم يؤت به الا في الساعة التاسعة والدقيقة ١٥ محاطا بثلة من الجند ولما ادخل الى مكان المتهمين شخص اليه رئيس الحزب الوطني (ساكن السجن اليوم) مبتسما فابتسم له . وبعد ان تلا كاتب الجلسة قرار قاضي الاحالة وطلبت النيابة محكمة المتهم بمقتضى المادة ١٩٤ سمعت المحكمة شهادة شهود النفي والاثبات وعدم ٣٧ شخصا ثم سألت المحامين عما اذا كانوا متمسكين بمعارضتهم في شهادة الاطباء والذين باثروا العملية واستحضرتهم النيابة على انهم شهود اثبات فاجابوا نعم وعندها اصدرت المحكمة قرارا تمهيدا بعد المداولة انتدبت فيه لجنة من الاطباء يكون من ماموريتها وضع تقرير تبين فيه اذا كانت الجروح الناشئة

عن الاصابة كانت في ذاتها مميّنة بدون دخل للعملية أو كان يمكن للمصاب ان يعيش بدونها أو اجريت مع الاحتياطات اللازمة . وقد وضع الاطباء تقريرهم بعد درس المسألة ورفعوه الى هيئة المحكمة التي عادت فعقدت في الساعة الرابعة بعد ظهر يوم ١٢ مايو الماضي وبعد ان اعلن افتتاحها وقف سماعة عبد الخالق باشائروت النائب العمومي وترافع في القضية ثم ختم صرافته القانونية بما يأتي

لم يبق لنا في هذا الموضوع الا ان نشرح لحضراتكم الادوار التي تقلب عليها الورداني من بدء التفكير في الجناية الى وقت تنفيذها ليظهر لحضراتكم كيف ابت الورداني رسم طريق جنايته رسماً محكماً - بين لنا الورداني في اليوم الاول من استجوابه ادوار تصميمه على اغتياله لبطرس باشا فقال اعتقدت خيانة بطرس باشا لوطنه منذ اتفاقية السوان وما زالت الحوادث تزيد هذا الاعتقاد رسوخاً في ذهني الى ان كانت مسألة القناة فتأكدت عندي خيائته وفكرت اني لواقته لخلصت البلاد منه ولكي لم اصمم على قتله الا منذ اسبوع تقريباً ومنذ يومين عزمت عزماً على تنفيذ هذا التصميم وذلك عند ما قرأت في جريد الاخبار ان بطرس باشا سحب محاضر الجمعية لاني أستنتجت من ذلك انه يريد تغيير ما هو ثابت في هذه المحاضر من الاقوال فاصررت على هذا العزم الى ان كانت ليلة السبت فقررت فيها انفاذه في صباح الغد وقد كان وتوجهت الى نظارة الحقانية وتربصت له الى حين خرج ولكن قواي خانتني فلم اقدر فرجعت الى منزلي ثم عدت ثاني يوم فقتلته - أعلمون يا حضرات القضاة لم تأخر انفاذ هذا العزم طول هذه المدة ولم يقطع في الامر ولم يبق هذا الخطر يتردد في فكره ولم يصدر قضاءه الاخير على حياة هذا الرجل العظيم طول هذه المدة

الجواب على ذلك نجدونه يا حضرات القضاة بين كلمات هذين التلغرافين وفي طلبات حروفهما

كلمات هذا التلغراف «بالأسف غير منظور» كان القضاء الاخير على حياة بطرس باشا ولا بد لنا من كشف هذا السر من ذكر شئ عن تاريخ حياة الجاني دخل الورداني مدارس مصر صغيرا والعقل في سنه غض قابل للتعليم فلم يحصل على شئ من بالرغم عن تنقله من مدرسة الى اخرى ومن تخير أهله لوسط والوس فلما يئس أهله منه عولوا على ارسالة الي اوروبا على امل ان تغير الوسط من اصله قد يصلح من هذا الفكر السقيم والعقل الضئيل ارسلوه الى اوروبا ولم يختاروا له الا صناعة الصيدلية وحسبه انه ما وثق به أهله في طروق باب غير ذلك الفن. ارسلوه ولكن يا للأسف الى بلد غاب عنهم انه بؤرة الفوضوية ومرتع المجرمين من أشياعها

غفلوا عن ذلك وأخطأوا في اختيار الوسط فارسلوه الى هذا البلد حيث وجدت من نفسه تلك المبادئ الوحشية المبيدة نفسا خالية من مبادئ العلوم التي تربي الفضيلة في النفس فتحول بينها وبين الرذائل والاثام فكانت تربته صالحة لتأصلها ونموها. ارسلوه الى لوزان وفيها بالطبع النفوس العالية والارواح الراقية كما ان فيها طبائع الخبث والرجس فلم يتعرف الا نفوسا خبيثة ولم يألف الا ارواحا مرذولة .

ارسلوه ليستنير بنور العلم ويستضيء بضياء الانسانية فعاد وعلى عقله غبرة الجهل والوحشية . وعاد ولم يحو صدره الا تلك المبادئ الفاسدة الكاسدة مبادئ الفوضوية هذا هو باحضرات القضاة الدور الاول من حياة الورداني . بداه غيّا . بخته فوضويا أثما . ذهب ليستعد لخدمة الوطن فلما عاد كان سهما في صدره وسلاحا ماضيا في نحره .

نحن لا نكيل للمتهم القول جزافا ولا نتهمه بما ليس فيه فما كشف لنا عن

حقيقته في هذا الدور من حياته إلا الصق الناس به وأشفقهم عليه عمه وأساتذته وأحب
 الأصدقاء إليه على سري التلميذ بجامعة لوزان (راجع أقوال عمه صحيفة نمرة ٢٢٧
 وما بعدها من الجزء الثالث من التحقيق راجع محضر الجلسة فيما يتعلق بشهادة أساتذته
 والخطاب المرسل من على سري إلى الورداني صحيفة ٣٠٦ من الجزء الرابع وأقوال
 الورداني فيما يتعلق بالوسط الذي عاش فيه) عاد الورداني إلى مصر صفر اليدين
 إلا من الشرور والمفاسد عاطلاً لا يملك وسيلة الكسب فاعتمد على الكذب
 في دفع تلك المعرة عن نفسه أمام عمه الذي كفله صغيراً ورباه يتيماً فافهمه أنه حصل
 على شهادة صيدلية ولكن عمه شك في صدقه فطلب منه أن يطلعه عليها فأوهمه
 أنها ستصله بعد أيام . مضت أيام على ذلك وأعاد عمه الكرة عليه في طلب
 الاطلاع على الشهادة فلما رأى نفسه قد وقع ولا مناص في أ كذوبته أراد أن
 يتخلص منها فلم ير أشرف له من التظاهر بالتأثر من عدم الثقة بكلامه فأظهر الاستياء
 من هذا الالحاح تبريراً لعدم اطلاع عمه على الشهادة مدعياً أن هذا الطلب من
 عمه يفيد تشكيكه وارتبابه في صحة أقواله ومثله من لا يقبل ذلك على نفسه ولكن
 هذه الالوبة الصبائية لم تدخل على عمه وصمم على عدم مزيد المساعدة إليه إلا
 إذا تحقق حصوله على الشهادة . مضى عليه وهو في مصر شهور وأيام وعمه منصرف
 عنه غير راض عن سيره إلى أن حمله ضيق ذات اليد على أن يرجع إلى عمه يستعطفه
 ويستعينه ولكنه كان موقناً أن عمه لا يساعده إلا إذا حصل على الشهادة فركن
 إلى تأكيد كذبه بحيلة يصعب على السذج اقتضاها . ذلك أنه حصل على تصريح
 بفتح أجزخانة أطلق عليها اسمه ليغرر بعمه ويوهمه بأنه حصل على الشهادة ثم توسل
 إليه بوساطة صديق له فكتب هذا الصديق إلى الدكتور ظيفل يستعطفه على ابن أخيه
 ويرجو منه إمداده بالمساعدة ليكمل أجزخاته التي شرع في انشائها ويؤكده أنه
 حصل على الشهادة ولكن حيلة مثل هذه لم تجز على رجل من أهل الفن مثل
 الدكتور ظيفل فإنه استكشف الحقيقة فتبين له أن التصريح بفتح الأجزخانة إنما

اعطى للورداني بصفته مالكا ليس الا وانه قدم صيدليا آخر حائزاً للشهادة القانونية فلما تبين للدكتور حقيقة الامر رفض المساعدة

مما يؤسف له يا حضرات القضاة ان الورداني أصر على كذبه هذا حتى في أشد المواقف تأثيراً على النفوس وحيث لا حاجة اليه . كان يؤء كد لنا في التحقيق انه حائز لدبلوم الصيدلية بعد امتحان أداه واستند في ذلك على شهادة بالانجليزية ضبطت بمنزله الا انا تبينا بعد ذلك بواسطة ذوي المعرفة بهذه الشهادات انها ليست الا شهادة من مدرسة أهلية بالجلترا لا تفيد سوى ان حامليها حضر بعض دروس في علم الكيمياء . كان الورداني يعلم ذلك وانها ليست بدبلوم ولذلك لم يقدمها الى مصلحة الصحة ولكن كان يكذب علينا ظناً منه باننا لا يمكننا أن نعرف قيمة تلك الشهادات (راجع أقواله صحيفة ٤ جزء أول) . في تلك الفترة أي ما بين عودته الى مصر في أوائل سنة ١٩٠٩ وافتتاحه الاجر خانة في نوفمبر من هذه السنة كان الورداني خالياً من كل عمل فانصرف بكليته الى الاشتغال بالمسائل العمومية والسياسية

نحن لا نقول ذلك نأخذ على الورداني منقصة تلومه عليها ونعيد المصريين منها بل نحن أول من يحل الاشتغال بالمسائل العمومية ويرى ان السعي بالطرق المشروعة فيما ترقى به البلاد وأهلها من فروض العين على المصري وان كل مصري مطالب بتضحية شيء من وقته وماله وهمة على خدمة بلاده . نحن أول من يرحب بتنمية الوطنية ورياضة النفوس في احتمال اشق المشقات في اعلاء اسم « مصر » وزيادة شرفها ورفعته . كذلك نرى من مرقيات الامم الدارجة في رقيها النظر في أعمال القابضين على أزمة الامور فيها وتقددها . ولكننا يا حضرات القضاة لا نسلم بحال من الاحوال أن يتطلع الى مقام ناقد الحكم الا رجل جمع الى العلم الغزير الحكمة البالغة والرزانة في القول والفعل حتى يقدر الاعمال قدرها وينظر في الامور بفكر صحيح فلا يتعدى في خدمة قومه ووطنه حد المشروعية والا انقلبت الخدمة وبالا وارادة الخير شراً « وعدو عاقل خير من صديق جاهل »

فما ذلك الرجل في الحقيقة الا شريك الحاكم في قيادة الامة وعونه على الامر العظيم الذي هو متوليه

فما بال الورداني يغلو في قدر نفسه فيضعها في ذلك المكان العظيم والمركز السامي وقد نسي نفسه ما هي . انسي انه عاجز عن تحصيل مبادئ العلوم الاولى الضرورية للكسب والارتزاق

ذلك يا حضرات القضاة ما لا نرضاه بحال . فتح الورداني اجزخانة في شهر نوفمبر وأخذ يشتغل بما يكسبه العيش ولكن فكراً سقيماً وعقلاً سخيلاً قلما يستقيم لصاحبه حال أو ينجح له عمل كذلك أخذت تجارته في الكساد وأخذت حالته تزداد تعاسة لتراكم الديون عليه وعدم امكانه حتى دفع أجور عمال الاجزخانة فتركوه وتركوا أيضاً ما لهم عليه من الديون لتيقنهم انه مستحيل عليه دفعها واستعاضوا الله فيها خيراً .

ولتقفوا الى ما وصلت حال الورداني من الضنك أستسمحكم في تلاوة خطاب أرسله العامل الذي كان معه بالاجزخانة الى شخص من أصدقائه (وهنا تلا الخطاب) لا أزيد هذا الجواب شرحاً ولا أعلق عليه بشيء من عندياتي فهو وحده كاف في بيان حالة الورداني واخلاقه التي شب عليها

ثقلت ديونه وتشعبت حتى ناء تحتها وكان اينما قلب وجهه صادفه دائن وحيثما سار كان كاسف البال تليل الرجاء في انصلاص الحال كثير التفكير في شؤونه عديد المشغولية بها ففكر في ان يشرك معه في الاجزخانة شركاء في شركة مالية كان هو أميناً لصندوقها ليكون له بذلك مخلص من مطالبتهم له بما دفعوه اليه من الاموال ومورد يستعين به على قضاء ديونه

عرض عليهم الامر بالفعل (راجع صحيفة نمرة ٣٠٠ جزء رابع) ولكن حبط هذا السعي

عمد بعد ذلك الى عمه فلم يجد منه معينا (راجع أقوال عمه صحيفة نمرة ٢٣٠)

فكان هذا الفشل ضغتنا على ابله . هنالك خارت عزيمته وشعر باليأس على اثر كل تلك الصدمات . كان الورداني في هذا الضيق والاضطراب وبين يدي الحكومة بالاسف مشروع عظيم

قدمت يا حضرات القضاء أن الورداني قد بلغ منه الغرور مبلغا جعله يعتقد في نفسه الكفاءة والقدرة على الحكم في أصعب الامور وحل أعقد المشكلات فكان يظن في نفسه تلك الموهبة السامية والمقدرة العالية للحكم على مثل هذا المشروع فما أسرع الى الحكم بان بطرس باشا خائن لوطنه ساع في قبول هذا المشروع عند ذلك هبت في نفسه عواصف الفوضوية وخطر له ذلك الخاطر وهو قتل المرحوم بطرس باشا . خطر له ذلك الخاطر المشؤوم وهو حائر يرجو مخرجا من ضائقته يرى المستقبل مظلا ظالما حالكا فارتاحت نفسه الى هذه الفكرة الشريرة انها تخلصه هو أيضا من حياة ثقلت عليه . لذلك صمم من ذلك الحين على ارتكاب جنايته وأخذ يتأهب لارتكابها وابتدأت عزيمته تظهر باعمال خارجة ومن ذلك دفع سلاحه الذي قتل به لاجد بائعي الاسلحة لتصليحه والتمرين (انظر شهادة عباس حسني) وارساله هذا التلغراف للحضرة الفخيمة الخديوية بعد عودتها من الاقطار الحجازية في ذلك العهد يرجح تصميمه على ارتكاب جنايته

صمم على تلك الفكرة ولكنه أجل تنفيذها وأستمر يسعى ليجد مخلصا من شدته المالية حتى اهتدى الى صديق لوالده قديم هو عبد الباقي افندي من أهالي سنورس المتراسل هو معه بالتلغرافين المذكورين وظن انه منقذه من تلك الورطة بارقة أمل (راجع أقواله في ذلك صحيفة نمرة ٩٦ من الجزء الثاني) وفي الواقع قرر فجأة صباح يوم ٧ فبراير أن يسافر اليه وأراد ان يخبر بسفره من في الاجزاخانة فلم يجد أحدا بها في تلك الساعة فسافر ولما بلغ الواسطى أرسل تلغرافا يخبرهم فيه بانه (اليوم على سفر) وقابل عبد الباقي افندي علي غير سابقة وعد أو لقاء من قبل قريب (راجع أقوال عبد الباقي افندي في ذلك صحيفة نمرة ٢١١

من الجزء الثالث) ورجاء وهو في غاية الخجل منه ان يحصل له على سلفه عرض ان يرهن من اجلها حصة له في منزل كانت هي البقية الباقية من حطام الدنيا فاختد عبد الباقي افندي الشفقة عليه ووعدته النظر في ذلك فكان هذا الوعد له باب الرجاء الوحيد وتحقيقه المخلص المنقذ من ضائقته التي وقع فيها

بعد هذا الوعد كان الورداني كريشة في مهب الريح اذا ما طوحت به الشدة في مضيق اليأس أخرجه منه كلمات صديق والده ولذلك لم ينفذ الورداني جنائته بعد جلسة الجمعية العمومية تلك الجلسة التي يقول انه تولاه الانفعال العصبي فيها علي اثر مناقشة المرحوم بطرس باشا غالي مع الاعضاء لانه لم يكن مضى على مقابله لعبد الباقي افندي سوى أربعة أيام وكان أمه لا يزال معقودا بتحقيق وعده وما زال على هذا الحال الى يوم ١٥ فبراير سنة ١٩١٠ فأراد أن يعرف منه نهائيا هل من مخرج من ضائقته فأرسل التلغراف الاول هل تم شيء وطلب منه الرد تلغرافيا وجاءه الرد سلبا لم يتم شيء . هناك رجح اليأس الامل وفي صباح يوم ١٦ من الشهر المذكور قرأ في جريدة الاخبار خبر سحب بطرس باشا لمخاض لجنة الجمعية العمومية اذ ذاك عزم على تنفيذ نية القتل ولكن بعد ان استوثق من انه لا أمل له بالمرّة في عقد تلك السلفة التي كان يسعى في الحصول عليها اي حين جاءه في غروب ذلك اليوم رد التلغراف الذي أرسله الى عبد الباقي افندي بعد قراءة جريدة الاخبار يسأله فيه ان كان هالك أمل في اتمام السلفة وطلب أن يكون الرد تلغرافيا فكانت ساعة وصول هذا الرد هي الساعة التي قرر حقيقة فيها ارتكاب الجناية واخذ يستعد فيها لارتكابها وهذا هو تفسير قوله لنا اجابة على سؤال وجهناه اليه عقب ارتكاب الجناية (ان نية القتل صممت عليها منذ يومين) صحيفة نمرة ٢

هذا هو بيان الادوار التي تقلب عليها الورداني في تصميمه على ارتكاب جنائته فهل يمكن ان يقال بعد ذلك ان الورداني فعل ما فعل وهو تحت تأثير تهيج

شديد لم يكن له على نفسه معه سلطان . كلا أن الورداني ارتكب جنايته وهو بكامل قواه العقلية بعد أن تعاقبت الايام والليالي على تصميمه على ارتكابها وعلى التأثير الذي قيل بأنه تولاه في جلسة الجمعية العمومية . ارتكبها بعد ان فكر فيها كل التفكير وتروى فيها كل التروى وقلبا على كل وجه وحسب لها الف حساب

ان الورداني بجنايته قد عمد الى خرق حرمة القوانين السماوية والبشرية عمد الى قتل النفس التي حرم الله قتلها . عمد الى ازهاق روح بريئة من غير ذنب عمد الى حرمان انسان من أقدس حق له في هذه الدنيا . عمد الى حرمان عيلة من معيلا وأمة من رجلا وحكومة من رئيسها . عمد واطاع هواه وأطلق رصاصاته فإذا جرى ؟

جرى انه اشكل مصر رجلا من خير ابنائها . رجلا جمع بين العلم والتجربة فقبر وقبرت معه تلك الصفات العالية . دوت تلك الرصاصات في طول البلاد وعرضها فبعد أن أدمت القلوب واحزنت النفوس وقعت وأسفاه بين صفوف الامة فشطرتها شقين عقلاء الامة من مسلمين وقبط شق يبكي الفقيد لانه فقيد الكل على السواء . وبسط القبط شق اخر يضرب على نعمة يشفق منها كل محب للبلاد راغب حقيقة في خيرها كأن الفقيد فقيدهم دون سواهم

بلاء عظيم وشر مستطير وويل وويل اذا تناجرت العناصر وتنافرت قلوبهم وتفرقوا وحق على المجموع الشقاء والخراب وسوء المنقاب

ويا ليت المصاب من هذا القبيل وقف عند حد البلاء الداخلي بل انتهز الفرصة بعض من لا يحب الخير لمصر واذا عوا عنها في الخارج شيئا اساء سمعتها ولطخ شهرتها ومثلها في الاقطار بعدم الهدوء والطأنينة وبلداً هائجا مائجا على انها لم تكن قط احوج الى حسن السمعة منها في الظروف التي هي فيها الان

فانظروا يا حضرات القضاة كم اساء الورداني بجنايته الى هذا البلد الامين

الاسيف فماذا جنت عليه مصر ولماذا هو يضرها كل هذا الضرر لعله يدلى
بخدمة الوطن

أن الوطنية التي يدعي الدفاع عنها بهذا السلاح المسموم لبراء من مثل
هذا المنكر

ان الوطنية الصحيحة لا تحل في قلب ملأته مبادئ تستحل اغتيال النفس
ان مثل هذه المبادئ مقوضة لكل اجتماع

وماذا تكون حال أمة اذا كانت حياة أولي الامر فيها رهينة حكم متهموس يتغم
ليله فيضطرب نومه وتكثر هو اجسه فيصبح صباحه ويحمل سلاحه ثم يغشاهم في دار
اعمالهم فيسقيهم كأس المنون . ثم اذا سئل في ذلك تبجح وقال انما أخدم وطني
لاني أعتقد أن من قتلهم خائنون للبلاد مضرون بها . فتبالتلك المبادئ وسحقها
كيف يقوم للنظام قائمة مع تلك المبادئ الفاسدة

ان مبادئ كل اجتماع ان لا ينال انسان جزاء على عمل مهما كان هذا
الجزء صغيرا الا عن يد قضاة اشترطت فيهم ضمانات قوية وبعد ان يتمكن من
الدفاع عن نفسه حتى ينتج الجزاء النتيجة الصالحة التي وضع لها من حماية الاجتماع
فاذا كان هذا هو الشأن في أقل جزاء يلحق بالنفس أو بالمال فما بالك بجزاء هو
ازهاق الروح والحرمان من الحياة

تلك مبادئ لا وجود لمجتمع الا بها ولا سعادة له بدونها فالطأ نينة على المال
والنفس هي أساس العمران ومن الدعائم التي ادعم علمها في كل زمان ومكان
ولكن الورداني له مذهب آخر في الاجتماع فهو يضع نفسه موضع الحكم على
اعمال الرجال فما ارتضاه منها كان هو النافع وما لم يرتضه كان هو الضار ويريد أيضا
ان يكون القاضي الذي يقدر الجزاء ثم يقضي به من غير معقب ولا راد

كل ذلك والامر لم يتعد ارجاء صدره ولا يعلم ذلك المسكين الذي سينصب
عليه هذا القضاء انه على قيد شبر من الموت جزاء له على جناية لم يسأل عنها ولم يعلم

من أمرها شيئاً

ان مثل هذا الحق لا يمكن ان يكون الا الله سبحانه وتعالى المطاع على السرائر
 اعليم بالنيات ومع ذلك فانه جل شأنه شرع الحساب قبل العقاب . ثم ان هذا
 الحق لم يتطاع اليه أحد من العالمين حتى الانبياء أنفسهم وقد اجتمعت الشرائع كافة
 على عصمتهم من الزلل والخطأ ولكن الورداني يريد ان يضع نفسه فوق كل
 الدرجات المتصورة فحكم وحكم وقتل

اني لترتعد فرائصي اذا تصورت منظر البلاد وقد فشا فيها البلاء الا كبر
 بفشوتلك المبادئ الفوضوية

ماذا يريد الورداني ؟ يريد ان لا يكون حكم ولا حاكم . يريد ان تكون
 الفوضى بعد ايريد النظام . خرابا ودمارا عاجلين

هذه يا حضرات القضاة الغاية التي استحل الورداني من اجلها قتل النفوس
 ليصل بوطنه اليها خدمة له ومحبة فيه

هذه هي الغاية التي ظنها شفيعا لديكم وسبباً لتعطفكم عليه وشفعتكم
 ان جنائية الورداني لاشد ضررا الف مرة من جنائية كل مجرم قاتل أو سارق
 أو قاطع طريق فان هؤلاء جناياتهم فردية وجنائية الورداني على أمته ووطنه
 وهؤلاء يمكن الاحتراس منهم وتوقي أضرارهم وهو يأخذ الناس في مآمنهم غيلة وعلى
 غرة منهم وما لهم منه من واق

ان كان الورداني أراد بفعلته أن يخدم بلاده فلقد ساء طريقه الى هذه الخدمة
 ان كانت أراد ان يحميها فقد صدع كيانها صدعا وأضر بها ضررا بالغا بتلطيخه
 صحتها بالدماء وقد كان أمامه لخدمتها طريق بل طرق مشروعة

كان في وسعه ان يحارب خصمه بغير ذلك السلاح القاتل فان كان على حق
 خرج من هذا النضال بطالا شريفاً سائراً به وبنفسه الى خدمة الوطن لا ان يلقي
 اليه بتلك الرصاصات ليذهب به الى عدم يسير اليه اليوم قاتلاً اثماً

بُست المبادئ مبادئه ولعنة الله عليها باسم الانسانية التي انتهك حرمتها
والحرية التي خرق سياجها والوطن الذي جنى عليه

يا حضرات القضاة

الآن بيدكم الامر وان هي الا كلمة تخرج من أفواهكم لا تسألون عنها الا
أمام ضمائركم وأمام الله سبحانه وتعالى وبها تبددون ظلمات أحاطت بالبلاد وبها
تستأصلون جرثومة خبيثة يخشى منها على عقول النشء وأنا علي يقين من انكم
ستجيبون صوت الحق والعدل والانسانية وهو يستصرخكم لما أصابها من جراء هذه
الجناية الفظيعة فتحكموا بالاعدام على هذا الجاني « اهـ.

ثم ترفع المحامون الثلاثة عن المجرم فتكلم أولهم عن سبق الاصرار
وحالة المجرم العصبية ونظرية الجرائم السياسية وثانيهم في سبب الوفاة
وتقرير الاطباء وفي المسؤولية الناتجة عن ذلك وثالثهم عن الظروف
المخففة وبعده رفعت الجلسة على ان تعود الى الانعقاد في صباح يوم
١٨ مايو للنطق بالحكم.

النطق بالحكم

في الساعة التاسعة من صباح يوم ١٨ مايو سنة ١٩١٠ تقدمت الجلسة
لنطق بالحكم وجيء بالمتهم محاطا بالجنود ثم تلا الرئيس الحكم
ونصه :

« حيث ان ان التهمة الميينة بالمادة ١٩٤ من قانون العقوبات ثابتة
على المتهم وبعده اخذ رأي مفتي الديار المصرية حكمت المحكمة على ابراهيم

نأصف «الورداني بالأعدام شتقا»

ولما ان سمع المجرم الاثيم هذا الحكم امتقع لونه وظهرت عليه علامات الذهول والاضطراب الشديد ثم أخذ فوراً الى السجن وتفرقت الجموع وكلها مطمئنة لهذا الحكم العادل الاحزب الثورة فقد تلقاه بالحزن والاسف ورأى أن حيله قد فرغت في الدفاع عن قاتل من اعضائه فعمد الى حض بعض الرعاع لطلب العفو عنه من الجناب العالي الا أن سموه قابل تلك المساعي بالسخط الشديد واصدر امره الكريم بان لا ترفع على مسامعه أوراق أو عرائض تشمل شيئاً من تلك السخافات كما رفضت المحكمة النقض والابرار الذي رفع اليها في القضية ودحضته نقطة نقطة

آخر ليالي المجرم

قضى ذلك المجرم الاثيم ليلاليه الاخيرة عقب الحكم عليه بالأعدام ناقماً على حزب الثورة الذي ورطه في جريمة ستودعه القبر وهو في ريعان شبابه وكان كلما وخزه ضميره مما ارتكب ومما جلبه على البلاد والامة من المصائب يهز رأسه ويقول نعم ان النتيجة كانت بطالة وان كل ما سمعته عن بطرس باشا لم يكن صحيحاً بالمرّة ولكني فعلت ما فعلت من تسرع وقلة ترو ولو كنت حينئذ كما انا الآن من الصحو والسكون لما كنت ارتكبت ما ارتكبت والظاهر ان جريمته الشنعاء ازدادت تصور امام عيذه فاخذ يسأل مامور السجن يومياً متى يكون التنفيذ

مظهرًا التضجر من التأخير كأنه غير مبال بالموت بل راغب فيه ليستريح من حياة اشقاها فاشقته فلما تقرر يوم اعدامه قيل له استعد لان الحكم سينفذ صباح الغد فظهرت عليه علامات الاضطراب الملازمة لخفوق الفؤاد وقال غداً فليل له نعم غداً فقال « طيب » وانزوى في غرفته وقضى ايلته مضطرباً تارة يمشي وتارة يجلس واحياناً تدركه سعة من النوم فلا تكاد أجفانه تغمض حتى يستيقظ مجفلاً كأنه حلم حلماً مرعباً واونة يهيجس فيسمع صوته وهو يردد عبارات وجملات كمن يقصد ان يحفظها عن ظهر قلبه .

يوم الاعدام

قضى المجرم ليله على ما وصفنا وفي الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٨ يونيو سنة ٩١٠ منعت محافظة العاصمة كل من يدخل دارها من الخروج منها كما صفت فرقة من البوليس بالسلاح الكامل في الجوانب المحيطة بالسجن وفي الساعة السادسة دخل الى السجن حكمدار العاصمة هرفي ياشا ووكيل محافظتها علي بك صديق والاطباء ومأمور الضبط وبعض مأموري أقسام البوليس ومن ثم دخلوا الى الغرفة السوداء والمخصصة لاعدام المجرمين حيث جيء بالقاتل اليها يصحبه عشاوي الجلاد وبعد ان تلي عليه الحكم القاضي باعدامه ونطق بالشهادة ملتعماً أشير الى الجلاد بانفاذ الاعدام فادار اللوالب وعلى الاثر هوى ذلك الشقي لا حراك به ولسان حاله يقول هذه عاقبة كل قاتل شرير أثيم .

وفي الساعة السابعة الا ربع وضعت جثته في نقالة يسوقها حوذي
بجلاية زرقاء ويسير امامها احد المخبريين السريين الى المدافن حيث دفن
فيها في الساعة السابعة ونصف.

ولما ذاع نبأ اعدامه بين الناس اطمأنت خواطرهم بقدر ما انزعج
حزب المتهيجين وأخذ يكتب الرسائل الطويلة تهيج العامة
وليثبت ان القاتل مات شهيدا لتياجر باسمه كما تاجر بحادثة دنشواي
وجمع من الامة حوالي الاربعة آلاف جنيه لشيد بها كتابا للدنشويين
ثم انفقها على ملاهيته وتنزهاته في حانات مونتمارتر واندية مونت كارلو
وقد راعى الامة ما ينشره هذا الحزب من الرسائل المهيجة فكتبت
جريدة المؤيد تحت عنوان التهور والجن ما يأتي:

ما زالت جريدة الحزب الوطني تنعت الورداني منذ ارتكب جنايته
بنعوت الاحترام التي منها حضرة (ابراهيم افندي الورداني) ولم تترك
هذا النعت له الا يوم انفذ عليه حكم الاعدام فقالت (ابراهيم ناصف
الورداني)

فتساءل الناس عن هذا العدول مع ان الرجل مجرم منبذ قتل الى ان
عدم ولم توجد ساعة اولى بالانعطاف عليه منها من ساعة اعدامه فلم هذا
العدول .

والجواب على هذا ان مكاتب التيمس قد اخذ من جملة ما آخذ
عليه حزب التهور والتطرف في مصر تلقيب القاتل بلقب افندي (وهذا

من القاب الاحترام) وقد نشرت مواخذته هذه في رسالته الثانية قبل الاعدام بيوم .

فلم يكن من جريدة الحزب الا ان تمضت اردانها من هذه المهمة بان كتبت عبارة التنفيذ تحت عنوان الورداني بحروف كبيرة وجردت اسمه بعد ذلك من القاب . حضرة وافندي وكذلك التهور ينتهي دائماً بالجن والتهور جبان في النهاية .

وبهذه المناسبة ننصح جريدة الحزب ان تسد الباب الذي فتحته في عدد اليوم تحت عنوان (حول التنفيذ) لتنقل فيه كل ما يقال هنا وهناك لغرض المتاجرة بموت الورداني كما تاجروا بحيته .

فليست حادثة الورداني كحادثة دنشواي يسوغ للمتاجرين بالوطنية ان يستثمروها كل حين بدعوى انهم يذكرون الام الوطن ومصابئه والله يعلم انهم كانوا اشد مصائبه ونوائبه وكل ما كسبه الوطن بجهاد العقلاء اضاعه صحف المشاغبين المتهورين .

*
* *

ولست في حاجة لان اوضح أكثر مما اوضحت في الفضول السابقة حالة البلاد وما صارت اليه عقب اصطدام الحادتين العظيمين فيها حادث مقتل وزير مصر العظيم وحادث القنال وما استدعته من ثوران الافكار وتهيجات بعض المتمصرين الذين يعيشون في مصر فساداً ويتخذون الدين سلاحاً للعيش والتفريق بين العناصر الوطنية .

على أن السياسة الرشيدة التي أتبعها الوزير الخطير سعيد باشا
الذي أخلف المرحوم بطرس باشا قد قضت على كل اضطراب من هذا القبيل
وأعادت الهدوء والسكينة إلى البلاد والأخاء والوئام إلى العنصرين الوطنيين
بل أحيت على نوع ما الهيئة الاجتماعية المصرية بعد أن أورثها الحداثتان
الضعف وسلبها الراحة والسلام

*
* *

جناز السنه لفقيده مصر العظيم

غدا تقف الامة موقف الحزين المروع على نابقتها المفرد العلم بل غدا تقف
موقف اليأس لفقد أعظم رجل من بنينا بل موقف الشاعر بخسارة رجل في أمة
وأمة في رجل

غدا تخرج مصر بانائها الى مقر عظيمها الخالد لتحياه بقلوبها . وتتوج ضريحه
بزهورها وترطب مثواه بدموعها بل لتحيا النبوغ في رأس رجل كان كله عقلا وفي
صدره وزير كان كله حكمة

غدا ترتفع الاصوات من معايد الله الى عرش الله مستمطرة على جدث عظيم
عرف العالم بدهائه ونبوغه انه توجد أمة مصرية وروح مصرية من السلالة المصرية
غدا يدب الحزن في النفوس ديب المتأيا في الصدور فيخفق له كل قلب
ويرتجف من هوله الهرمان هرم العدل وهرم الزمان هذا يحفظ في صدره الى الذرية
صورة الراحل الكريم ليقول لها هذه هدية ابيك لك وذلك يحفظ صورة الجريمة
ليقول لها هذه صورة مصر القديمة هذا صنع أشرارها من بنيك فالغنيهم كما اعتهم
من قبل وانزلي عليهم صواعق العقمة كما انزلتها على رؤوسهم ليكونوا عبرة الاولين
وعظة لاخرين

غدا يزدحم الخلق السائر حول ضريح عظيم مصر فيذ كر رجلا كان كبيراً
في مبدئه كبيراً في قلبه . كبيراً في كل . واهبه . ذهب ودا برح حيا . ووات ودا زال
موضع اعجاب الامم من مشرق الارض الى مغربها

بل غدا يحيط بضريحك أيها الخالد الاثر امة ، ازدحت مثلها أمة حول ضريح
رعمسيس وقبر الاسكندر . ويكي لفقدك شعب ما عرف كيف يكون البكاء
الا عليك ييكك يا احكم الوزراء لانك علمته كيف تكون الحياة بعد الموت .
وكيف ينال المجد وتسمو الرفعة على السماكين . علمته كيف يعيش الانسان عظيماً
ويموت عظيماً . بل ييكك لانك علمته كيف يكون الاخلاص للوطن فالخلص اليه
في العهدين كما اخلص اليك في الحياتين لانه عرف كيف يضحي حياته في خدمة
وطنه كما عرف كيف كانت عظمتك ولا يعرف العظيم الا العظيم

وانه حق لشعب عظيم له روح منيعة . أو ليس من العظمة أن يسير على خطواتك
في أعماله وعلى وطنيتك في اخلاصه وشعوره . شعب لا ينشد عرشاً ولا ينشد ملكاً
ولكنه ينشد عدلاً وينشد مساواة كنت من أقوى العاملين على احيائهما ليحيي بهما
وطنا هو في أشد الحاجة اليهما ويعيد بهما مجداً عالياً يهدم دعاة الوطنية الكاذبة
أساسه المتين ليحفروا في رماله كما حفروا في القلوب بقتلك جراحاً لا تضمده . وفي
المدنية بصيحاتهم نغرات لا تسد . وفي التاريخ بأعمالهم الطائشة صفحة سوداء
لا نحمد .

هذا هو الشعب المتفطر حزناً عليك أيها الراحل الجليل فقم من نومك الابدي
وانظر حولك . قم تره شعباً لا يسقط الصلاة من شفثيه ولا يسقط العمل من
يده . قم تره كما عرفته شعباً لا يرجفه هول ولا يثبط عزيمته في خدمة الاوطان قول
بل قم تره شعباً يعتقد كما كنت تعتقد ان وطنيته ملتصقة بأعماله التصاقاً شديداً حتى
زالت أعماله زالت وطنيته

شعب لا يحمل تاريخ سلالة أو تاريخ عرش فقط بل يحمل ذخائر تاريخ مجيد

كنت من أعظم المخالدين له والمخالدين فيه فما أبقيت من بعدك أقوالاً بل أبقيت قوة خزانة العمل وأرثاها الجد ونعماتها الحكمة . أقيت درسا نافعا صورته اخلاصك لوطنك وسطوره آياتك في سياستك وان شعبا ضعيف الحول قوى العمل يفعل ويقوم بهذه الحفلات العظيمة وذلك التكريم الكبير لهو شعب حي يستطيع ان يسير بالبلاد كما سيرتها الى الطريق السوي الذي يهيئها الى الاستقلال المرجو والى الوطنية الصحيحة التي تعلمها من تاريخك وحفظها من هياكل أجداده الاولين .

هياكل ضخمة تلعب بالزمان . ويجول في عرصاتها الوحش والانسان جولان المتهيب النشوان . هياكل ما اهتزت جوانبها اهتزازها بالامس لعظيم الاميركان . وهو يطوف في جوفها ذا كرا أمة دالت . وحضارة زالت وحكمة ولت وعلوما ذهبت . وفنونا فنيت ولا اهتزت جوانح ذلك العظيم اهتزازها لجرمة مصر ومقتل عظيمها الخالد سليل ابناء ذلك التمدن وعميد الشعب الوطني الرصين .

ا كبر العظيم خطب مصر العظيم وعرف موضع الثورة السكين وسكان النار فقال الى هنا قفوا لا تحرقوا انفسكم بايديكم بل اطلبوا العلم القويم . أوجدوا الصناعة . اتقنوا الزراعة تخلقوا امة حية تعرف العدل والمساواة والاخاء لا أمة تخرج جنوداً جنباء في وقت الحرب واشراراً اشد جنباً في وقت السلم كهذا الشرير الاثيم الذي طعن مصر في صدر عظيمها الحكيم وحكيمها المرشد فأخر استقلالها اجيالاً .

شهادة عظيم لعظيم وكلمة سياسي حي لسياسي راحل وحكمة حكيم مرشد من حكيم ذهب تفتخر به مصر وتحتفل بجنائزه غدا كما احتفلت بتشييعه يوم وفاته وتخلد ذكره في تاريخها كما خلد ذكرها بين الامم والشعوب . فما اجمل هذه الذكرى وما ارفع هذه الخلود .

وان خلودا يا عظيم مصر وكبيرها يبقى مع الزمان . وذكري حسنة يشهد بها العالمان . لهي أعظم فخر لامة انت من ابناءها . فمستحقاً في سريرك الاخير بين

كاليل الزهور وتتابع الرحمت وان استبدلت وقار امتك لك بوقار الضريح وحركتها
بسكون الموت . نم مستريحاً فقد انغمضت عينين ما انفتحتا الا للنور وارتحت جسما
ما عرف الا الجهاد المقدس . نم مستريحاً فان اسمين يحفظهما التاريخ وتحفظهما مصر
بعد عهد الفراعنة الاول هما محمد علي و بطرس غالي فسلام عليه وسلام عليك ورحمة
تبال ثراه وتنعش مثواك

تحريراً في ٢٠ فبراير سنة ١٩١١





بشرى بك حنا

• Bochrá Bey Hanna